الكتاب المقدس

في قراءة روجيه غارودي

من تحريف التوراة والإنجيل إلى الاستبداد الغربي
والإرهاب الصهيوني

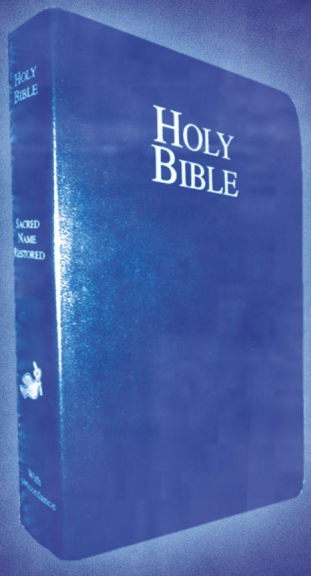

د. بشير بوساحة

الكتاب المقدس

في قراءة روجيه غارودي

من تحريف التوراة والإنجيل إلى الاستبداد الغربي
والإرهاب الصهيوني

د. بشير بوساحة

عنوان الكتاب

الكتاب المقدس
في قراءة روجيه غارودي

من تحريف التوراة والإنجيل إلى الاستبداد الغربي
والإرهاب الصهيوني

د. بشير بوساحة

الطباعة

ردمك:
978-9931-273-75-2

الإيداع القانوني:
مـــاي 2023

تصميم الغلاف
كمال خزان

الكتاب المقدس في قراءة روجيه غارودي
من تحريف التوراة والإنجيل إلى الاستبداد الغربي والإرهاب الصهيوني

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

تعد شخصية روجيه غارودي من الشخصيات القليلة، التي أفلتت من حدود الإطار العام الذي يتم فيه صياغة فكر الفرد الغربي، هذا الإطار الذي تلتزم به المؤسسات المختلفة، التي لها علاقة بتوجيه الفكر في الغرب والتأسيس له، سواء كانت دينية أو تربوية تعليمية أو علمية أو اجتماعية أو ثقافية أو إعلامية أو ترفيهية، وتساهم في ذلك المؤسسات الاقتصادية كذلك. وهذا ما أكّده غارودي في كثير من مؤلفاته.

هذا الإطار الفكري الذي انحصرت مصادره فيما هو يوناني روماني، ويهودي مسيحي، وهو ما يرفضه غارودي، أدى إلى قطيعة مع الآخر، قطيعة مع المجتمعات والحضارات غير الغربية. وقد تعزّز ذلك بما رُوّج له داخل هذا الإطار، من تفوّق الغرب في كل شيء، وأنّه المركز لكل تطوّر وتقدّم وإبداع في تاريخ الإنسانية، أما الحضارات الأخرى فهي هوامش. وبهذا توّجه العقول الغربية نحو رفض واحتقار كل ما عند غيرها واتّهامه بالتّخلف والبربرية والهمجية. وفُرضت المفاهيم الغربية على أنّها مسلّمات لا يمكن التنازل عنها أو الاعتماد على غيرها أو بناء تقدّم ونمو من دونها.

ومنذ اتحاد الكنيسة المسيحية مع نظام الإمبراطورية الرومانية، في القرن الرابع ميلادي، تمّ تعميم المسيحية كديانة للإمبراطورية، مقابل ضمان تبرير ديني للنّظام الروماني ودعوة الجماهير للخضوع له، ومن أجل حصول المسيحية على القبول العام، تمّ تفسير معتقداتها ورسالتها على أساس فلسفة اليونان وتقاليد الرومان. حتى أنّ البابا أصبح يُلقب بـ:(الحبر الأعظم) واعتمدت الكنيسة نظام الإكليروس الروماني.

هكذا بدأ التأكيد على المركزية الغربية والتفوق والخيرية الغربية، التي اعتُمِدت لتبرير الحروب الصليبية واستعمار الدول الضعيفة بعد ذلك، وقد صاحبتها دراسات

استشراقية، وأخذ الغرب العلوم التي وصل لها الشرق والمسلمون، من دون أمانة علمية. وقد كانت منهجية تلك الدراسات تلفيقية، لا تَنسب العلوم والمعارف لأصحابها، بل لعبت دورا مشبوها، تولّت فيه مهمة التبرير العلمي لمخطّطات الغرب وطموحاته الاستعمارية والتّسلُطية. واعتمدت معاييرَها الذاتية في معرفة الآخر والنّظر إليه، لا كما هو عليه في الحقيقة، مجاراة لرغبة الغرب وحاجاته. فالشرق عندهم هو ذلك الآخر غير المرغوب فيه، الذي تمّ تصويره على أنّه ذلك الشاذ المجنون والمنحرف. فأصبح الشرق والإسلام خاصة، مشكلة تبحث عن الحل، لا موضوع دراسة يحتاج إلى موضوعية في الطرح والبحث.

وبهذه الدراسات وهذا التوّجه الفكري والموروث الثقافي، تمّ تسييج الإطار العام الذي يُصاغ فيه فكر الفرد الغربي، وهو ما يجعل كثيرا من أهل الغرب عندما يتحوّلون عن المسيحية، لمخالفتها العقل والمنطق، يتبنّون الفلسفات الوضعية والإلحاد، دون البحث عن الحقيقة الدينية، التي أوصلت بعضا منهم إلى الإسلام كما حدث مع المفكر والفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي. بينما لم يتح لآخرين النظر في الإسلام لِمَا غُرس في أذهانهم من أفكار مغلوطة، لُقّنت لهم عن الإسلام والمسلمين، طَبعت في أذهانهم خلفية مُظلمة وصورة نمطية سلبية عنه، وهذا ما يُفسّر ظاهرة الإسلاموفوبيا (أي الخوف من الإسلام) في العالم الغربي.

إنّ ما يعيشه العالم الغربي من فساد أخلاقي واقتصادي واجتماعي وسياسي، دفع بروجيه غارودي إلى إعادة النّظر في حقيقة الحضارة الغربية، ومواقع الخلل والأسباب الأساسية لكل ذلك، فوصل إلى أنّ الخلل يعود دائماً إلى الرؤية الكونية الغربية الوضعية المادية، وما صاحبها من خلل في القيم الأخلاقية. كل ذلك جعل غارودي يقف دائما وقفات تمحيص مع أسفار الكتاب المقدّس المهيمن في العالم الغربي، فانتهج في دراسته منهجية تاريخية نقدية، يبتغي من خلالها الوقوف على المنبع الحيّ لهذه

الديانة وديناميكيتها الأولى، لاكتشاف جوهرها الديني والوقوف على حقيقة ما يقال عن تحريفها، وعلاقة هذا التحريف بواقع الحضارة الغربية التي يراها تحتضر.

وتجدر الإشارة إلى أنّ وقفات غارودي مع ما ورد في أسفار الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، لم تكن في دراسة خاصة لهذا الغرض، بل تناثرت وقفاته مع فقرات وأسفار الكتاب المقدّس في ثنايا كُتبه، وفي مختلف المواضيع التي درسها. كل ذلك ليُبيّن صلة ما جاء في تلك الأسفار والأناجيل والرسائل المقدّسة بالمواضيع التي تطرّق لها، وهي من صميم واقع العالم الغربي ولها أثرها على العالم كلّه.

وتندرج هذه الدراسة ضمن مجال الدراسات النقدية للكتاب المقدس، وقد جاءت موسومة بـ: " الكتاب المقدس في قراءة روجيه غارودي" لجمع شتات وقفات غارودي في مؤلفاته، ومن ثمّ بلورة قراءته لأسفار الكتاب المقدّس، وتحديد موقفه ممّا ورد فيها، والوقوف على النقد الذي وجّهه للقراءة السائدة في العالم الغربي لأسفار الكتاب المقدّس، وأثرها على الواقع الغربي والعالمي.

والملاحظ من خلال ما يظهر في مؤلفات غارودي المترجمة إلى العربية، أنّه لا يتعامل مع فقرات الكتاب المقدّس بدقّة، بل يأخذ بالمعنى مع عدم ذكر أرقام الإصحاحات والفقرات من الكتاب المقدّس في بعض ما ألّفه من كُتب. وهو ما تداركته في هذه الدراسة، فقد تمّ إضافة ما أُهمل من فقرات الكتاب المقدّس، بإيراد نصّها المعتمد في النسخة المترجمة للعربية من الكتاب المقدّس (الصادة عن دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط، بالقاهرة - مصر، الطبعة الأولى لسنة 2003). فما ورد من نصوص الكتاب المقدّس في كتب غارودي فيه أحيانا اختلاف أو تغيير قد يكون سببه الترجمة، إضافة إلى أنه في بعض كتب غارودي وعند استشهاده بفقرات من الكتاب المقدّس لم يذكر رقم الإصحاح ولا رقم الفقرة. فتمّ تدارك ذلك بذكره في المتن، وأحيانا يعاد ذكر الفقرات كما وردت في الكتاب المقدّس في الهامش، لبيان الفرق مع النص الذي ذكره غارودي وتم الاستشهاد به في متن هذه الدراسة.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ الكتاب المقدّس مقسّم إلى أسفار أي أجزاء، كل سفر مقسم إلى مجموعة إصحاحات، وكل إصحاح فيه مجموعة من الفقرات مرقمة. فمثلا الفقرة 12 من الإصحاح 17 في سفر التكوين من جزء العهد القديم، تختصر في: التكوين12/17. ورغم غموض كثير من تلك النصوص، فقد ذُكرت هنا، لتكون فرصة يتعرف من خلالها القارئ على بعض نصوص الكتاب المقدّس والأفكار الواردة فيه، والقراءات التي تُفسّر أو تؤول ما ورد فيه، ومعرفة موقف غارودي منه.

الباب الأول
ترجمة لعصر غارودي وحياته

من المهمّ جدّا قبل الكلام عن قراءة روجيه غارودي للكتاب المقدّس، أن نترجم لهذه الشخصية ولفكرها والبيئة التي نشأ فيها والعصر الذي ظهرت فيه، لما في ذلك من أهمية بالغة في فهم آراء هذا المفكّر وتحديد المفاهيم التي يأخذ بها، ومعرفة خلفية المواقف التي يتبنّاها.

1ـ الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي نشأ فيها روجيه غارودي

إن نشأة كل إنسان لا تنفكّ ترتبط ببيئته ويكون لها أثرها على شخصيته، ويؤثر فيها كذلك زمن هذه النشأة، فيكون لحياته صلة وثيقة بعصره، وهو ما حدث مع المفكر والفيلسوف روجيه غارودي، حتّى أنّ المفكر الغربي سيرج بيروتينو الذي كتب عن غارودي قال عن هذا التأثير وهذه العلاقة: "نعجز عن فهم المعضلة التي تسود كل فكر غارودي وكل أعماله، والحلول التي يوجدها لها، والحقيقة الهاربة أبدا التي يجهد في البحث عنها، إن نحن أهملنا العودة إلى الوضع التاريخي الذي طرح هذه المشاكل، هذا الظرف التاريخي الذي يدفع الفيلسوف إلى إيجاد الحلول لهذه المشاكل بإجباره (قسرا) على إعادة النظر في أهداف وغايات الحياة نفسها"[1].

فقد نشأ غارودي في بيئة أخذت إرثها الحضاري عن الإغريق، وعاشت ردحا من الزمن تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية، وتميّز العصر الذي عاش فيه بالخصوصية، كونه كان عصر تحولات في جميع المجالات، وانعطاف على جميع المستويات، وتغيير ونقد للقيم والأهداف السائدة. فما هي طبيعة ذلك الواقع من الناحية السياسية، الاجتماعية والاقتصادية؟ وكيف كانت نشأة غارودي ومساره النضالي والسياسي في ظل ذلك الواقع؟

أ- الحياة السياسية في فرنسا

لقد استمر النّظام الملكي في فرنسا إلى غاية العصر الحديث، وتزايد رفض الفرنسيين لهذا النّظام لتزايد فساده وتجلّى ضُعف رجاله من الملوك الذين حكموا بالحكم المطلق

[1] ـ سيرج بيرو تينو، غارودي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981م، ص19.

الإقطاعي، مما أدّى إلى استهزاء حكام الأقاليم بالسلطة المركزية فأصبح همهم الثّراء على حساب مهامهم، وقد اضطرب القضاء وغيره من الإدارات التي فشلت في حل مشاكل الفرنسيين، من فقر وظلم اجتماعي وضرائب متعدّدة أثقلت كاهل الشعب، وفروق طبقية تُقسَّم من خلالها الامتيازات، إضافة إلى الهزائم الفادحة التي مُنيت بها الجيوش الفرنسية. ومع تسجيل بذخ الملوك واشتراك فرنسا في الثورة الأمريكية، وقع الارتباك المالي[1].

وقد استقرّ الواقع السياسي مع الجمهورية الثالثة، ثم عاشت فرنسا ما بين الحربين العالميتين منقسمة إلى أحزاب لا يؤلف بينها غير تعلّقها بفرنسا. وهي تمثّل مدارس الفكر السياسي التي أصبحت تسيطر على الحياة الفرنسية، وقد تعاقب على الوزارات العديد من المسؤولين، لم تكن تدوم عهدتهم أكثر من ثمانية أشهر، لعجزهم عن تحقيق ما كانت تحتاجه فرنسا من استقرار وإصلاح ومجابهة للمشكلات[2]. لتسقط باريس سنة 1940م أمام ألمانيا وإيطاليا[3].

ورغم أنّ الأزمة الاقتصادية وصلت إلى فرنسا متأخرة سنة1931م، إلا أنّها أدّت لاضطرابات سياسية. فبعد فشل حكومة آندريه تارديو في تطبيق سياسة الرفاهة، جاءت المفاجأة في انتخابات أيار1932م، التي نجح فيها حلف كارتل اليساريين (الردكاليين والاشتراكيين والشيوعيين)، رغم عدم اتفاقهم في تدابير تقويم الحالة المالية العامّة. ولذلك كان البرلمان عاجزا، فقامت ضده حملة مناوئة، ويُرجّح البعض أنّ الفاشية حرّكت المظاهرات داخل فرنسا، فسقطت على إثرها وزارة دالاديه، وحلّت محلّها حكومة الاتحاد الوطني، برئاسة غاستون دوميرغ التي لم تدم طويلا، لتعود

[1] ـ شوقي عطا الله الجمل وعبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1993م، ص75ـ81.

[2] ـ المرجع نفسه، ص233.

[3] ـ المرجع نفسه، ص245.

حركات العصابات التي تمّ معارضتها بتأليف الجبهة الشعبية، التي قامت بأوّل مظاهرة كبرى لها في 14تموز 1935م[1].

وهكذا أصبح التّيار اليساري هو صاحب الوزن الثقيل، في الحياة السياسية الفرنسية العامّة في مرحلة الجمهورية الثالثة. ليتفرّد الشيوعيون بهذا التنامي مع قيام الجمهورية الرابعة سنة 1946م، الذين دعوا إلى تميز النموذج الاشتراكي الفرنسي في نظرية ماركسية حديثة. وكان من بين من دعا إلى هذه الفكرة روجيه غارودي، بل تعدّاها إلى محاولة التجديد في الفكر الماركسي عموما.

ومع الجمهورية الخامسة سنة 1958م، جاءت دكتاتورية ديغول الذي استطاع أن ينظّم اليمين المعتدل ويجعل منه القوة السياسية في فترة السّتينيات. وأصبحت فرنسا منشغلة باضطراباتها الداخلية والتجاذبات السياسية بين الأحزاب الفاعلة في ساحة العمل السياسي، خاصّة مع تجذّر البورجوازية وبروز صراع الطبقات، يضاف إلى ذلك أنّ المسار السياسي لفرنسا الذي ذكرناه، كان متأثّرا في جملته بالواقع الاقتصادي والاجتماعي. هذا الوضع السياسي كان له تأثيره على حياة غارودي وتحوّلاته الفكرية، والآراء التي تبنّاها.

ب - الحياة الاجتماعية والاقتصادية

يكشف لنا التاريخ الفرنسي أنّ حياة فرنسا الاجتماعية اتّسمت بصراع حاد وعنيف بين مختلف الطبقات، جرّاء تباين شروط الحياة لدى هذه الطبقات. فقد عاش المجتمع الفرنسي خلال العصور الوسطى ببنية تقليدية، أساسُها التركيب الطبقي، حيث "تأكّد ذلك التفريق بين أولئك الذين يصِلون للمناصب، والذين يحاربون، والذين يعملون لإعاشة الآخرين. فكانت طبقة الإكليروس(وهم رجال الدين المسيحي)أقدم الطبقات. وكان لها منذ البدء وضع خاص ينظّمه الحق القانوني، وتوضّحت فيما بعد

[1] - بيير رونوفن، تاريخ القرن العشرين، تر: نور الدين حاطوم، دار الفكر، دمشق، ط1، 1980، ص328.

طبقة النّبلاء الاجتماعية، وكان من ليس من الإكلركيين، ولا من النبلاء يؤلفون طبقة الفلاّحين، التي ولدّت الطبقة الثالثة، لكن قيام هذه الطبقة الثالثة كان بطيئا. فقد تمثّل فيها بادئ الأمر البرجوازيون وحدهم (وهم رجال المدن) ثم دخل شعب الأرياف فيها"[1].

لتتمايز طبقات هذا المجتمع عند قيام الثورة الفرنسية، فبعد أن كان المجتمع أرستقراطيا (يقوم على الفلاّح)، تحوّل بعدها إلى مجتمع بورجوازي (يقوم على الصناعة والتجارة). وسيبرز العمال والصُنّاع والحرفيين كفئات فاعلة في الحياة الاجتماعية. وبقي المجتمع الفرنسي محافظا على نظامه وعلى هذا الأسلوب في العمل، بل كان الصراع على أشدّه بين دعاة التوجّه إلى التقنيات واعتماد الوسائل والمخترعات الجديدة، وبين دعاة العودة إلى الماضي. فبرز مع كل ذلك نزاع إيديولوجي بين القوى السياسية الشيوعية، الاشتراكية منها والراديكالية(الممثلة لطبقة العمال)، والديمقراطيين المحافظين(الممثلين للرأسمالية المتحررة). فتسبّب هذا النزاع في حركة متكرّرة من الإضرابات[2].

ومن هنا بدأ كفاح البروليتاريا (العمال) ضد أرباب العمل لتحصيل حقوقهم، هذه الطبقة التي: "تعاني الحرمان من كل ثراء، ومن كل تمتّع بمركز أو حرفة، فهي مجرّد أيدي عاملة، تأثّرت أحوالها بالصراع الذي قام بين أرباب الصناعة، لتخفيض تكاليف الأنتاج، فحرمها كل ذلك من فتات العيش، الذي كان كل ما تملك، فأضطرت إلى الدخول في صراع دائم ضد سادتها الظّالمين"[3].

---

[1] ـ ألبير سوبل، تاريخ الثورة الفرنسية، تر: جورج كوسي، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ط3، 1982م، ص18.

[2] ـ موريس دو فرجيه، في الدكتاتوريات، تر: هاشم متولي، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ط2، 1977م، ص43.

[3] ـ ا. ج. جرانت وهارولد تمبولي، أوربا في القرن 19 والقرن 20م، تر: محمد علي أبو درة ولويس إسكندر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ط6، 1978م، ج2، ص291.

هذا الصّراع ساهم في تبلور النّظريات الأساسية للشيوعية، التي أدّت في مطلع القرن العشرين إلى انتظام العمّال في فيدراليات واتّحادات عمّالية دولية. لتدخل فرنسا بعدها الحربين العالمتين، التي أثّرت بشكل كبير على أسس الحياة، فبعد أن كانت فرنسا بلد متزن اقتصاديا أصبحت بعد الحرب العالمية الأولى منهارة اقتصاديا، منهوكة بشريا، مدمّرة عمرانيا، مضطربة اجتماعيا ومختلّة تجاريا. كما تمخّض عن تلك الحرب ظهور أزمة الضمير الأخلاقي، ومراجعة أساسية للقيم التي تُبنى عليها الحضارة الغربية[1].

خرجت فرنسا من الحرب وقد تكبّدت خسائر بشرية كبيرة (خسرت 8% من سكانها أغلبهم من الشباب) وخسائر مادية بالغة، أثّر كل ذلك على مجرى الحياة الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية والفكرية كذلك[2]. وقد كانت الأزمة الاقتصادية لسنة 1929 الحدث الرئيسي والبارز بين الحربين، وكان لها الأثر البالغ على أوضاع أوربا بأسرها، ورغم أنّ فرنسا هي الدولة الليبرالية الوحيدة، التي أظهرت مناعتها في وجه هذه الأزمة، غير أن فترة صمودها لم تدم طويلا، إذ سرعان ما أخذت حصونها الاقتصادية تتساقط مع بداية 1932، فتساوت في ذلك مع بقية الدول الأوربية[3].

ومن الخسائر المسجلة، انخفاض الإنتاج الصناعي، وانهيار النّظام النقدي والتجارة الدولية، واستفحال ظاهرة الفقر والجوع، التي أثّرت سلبا على الوضع الاجتماعي الأوربي والفرنسي، خاصة أنّ فرنسا تواجه مشاكل مالية متعلّقة بنفقاتها الحربية،

[1] ـ عبد الحميد زوزو، تاريخ أوربا والولايات المتحدة الأمريكية (1914ـ1945م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص73.

[2] ـ فرنسوا جورج ديفوس وآخرون، موسوعة تاريخ أوربا العام، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ج3، ص385

[3] ـ المصدر نفسه، ص258.

وإعادة تعميرها بعد الحرب[1]. هذه الأزمة كشفت عن الفوضى التي قاد إليها النّظام الاقتصادي الرأسمالي.

فأبرز الأحداث العالمية الخطيرة خلال هذه الفترة، هي صعود هتلر إلى الحكم في ألمانيا، وتحكّم النّظام الفاشي في زمام الأمور في إيطاليا، فكشفت النازية والفاشية عن خطر الإرهاب الذي تُهدّد به مثل هذه الأنظمة السياسية الكليانية الاستبدادية. هذا الواقع الذي كانت تعيشه أوربا أصبح يُنبئ بتوجه العالم إلى كارثة. فكان هذا حال القرن الذي ولد فيه الفيلسوف والمفكّر روجيه غارودي، وقد كان لكل تلك الأحداث الأثر البالغ على نشأته وتوجهاته الفكرية والسياسية والدينية كذلك. فقد تبنّى الشيوعية لأنّه رأى فيها الحل للأزمة الاقتصادية العالمية، وفيها الرفض القاطع للملكية والفكر الإقطاعي، والنظم الاستبدادية، كما جعله هذا الواقع المزري يتشبث إلى حد ما بمسيحيته، ثم قرّر في النّهاية بأنّ المخرج يكون بحوار بين الحضارات.

2 ـ ترجمة لحياة روجيه غارودي

أ - الاسم والمولد

هو روجيه جان شارل غارودي، وبعد إسلامه سمي برجاء، حسب وثيقة شهادة إسلامه، بالمؤسسة الثقافية بجنيف. ولد روجيه غارودي في 17 تموز من عام 1918م في مارسيليا، التي تعدّ من أغنى الأقاليم الصناعية بجنوب فرنسا. وهو ينتمي بأصوله الطبقية إلى عائلة عُمّالية من جهة أخواله (المهتمين بصناعة الأثاث والمفروشات)، وعائلته من البحّارة لجهة عمومته. كانت والدته تعمل في فبركة وصناعة القبّعات، وكان والده محاسبا بسيطا[2]. وفي مقدمة ترجمة كتاب غارودي "محاكمة الحرية" يذهب المترجم إلى أنه ولد سنة 1913م، وهو يَعتبرُه شيخ المشاغبين وإمامهم، لكثرة ما خاض

[1] ـ عبد الحميد زوزو، تاريخ أوربا والولايات المتحدة الأمريكية (1914ـ1945م)، مرجع سابق، ص281.

[2] ـ سيرج بيروتينو، غارودي، مرجع سابق، ص5.

غارودي من المعارك الفكرية والنّضالية. ويُشير إلى أنّه تعرّض للمحاكمة بتهمة معاداة السامية في المحكمة الفرنسية وقد كان له من العمر حينها84 سنة[1].

وهكذا يكون غارودي قد نشأ بين أوسع وأبرز طبقات المجتمع الفرنسي، وهي الطبقة العمّالية (البروليتاريا). وذلك جعله يعيش واقع هذه الطبقة ويستميت في الدفاع عن حقوقها، والبحث عن حلول مشاكلها.

ب - دراسته

بدأ غارودي دراسته في مدرسة مرسيليا، ثم انتقل إلى مدرسة هنري الرابع في باريس، ثم درس في كلية الآداب، في أكس حيث استمع إلى محاضرات موريس بلونديل الأخيرة، ودرس في كلية الآداب بستراسبورغ في الفترة الممتدة بين عام 1935- 1936. وقد عاش فيها بين لاهوت كارل بارت وكيركغار وغيرهم من علماء لاهوت الحلقة الإنجيلية. تحصّل غارودي على منحة دراسية، بعد أن اُعتبر والده من مشوّهي الحرب العالمية الأولى، أين تكفّلت به الدولة طوال فترة دراسته حتى حصوله على إجازة الفلسفة عام 1936، حصل بعدها على شهادة التبريز، وعُيّن في السنة نفسها أستاذا لتعليم الفرنسية في مدرسة ألبي، وقد خلف فيها منصب الأستاذ جوريس، فدرس كل مؤلفاته[2].

وفي عام1953 حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السربون على دراسته (النظرية المادية في المعرفة)، التي أعدّها تحت إشراف الإبستمولوجي الأستاذ غاستون باشلار، وحصل عام 1954 على درجة الدكتوراه في العلوم من جامعة موسكو (أكاديمية العلوم) بعد أن ناقش رسالة دكتوراه ثانية تحمل عنوان (الحرية)[3].

[1] ـ غارودي، محاكمة الحرية، تر: محمد لعقاب، دار هومة، الجزائر، ص5.

[2] ـ بيروتينو، غارودي، مرجع سابق، ص5- 6.

[3] ـ محسن الميلي، روجيه غارودي والمشكلة الدينية، دار قتيبة، بيروت، ط1، 1993م، ص27.

وفي العام نفسه زار كوبا من أجل المساعدة في تنظيم دروس الماركسية في التعليم العالي، كما زار الولايات المتحدة عام 1955[1].

ج - نضالاته ومساره السياسي

في الوقت الذي كان العالم يختنق تحت وطئة الأزمة الإقتصادية لسنة 1929م من ناحية، ويعيش مأساة النازية من ناحية أخرى، انضم غارودي إلى الحزب الشيوعي، الذي رأى فيه الحل للأزمة التي خلقتها الرأسمالية. وأنّه بإمكان هذا الحزب صناعة المستقبل الأفضل لملايين الكادحين، في مجتمع شيوعي تتحقّق فيه العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية والحياة الإنسانية الكريمة. وقد كان الحزب الشيوعي في مقدّمة المقاومين للنازية، التي ارتكزت على نظرية عنصرية محدودة الأفق، فظهرت الماركسية في المقابل على أنّها إنسانية تحررية[2].

ورغم أن غارودي كان رئيس جمعية الشبان المسيحيين البروتستانت إلا أنّه أصبح عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي سنة1933م، ورغم استهجان الشيوعيين لهذه الازدواجية، خاصة مع رديكاليي الفكر الإلحادي من الشيوعيين، فقد كان غارودي يرى أنّ هذه المزاوجة أمر عادي، ومن هنا بدأ تميّز فكر غارودي وفلسفته للحياة. وقد أُنتخب سنة1937م عضوا في المكتب الفدرالي في فدرالية تاران الشيوعية، ففتحت له فرصة الالتقاء بموريس توريز (الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي)، فكان له الناصح والنّاقد والمدافع كذلك، تجاه الهجوم المتعصب ضيق الأفق ضد غارودي. وقد طاف غارودي في هذه الفترة منطقة تاران مطّلعا على واقع الفلاحين فيها[3].

---

[1] ـ عادل التل، فكر غارودي بين المادية والإسلام، دار البينة، بيروت، ط2، 1997م، ص 26.

[2] ـ أمينه الصاوي وعبد العزيز شرف، جارودي والحضارة الإسلامية، دار القبلة، جدة، ط2، 1985م، ص31ـ 32.

[3] ـ بيروتينو، غارودي، مرجع سابق، ص6.

وعند إعلان الحرب جُنِّد غارودي عام1939م وأُلحق بفصيلة المشاة الإفريقية الشمالية جنديّا من الدرجة الثانية (بسبب ملفّه المثقل، فهو الداعي الثوري)، وقد كسب في جبهة السوم وسام الحرب مع تنويهين. عاد بعد تسريحه إلى منطقة تاران لتأسيس الحزب الشيوعي سريّا، فأُوقف عام 1940 لخطورته على الدفاع الوطني والأمن العام، وأمضى 33 شهرا في السجن فكانت تجربة عاشها مع العمّال المساجين، فعلّمهم دروسا في التاريخ والفلسفة، ودرس فيها كتابين: التوراة وعلم المنطق لهيغل[1].

أُنتخب غارودي نائبا في البرلمان عن منطقة تاران من عام1945إلى غاية عام1962، وقد أصبح رئيسا للجنة التربية الوطنية خلفا لهنري فالون، ثم أُنتخب نائبا عن باريس عام 1956، وانتخب نائبا لرئيس الجمعية العامة إلى غاية 1958. وانتخب عام 1959 عضوا في مجلس الشيوخ كممثّل لمنطقة السين لمدة تسعة سنوات. وقد استقال من هذا المنصب سنة 1962. ثم إنّ عضوية غارودي في اللجنة المركزية جعلته يكتشف أنّ الفكر الذي يرفض الدين في قداسته ويحارب الكنيسة في تمجيدها للمسيح ورجال الدين، هو نفسه الذي يضفي القداسة على رجال الماركسية ويمجّدهم ويطالب الجميع بالولاء التّام والطاعة العمياء، بل ويمارس قياداته الإرهاب ضد من يخالفهم الرأي، أو يجرؤ على التفكير في غير الماركسية. فخاب أمل غارودي فيها وبدأ يبحث عن انتماء آخر، فدرس الوجودية والبنيوية والفوضوية(الرأسمالية) إضافة إلى الاشتراكية ومذاهب أخرى، وراح ينتقدها[2].

شارك غارودي في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي، كعضو بارز مهتم بشؤون حزبه، أين قدّم (نيكا خروتشوف) بيانه حول سياسة ستالين، في فترة سياسته وحكمه، وكيف كان تعامله مع معارضيه من الثوريين المتطرفين، وكيف مارس معهم سياسة قمعية من قتل وإعدام وعزل ...، هذه المواقف استهجنها غارودي وتفاجأ أن تصدر عن

[1] ـ المرجع السابق، ص6ـ 7.

[2] ـ أمينه الصاوي وعبد العزيز شرف، مرجع سابق، ص32ـ33.

ستالين وهو مثله الأعلى، الذي تأثّر بفكره وفلسفته وظهر ذلك في دراسته "النظرية المادية للمعرفة" التي نشرت ثم مَنع غارودي طبعها بعد اكتشافه لهذه الحقائق. هذه الحقائق جعلت غارودي يُعيد النظر في كل ما كان يعتبره مسلّمات وأنّه من قَبيل اليقين، ودخل بعدها في مرحلة مراجعة ونظر في مساره، وبقي على قناعة بمنهج ماركس، لذلك توجّه إلى مرحلة جديدة اصطلح على تسميتها بمرحلة "تجديد الماركسية".

بدأ غارودي بعدها يُعِدّ مشروعه الذي سمّاه "البديل"، الذي انطلق فيه سابقا، وبناه على أساس حوار للحضارات جميعا دون استثناء، وركّز اهتمامه من ناحية أخرى على فرنسا. وتجدر الإشارة إلى أنّه لما خاب أمله في التغيير على مستوى المجالس النيابية التي لا سلطة لها، والحكومات الخاضعة للجماعات الضاغطة والأحزاب التي لا مشروع إنساني لها، والأمم التي لا رسالة لها والدّول التي لا وجه لها، نتيجة لكل ذلك رأى غارودي أن سلطة واحدة باقية لتعديل اتجاه المستقبل، هي رئاسة الجمهورية في فرنسا، فقرّر الترشح لها[1].

3 ـ حياته الدينية

ولد روجيه غارودي لأبوين ملحدين، كما ذكر في الحوار الذي أجرته معه مجلة الأمة القطرية، أين قال عن سبب هذا الإلحاد أنّه: "ليس بسبب ارتباطهما بالشيوعية، أو أي مذهب أخر، ولكنّهما كانا من الأجيال التقليدية"[2]. فبيّن غارودي هنا زهد الأوربيين في التّدين، وتخلّيهم عن موروثهم الديني، حيث انساقت الغالبية العامة مع التيارات التي أفرزها عصر النهضة، وفلاسفة التنوير. إلا أنّ غارودي لم يكن من هؤلاء بل كانت له نظرة المتأمّل لما يجري حوله، فهو يربط الأحداث والظواهر بأسبابها وخلفياتها ويتنبأ بمآلها.

[1] ـ غارودي، نداء الى الأحياء، تر: ذوقان قرقوط، دار دمشق، سوريا، 1981م، ص241.
[2] ـ مجلة الأمة القطرية، حوار مع روجيه غارودي، ع29، 1983، قطر، ص66.

أ - غارودي مسيحيا

بعد أن نشأ غارودي في صغره في بيئة ملحدة قال عنها: "ولقد نشأت في أسرتي على إلحاد جرّدني من كل المفاهيم التي تخصّ الله، حجبني من كل تدين قبلي يَدَّعي الاحتفاظ لنفسه باحتكار المطلق ويفرض علينا أساطيره وشعائره وعقائده، كما لو كانت متسامية مثل أسطورة شعب الله المختار. وتلك مفاهيم العقل المنغلق الذي لا يعي بديهياته وحدوده. وعندما أدركت أنّ هذه الحدود كانت هي حدود الثقافة والفلسفة التي تعلمتها في المدرسة أحسست بالحاجة إلى الهروب من السجن العلموي"[1]. والعلموية هي مذهب يقرّر الاكتفاء بالعلم من حيث قدرته على بحث المسائل الدائرة على المعرفة البشرية.

وبعد هروبه من السجن العلموي اعتنق غارودي المسيحية التي اختارها برغبة لا عن كراهية، فهو يقول: "ففي عام1933، هجرت اللادينية (حيث كانت أسرتي لا دين لها) وكان عمري خمسة عشر عاما... ودخلت المسيحية. وذلك جراء امتداد الأزمة الأمريكية (1929) إلى أوربا... فأُحرِق القمح ونُحرت الأبقار الحلوب... وارتفع عدد العاطلين عن العمل إلى 70مليونا وانتشر الجوع. وبالتالي وصل هتلر إلى السلطة... وقتذاك بلغتُ سنّ النّضج، وشاهدتُ نهاية العالم، وعشتُ الكارثة.. وشهدتُ نور الشمس، في عائلة لادينية وتقليدية من حيث الالتزام السياسي.. فاخترت المسيحية ديناً .. "[2]. ومن خلال ما قاله غارودي هنا نجده رغم حداثة سنه يربط هذه الأحداث وغيرها بغياب الوازع الديني في المجتمعات الغربية، الشيء الذي جعله يرجع للتّعلق بدين أجداده.

---

[1] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، تر: داليا المنطوخي وناهد عبد الحميد وسامي مندور، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2004. ج1، ص17.

[2] ـ رامي كلاوي، روجيه غارودي من الإلحاد الى الإيمان، دار قتيبة، دمشق، ط 3، 1994، ص189- 190.

وعن اختيار غارودي للمسيحية يشير محمد عثمان الخشت إلى ملاحظة هامّة، وهي أنّ غارودي وهو الطالب في هذه السن المبكرة لم يكن بإمكانه إلا أن يختار المسيحية، فلم يكن له فرصة التعرف على غيرها من الأديان، فذكر ما قاله غارودي في معرض انتقاده لبرامج التربية القومية الرسمية، التي يصاغ من خلالها فكر الفرد الغربي: "أتخذ مثلا على ذلك من نفسي، فأنا البارز في الفلسفة، اجتزت امتحاناتي دون أن أعرف كلمة واحدة عن فلاسفة الهند والصين والإسلام"[1].

ويُبيّن غارودي حقيقة تديّنه وإيمانه فيقول: "كنت في شبابي مسيحيا مؤمناً بالاختيار لا بالوراثة. وكنت رئيسا للطلبة المسيحيين البروتستنت. وآمنت بالدين على أنّه عمل وفعل وتحرّك والتزام. ثم تحت تأثير قراءاتي تحوّلت فكريا إلى الماركسية. كان تحوّلا فكريا، أما في الشعور القلبي فقد بقيت مؤمناً، وكان همّي في الحزب الربط بين الإيمان المسيحي والفكرة الماركسية، على أساس أنّ الماركسيين يناضلون في الأرض ليجد المسيحيون بداية السماء... "[2]. فكان همّ غارودي تحقيق التكامل بين من يعملون لتحسين مستوى حياتهم الدنيوية والارتقاء به، ومن تعلّقت قلوبهم بملكوت السماوات، وتحرير الإنسان الذي هو كائن سلبي في الفلسفة الشيوعية، وهو عند المسيحيين لا إرادة له إزاء قوة المادة والاقتصاد من ناحية، أو قوة اللاهوت من ناحية أخرى. وكان غارودي موقنا بأنّ لكلا الطرفين نُقص لابدّ أن يكمله من عند الآخر، ولم يكن ارتباطه بأحد الطرفين تعصّبا فيُغفل نظرة التقييم للواقع الذي ينتمي إليه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ غارودي كان يؤمن بالمسيحية ولكن بخلفية الفهم الماركسي للدين، وهذا ما ذهب إليه في رسالته لنيل شهادة الدكتوراه (النظرية المادية للمعرفة): "ففي زمن كان فيه الإنسان عاجزا حيال قوى تجابهه وتسيطر عليه، كانت

[1] ـ محمد عثمان الخشت، روجيه جارودي، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، مكتبة القرآن، القاهرة، ص28.

[2] ـ رامي كلاوي، مرجع سابق، ص 121- 122.

هذه القوى غامضة بالنسبة إليه، وكان يعطيها صفة فائقة للطبيعة، كانت هذه القوى قبل كل شيء قوى الطبيعة، ثم أضيف إليها قوى المجتمع، فالتمثيلات الدينية هي انعكاس خيالي ومشوّه لهذه القوى في حياة الناس"[1].

وفي هذا السياق يقول محسن الميلي صاحب كتاب المشكلة الدينية عند غارودي: "والواقع أنّنا عندما نعود إلى مؤلفاته الأولى، نرى غارودي يتعامل مع الدّين بوصفه ظاهرة إنسانية تاريخية، في نشأتها وتطوّرها وانحلالها وزوالها، مستبعدا كل وحي إلهي متعالي عن التاريخ. ولم يكن هذا الموقف إلا صدى للتفسير الماركسي للدين، لذلك نراه يكتفي بتحليله دون إخضاعه للتحليل النقدي، مما يدلّ على انخراطه فيه دون تحفظ"[2].

إلا أنّ غارودي وبعد أن اكتشف حقيقة السياسة الستالينية الإرهابية في السوفييت، وصدور رسالته "النظرية المادية للمعرفة" في كتاب، والتي كان فكر ستالين بارزا فيها، أمر بمنع طبعها ثانية، بل اعتبرها أسوأ مُؤَلّف في حياته. وذلك لأنّه تراجع أو تخفّظ على الأقل على ما جاء فيها من أفكار خاصة تصوّرُه للدين. وبعد صدمة الحقيقة التي اكتشفها غارودي عن ستالين، تفطّن لإيمانٍ مخدّر بداخله عندما أصبح يبحث عن البديل، فقد كتب في خاتمة كتابه "البديل" قائلا: "إنّه لانقلاب رهيب في حياة إنسان من النّاس، أن يكتشف بعد طول ما جاهر بإلحاده، المسيحي (يتكلم غارودي عن نفسه) الذي يحمله بين جنباته والذي ربّما لم يكفَّ قط عن حمله بين جنباته، وأن يتحمل مسؤولية هذا الرجاء"[3].

عاد غارودي إلى التزامه بالمسيحية وأصبح يقول: "لقد تساءلت طوال حياتي عمّا إذا كنت مسيحيا، وطوال أربعين عاما أجبت بالنفي، وهذا لأنّ المشكلة كانت تطرح على غير وجهها الصحيح، فكأنّ الإيمان يتناف وحياة المناضل، وإني لواثق من الآن

[1] ـ غارودي، النظرية المادية في المعرفة، تعريب، إبرهيم قرنيط، دار دمشق، ص455.
[2] ـ محسن الميلي، مرجع سابق، ص71.
[3] ـ غارودي، البديل، تر: جورج طرابيشي، دار الأدب، بيروت، ط2، 1988م، ص230.

فصاعداً بأنّهما شيء واحد، وبأنّ رجائي كمناضل لن يكون له أساس بدون هذا الإيمان. وإذا كنت الآن أتردّد في الإجابة بالإيجاب فهذا لأسباب أخرى، فمثل هذا الإيمان يبدو لي قوة تفجيرية هائلة، لا يستطيع الإنسان أن يزعم أنّه يمتلكها قبل أن يتحقق منها في العمل المثير للأسئلة وللقلق، اللّهم إلا إذا كان دعّيا مغرورا. وهذا التّحقق لن يُتاح للمرء إلا في نهاية حياته لا في منتصفها، أي بعد أن يكون قد أنجز نصيبه من الخلق كاملا. ولست أعتقد أنّ هذا الوعي شخصي، فهذا التساؤل هو على اختلاف أشكاله، تساءل الملايين من البشر في هذه اللحظة من انعطاف التاريخ. إنّه علامة من علامات الزمن، ولحظة من ثقافتنا ومن أزمة الحضارة .. "[1].

والملاحظ أنّ هذه العبارة تثير تساؤلا عن مدى إيمان غارودي بالمسيحية قبل سن الأربعين. فيبدو أنّه كان انتماءً وراثيا للمسيحية لا إيمانا بها، مع العلم أنّ غارودي له مفهومه الخاص للإيمان، فهو يعتبره تراكم لأفعال الإنسان المتوافقة مع إرادة الله من الخلق. فلا يصل الإنسان حسب غارودي، إلى قوة الإيمان إلا في نهاية حياته.

وقد كان لقاء غارودي مع الراهب كيركغارد رائد الوجودية المؤمنة، محطّة لردّ الاعتبار لكل معنى إلهي عنده، فهو يقول: "عندما قابلت مصادفة كييركجارد البروتستانتي، أدركت بأنّ هناك، بعيدا عن منطقنا الضعيف وأخلاقنا التافهة، تضحيات مشابهة لتضحية إبراهيم (عليه السلام) والتي تبدو في ظاهرها غير عاقلة، لأنّها انقطعت عن كل المعايير القبلية"[2].

كما كان لهذا التّحول أثره البالغ على مشروع غارودي بعد ذلك، فقد قال: "لقد قادتني حكمة الحكماء، وفي مقدمتهم (كيركغارد) إلى العقيدة الإبراهيمية التي تبدأ حيث ينتهي التفكير العقلي... فالهدف أو الغاية هي العالم الخالي من البؤس

[1] ـ المصدر السابق، ص113.

[2] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص17.

والاضطهاد... عالم يمكن لكل إنسان فيه أن يُظهر طاقاته الإنسانية الكامنة (على صورة الله) المثلى.. فهذا هو الجانب اللاهوتي"[1].

أما عن ذهاب غارودي إلى الماركسية، فذلك لأنّه رأى فيها الأسلوب الأمثل لمعالجة المشكلات الإنسانية المستعصية، فقد أخذ على عاتقه مهمّة إصلاح الجماهير وجاهر بدعوته قائلا: "المادية الديالكتيكية تتيح لنا استبعاد كل ما يشكّل عقبة في طريق البحث، ويجعله عقيما. وهي أداة العمل الذي لا غنى عنها لكل عالم يهتم بأن لا تنضب خصوبة فكره أو بحثه، بسبب أي وهم مسبق، مضاد للعلم"[2]. من هذا المنطلق جمع غارودي بين المسيحية والماركسية، وقد سجّل له التاريخ في سنة 1964 موقفه من تقرير القائد السوفياتي ايلليتشيف، كأمر مناقض للماركسية، إذ يعلن فيه هذا القائد أنّه لم يكن في وسع الشيوعية أن تُبنى طالما بقيت المسيحية، الأمر الذي رأى فيه غارودي أنّه يعكس حدود النظرية الماركسية في الاستيلاب[3].

ب - غارودي والإسلام

وبعد مساعي غارودي الجادّة للتوفيق بين المسيحية والشيوعية لإيجاد حلول لمشاكل المجتمع الفرنسي أوّلا ثم المجتمع الأوربي والعالم ككل، خابت آمال غارودي في هذه المحاولة، عندما اكتشف حقيقة الاشتراكية السوفياتية وأعمال ستالين الدكتاتورية، في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي. كما أنّه لم يجد ما كان ينتظره في المجمع المسيحي الفاتيكاني الثاني سنة1965م، فعلم أنّ جذور الإشكال تمتدّ إلى أكثر من ذلك، الأمر الذي أدّى بغارودي إلى مواصلة رحلته الفكرية واتّجه إلى الدراسة والبحث في الحضارات جميعا، وبدأ غارودي بدراسة الأديان وأبدى اهتماما خاصا بالإسلام: "ليجد فيه الإنسان الإيجابي، له إرادة خاضعة بطبيعة الحال لإرادة

[1]- رامي الكلاوي، مرجع سابق، ص190.
[2] - محمد عثمان الخشت، مرجع سابق، ص32.
[3] - غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص57.

الله تعالى الذي يقول في كتابه الكريم، **(سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرض جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الجاثية: 13].** فالإسلام يقرّر أن الإنسان هو القوة العليا في الأرض، وأنّ القوى المادية والاقتصادية مسخّرة لإرادته، وليس هو المسخّر لإرادتها، ومصداق ذلك الإسلام ذاته، فهو لا يسير حسب التّطور الحتمي الذي يرسمه مبدأ المادية الجدلية، وحين كان النّاس مسلمين في صدر الإسلام لم يشعروا أنّ التطور الاقتصادي قوة جبرية تُخضعهم لها وهي (مستقلة عن إرادتهم) كما يقول كارل ماركس، وإنّما أحسّوا أنّهم هم الذين يصنعون الاقتصاد، كما وجّههم الله سبحانه وتعالى على يد رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم). وهم يُنشؤون العلاقات الاجتماعية على هدي الإسلام، فيُحرّرون الرقيق بغير موجِب اقتصادي يُحتّم عليهم تحريرهم، ويَحولون دون الإقطاع مع أنّه ظل قائما مئات السنين في أوربا في غير العالم الإسلامي"[1].

تلك الدراسات تُوّجت بتأليف غارودي لعدة كتب عن الإسلام، وجعلته يتعرّف عليه من الداخل. فوجد فيه كثيرا من الحقائق التي كان يبحث عنها، وكشف عن نظرة الإقصاء والتهميش للإسلام، التي تبنّتها المؤسسات الغربية المتسلّطة بين الغربيين، لتبعدهم عن هذا الدين، وكشف عن قدرة الإسلام وإمكانياته في حلّ مشاكل العصر، وقد صرّح بكل ذلك قبل إسلامه.

وفي الثاني من جويلية 1982م أشهر غارودي إسلامه بسويسرا، التي كان يزورها لإلقاء بعض المحاضرات الجامعية. وتَسمّى بـ: محمد رجاء غارودي. ويذكر غارودي أنّه كانت له مواقف مع مسلمين، كان لها الأثر البالغ في حياته. من ذلك أنّه وبسبب مواقفه ضد حكومة فيشي الفرنسية إبّان الحرب، اعتُبِر تهديدا للأمن العام، فاعتقل حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، في المعسكر الفرنسي الإستعماري، بمنطقة الجلفة في الصحراء الجزائرية، ووقع له حادث تعجّب له كثيرا، حينما قاد تمرّدا في معسكر

[1] ـ أمينة الصاوي، مرجع سابق، ص105ـ106.

الاعتقال، وأجرى الكوماندور الفرنسي قائد المعسكر محاكمة سريعة، وأصدر حكما بإعدامه رميا بالرّصاص. وأمر الجنود الجزائريين بقتله، فرفض هؤلاء تنفيذ حكم إطلاق النّار. ولما استفسر عن رفضهم قتله، علم بأن شرف المحارب المسلم يمنعه من أن يطلق الرصاص على إنسان أعزل.

فكانت هذه أول مرة يتعرف فيها غارودي على الإسلام وقيمه، بل ذهب إلى حد أنّه قال: "وقد علّمني (هذا الموقف) أكثر من دراسة عشر سنوات في السربون... ". ثم إنّ غارودي بقي مدة عام في الجزائر بعد إطلاق سراحه، إلتقى فيها بالشيخ البشير الإبراهيمي (رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنذاك) أين زاره بصحبة الجزائري عمار أوزيجان(صاحب كتاب الجهاد الأفضل)، وفي مقرّ الشيخ الإبراهيمي، وقف غارودي على صورة الأمير عبد القادر الجزائري (عدوّ فرنسا). والذي عرَّفه الشيخ الإبراهيمي على أنّه البطل المحارب والعابد الناسك، فاعتبره غارودي من أعظم أبطال القرن العشرين. ويُعتبر هذا الدرس الثاني الذي يلتقي فيه غارودي بالإسلام والإنسان المسلم[1].

وهو ما جعل غارودي الباحث عن الحقيقة يقول: "ما كان يشغلني هو البحث عن النقطة التي يلتقي فيها الوجدان بالعقل، أو الإبداع الفني والشعري بالعمل السياسي العقدي، وقد مكّنني الإسلام من بلوغ نقطة التوحيد بينهما، ففي حين أنّ الأحداث في عالمنا تبدو عمياء متطاحنة وقائمة على النمو الكمّي والعنف، يروّضنا القرآن الكريم على اعتبار الكون والبشرية وحدة واحدة، يكتسب فيها الدور الذي يُسهم به الإنسان معنى، في حين أنّ نسيان الله يجعل منّا عبيدا هامشيين خاضعين لضرورات وصدف خارجية، فإن ذكر الله في الصلاة يكسبنا وعيا بمركزنا وبموردنا الذي هو أصل الوجود... "[2].

[1] ـ ينظر: رامي الكلاوي، مرجع سابق، ص 130ـ131.
[2] ـ المرجع نفسه، ص135.

وفي سياق آخر يقول غارودي: "وعليه رأيت أنّ رسالة محمد تُدير حياتنا، كما تدير العلاقات الاجتماعية بجملها. وهذا ما أبحث فيه طيلة نصف قرن. أي أنّ هذه العقيدة لا يأخذ فيها (الخضوع) معنى (الاستسلام) بل الردّ الحر والمسؤول، مستبعدة كل قدرية... كما تنفتح على العقائد السماوية كلّها، وترغب في تصفية نقاء وطهارة الرسالة، ضد التحريفات العنصرية للنّبوة اليهودية والصهيونية العالمية والتلويث المقصود. فالإنسان خليفة الله على الأرض، والمسؤول عن تاريخه وعن البحث عن الهدف الإلهي وعن تحقيقه"[1].

وعن سبب إسلامه يقول غارودي: "هي قصة طويلة مرتبطة بحياتي كلّها، حيث إنّ شغلي الشاغل طوال حياتي كان محاولة العثور على معنى للحياة... وجدت في الإسلام دين التفتح والعمل والجمال... هو دين التفتح لأنّه يختلف عن اليهودية، التي انغلقت على مفاهيم التّعصب العنصري، وهي الأفكار التي تتبناها اليوم إسرائيل... فالإسلام منفتح على باقي الحضارات، وهذا ما يجذبني إلى الحضارة الإسلامية، كما أنّ الإسلام قد بعث الحياة في الثقافات المختلفة... والإسلام دين الجمال كما نراه في الأعمال التي تركها من المساجد العظيمة التي لا يشكّ أحد في أنّها تعبر عن عقيدة واحدة تجدها ذات معمار مختلف تمام الاختلاف، وتُعبّر عن ثقافات مختلفة، ولكنّنا نشعر بأنّنا في مجال روحاني إسلامي... أقول ذلك بحكم أنّني كنت أقوم بتدريس علم الجمال في الجامعة... لقد وجدت في الإسلام التوافق بين العمل السياسي والإيمان... وأعتقد أنّ الإسلام سيكون له مستقبل باهر، كما كان في ماضيه أمام انهيار وإفلاس الغرب الرأسمالي والشيوعية الشمولية... كما أنّ الإسلام دين الأخلاقيات والعمل، ولذا فإنني أعتقد أنّ الإسلام هو الدين الوحيد اليوم القادر على حلّ مشاكلنا، ولهذا أسلمت بسعادة وحماسة"[2].

---

[1]- المرجع السابق، ص191-192.

[2] - محمد كامل عبد الصمد، الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1995، ج1، ص84-85.

ج - اتّهام غارودي بالردّة

انتشر خبر إسلام غارودي، واشتهر اسمه، خاصة في الأوساط العربية والإسلامية. فكتبت عليه وسائل الإعلام، واستقبله الرؤساء، منهم جمال عبد الناصر، أحمد بن بلة ثم هواري بومدين ومعمر القذافي، وكذلك الخميني وغيرهم. وقد يكون غارودي هو من شجّع بعضهم لبناء نماذج جديدة للاشتراكية في البلدان العربية، فقد نادى غارودي بذلك في الكثير من المناسبات. كما استدعته الهيئات والمؤسسات مدرّسا ومحاضرا فلم يدّخر جهدا لتلبية تلك الدعوات.

وفي ظل تسابق الجميع على هذه الشخصية العالمية، ذهب البعض إلى إقحام الرجل في مواضيع توقَّف فيها أهل الاختصاص من علماء الإسلام، فأخذ غارودي وهو المفكر والفيلسوف الغربي يُعطي رأيه فيها. فقد اعتاد الكلام دون أن تحدّه القيود أو الطابوهات، فكان يُصيب أحيانا ويخطأ في أخرى. وبعد مسار فيه الكثير من العطاءات بدأت أقاويل تحوم حول الرجل بين الارتداد والكفر. إلا أنّ المتتبع لمن رموه بهذه التهم كانوا هم السبّاقين إلى الإعلاء من شأنه. وتجدر الإشارة إلى أنّ غارودي عُرف بأنّه يتخلى عن رأيه إذا وجد فيه خطأ.

وفي هذا الإطار نذكُر ما قاله الشيخ البوطي في كتابه (شخصيات استوقفتني) الذي يقف فيه مع بعض الشخصيات التي أثير حولها جدل في الأوساط الإسلامية، فكان من بينهم روجيه غارودي، لمّا شكّك البعض في إسلامه، وأشاعوا ذلك وروجوا له، نسجلها هنا على طولها لدقة ما جاء فيها، إذ يقول الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي: "غير أنّي اطلعت منذ حين، على حوار أجرته معه مجلة (المجلة)، استوقفني فيه آراء وأفكار نسبت إليه، ليس لها أي وجه من الصحة، ولا تتفق مع ما أعرفه من صدق إسلام الرجل، كما لا تتفق مع ما رأيته من سلوكه!... لقد داخلتني الريبة في أن يكون الرجل قد آل أمره فعلا إلى أن ينتكس في فهمه للإسلام وتعامله معه وتطبيقه له إلى هذا الحد!... ثم إنّ الريبة تحولت فداخلتني من أمر هذا الحوار كلّه، عندما علمت

أنّ روجيه غارودي أعلن أنّه لا علم له بكثير مما نسب إليه... ثم إنّ الريبة ازدادت لديّ عندما تبيّن أن توقيت هذا الحوار جاء متزامنا مع مواقف غارودي المعلنة من الصهيونية العالمية وإسرائيل، والتي أفرزت كتابه (الخرافات المؤسسة للسياسة الإسرائيلية). المهم أن شائعة سرت، بعد موقف غارودي هذا، في أوساط كثيرة، بأنّه قد ارتد عن الإسلام!.. وقال قائلون إنّ الرجل تظاهر بالإسلام ليفسده من داخله، وكأنّ موقفه العدائي المعلن من الصهيونية العالمية، هو الدليل على رغبته في أن يفسد الإسلام من داخله!.. ولقد راجت أخيرا سوق الأحكام الغيبية بالردّة. اعتمادا على أيّ تهمة، أو اعتمادا على أيّ قال أو قيل، دون أن يكون للإسلام وشرعته أي وجود مهيمن في هذه الأسواق الرائجة. إنّني لا أنكر أن تعامل غارودي مع الإسلام، صاحبه كثير من الأخطاء، ربما في فهمه.. ولكن المسلمين الذين بالغوا في الاهتمام بإسلامه والاحتفاء بفكره الديني، يتحمّلون مسؤولية كثير من هذه الأخطاء!.. ذلك لأنّ الرجل ما أن أعلن إسلامه، حتى أخذت كثير من المؤسسات والجهات الإسلامية، ينظرون إليه على أنّه تحول فجأة من منظِّر ماركسي إلى منظِّر إسلامي كبير.. وللحقيقة أقول: إنّ غارودي لم يكن ينظر إلى نفسه على هذا الاعتبار.. بل لقد كانوا يدعونه معلّما ومحاضرا، فيستجيب دارسا ومتعلّما.. غير أنّه كان مضطراً في الوقت ذاته، إلى أن يتحدث عن أفكاره ووجهات نظره من خلال ما قد يُكلّف به من محاضرات ومحاور ونحوها.. ومن جهة أخرى فقد رأت بعض المحاور السياسية المتنافسة في منطقتنا العربية والإسلامية، أنّ الرجل باسمه العالمي وتوجهه الإسلامي الجديد، يمكن أن يكون مبعث كسب سياسي، ومصدر سمعة إعلامية مفيدة لها، لو تمّ استغلال توجهه الإسلامي بدقة متناهية.. فكانت النتيجة التي أعقبت خيبة الآمال المصلحية التي كانت منوطة به، أن عاد أصحاب تلك الآمال، فاتخذوا منه موقف المستهين بشأنه، ثم المعادي له، ثم المشكك في إسلامه، وراحوا يتلمّسون له الأخطاء والعثرات.. وكأنّهم يستردّون بذلك الثّقة التي كانوا قد منحوها إيّاه!.. والذي أُجزم

به، أنّه لا الاهتمام الأول بشأنه كانت نتيجة صدق إسلامه، ولا تهوينهم من شأنه بعد ذلك، كان نتيجة شكوك ساورتهم بصدق إسلامه... وإنّما هو الانقياد في الحالتين وراء مصالح أطمعتهم به في بادئ الأمر، ثم أيستهم منه فيما بعد.. ثم إنّ مواقفه المعلنة عن إسرائيل، وكتابه الوثائقي الذي أصدره عنها حرّك الدوائر الصهيونية في أوربا ضده، وحرّك عملائها في العالم العربي والإسلامي لتحطيم سمعته، ولبعث أسباب الريبة في إسلامه"[1]. هذه الشهادة من الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي (عليه رحمة الله) تكشف عن كيفية تعامل بعض الجهات مع روجيه غارودي المسلم، الذي تم بعدها اتّهامه بالردة.

ومن الأسباب التي يُشير غارودي أنّها كانت وراء الانتقادات والاتّهامات التي وُجّهت له، أنّه تكلّم عن التزمّت (يهوديا كان أو مسيحيا أو إسلاميا). ومَثّل للفسق السياسي ببعض الأنظمة العربية، وكشف عن عدم وقوفها مع الثلاثية التي وجدها في الإسلام وهي أنّ: الملك لله وحده أولاً (ففي هذه الدول وجد البذخ واستعباد البنغاليين والفلبينيين). وأنّ الأمر لله وحده ثانيا (فقد وجد في هذه الدول الملكية المطلقة هي التي تخلق القوانين والدساتير). ثم أنّ العلم لله وحده ثالثاً (فقد وجد هذه الدول تفرض عقائد دغماتية هي اجتهاد في الفهم من بعض شيوخها). وتكلّم غارودي عن سياسة دول عربية أخرى، واعتبرها عميلة لأمريكا (وذكر منها من خُفّضت لها الديون مقابل دخول الحرب ضد العراق)، فلمّا كان هذا موقفه منهم، قال: أنّه لهذا السبب وجهوا انتقاداتهم إليه[2].

وفي المقابل نجد عادل التل في كتابه (فكر جارودي بين المادية والإسلام) يذكر مفاهيم غارودي في العقائد الإسلامية ويُبيّن وجه مخالفتها للكتاب والسنة، إلا أنّه لا يذهب إلى حكم محدّد تجاه إسلام غارودي. وهو يؤكد على بطلان منهج غارودي

[1] ـ محمد سعيد رمضان البوطي، شخصيات إستوقفتني، دار الفكر، 2001، ص214ـ217.
[2] ـ غارودي، هذه وصيتي للقرن21، إعداد، شاكر نوري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2007، ص40.

وعدم صلاحيته لدراسة القضايا الإسلامية. فهو ينتقد مفهوم غارودي للإيمان، الذي يجعله مماثلا للنّظرية السياسية، التي هي مُهمّة لا بد من إنجازها[1]. والمقصود هنا هو المنهج المادي التاريخي الماركسي، الذي بقيت آثاره على منهج غارودي حتى بعد تخليه عن الماركسية وإعلانه لفشلها.

فغارودي الذي يتبنّى فلسفة الفعل والانجاز والواقعية، التي تدعو للعمل والإبداع، لا يرضى بالتوقّف عند الإقرار بالقلب، فهو لا يعتبر صاحب ذلك الايمان مؤمنا، بل يرى ضرورة تحقق الإنسان بالإيمان، ولذلك نجده يربط الإقرار القلبي بعمل الجوارح، فغارودي يعتبر أنّ الإيمان هو مهمة وعمل في حياة الإنسان لا بد من إنجازه. فقد يكون غارودي لم يوفق لتعبير هنا، ولكنه يتكلم على أن الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.

وفي موضوع مسؤولية الإنسان وعلاقته بربّه والطبيعة، يرى عادل التل أنّ غارودي متأثر في تفسيره لهذه المسؤولية بالموروث الروماني اليوناني ورواسب المعتقدات اليهودية والمسيحية، أين يظهر في التفكير الغربي معنى الإله الغائب والإنسان الحاضر، وكيف أصبح الإنسان وريث الإله المُتعب (تعالى الله عن ذلك)، وأصبح الانسان هو الحاكم في الأرض. ويضيف التل أنّ غارودي وخاصة بعد إسلامه يرى أنّ الإله متعالٍ ومحايث، وهو متأثر في هذا التّصور برأي متصوفة الإسلام. وفي موضوع اليوم الآخر والبعث والحساب، يقف عادل التل على مخالفة غارودي للتصوّر الإسلامي الذي لا خلاف فيه، وقد فصّلت فيه الآيات والأحاديث الشريفة[2]، فيأتي الفهم المريب عند غارودي لهذه المسائل الغيبية وغيرها ومردّ ذلك لمغالاته في اعتبار الرمزية في الوحي الإلهي.

[1] ـ عادل التل، فكر جارودي بين المادية والاسلام، دار البينة، بيروت، ط2، 1997م، ص45.
[2] ـ المرجع نفسه، ص47ـ50.

فهو يذهب إلى القول بأنّ البعث ممكن في كل يوم من حياة الإنسان، وأنّه ليس بظاهرة كيماوية يُنشر فيها البشر (لحما ودما)، وأنّ اعتبار الحساب يعقِب هذه الحياة يُخالف كون الإله خارج مفهومنا للزمان وتعاقب القبلي والبعدي. فالحساب عند غارودي ليس إلا الحياة بصفاء مع الله في كل آن[1]. وتظهر في هذه الأفكار رواسب الفكر الماركسي من الجدلية التاريخية والمادية، التي امتزجت بفكر غارودي وذابت فيه، فلم يستطع التخلي عنها بعد إسلامه، وبقيت حاضرة في فكره.

فهذا الارتياب حول حقيقة إسلام غارودي يرجع إلى الغموض في بعض أفكاره، فمن أقواله المشهورة قوله: "دخلت الإسلام وبإحدى يدي الإنجيل، وباليد الأخرى كتاب رأس المال لماركس، ولست مستعداً للتخلي عن أي منهما"[2]. وقال غارودي: "عندما أعلنت إسلامي لم أكن أعتقد بأنّي أتخلّى عن مسيحيتي، ولا عن ماركسيتي، ولا أهتمّ بأن يبدو هذا متناقضاً أو مبتدعاً"[3].

وهو يقول أيضاً: "أنا جئت للإسلام بعد مسيرة طويلة تنقّلت فيها بين الفلسفة المحضة والمسيحية والماركسية، وانتهيت إلى الإسلام دون التخلّي عن اعتقاداتي الخاصة وقناعاتي الفكرية؛ لأن انتقالي إلى الإسلام لا يُعتبر انقطاعاً من ماضٍ؛ بل هو تواصل لذلك الماضي الطويل الذي عشت فيه تجارب كثيرة، والدّين الذي أنا عليه اليوم هو توفيق بين الإسلام وما سبقه من ديانات... وكوني أصبحت مسلماً فهذا لا يعني أنّي تخليت عن اعتقاداتي الدينية والفلسفية السابقة. لذلك فأنا عندما أنشأت متحف قرطبة للحضارة الإسلامية قبل ست سنوات في إسبانيا؛ قمت في هذه المناسبة بعقد مؤتمر ديني إبراهيمي، أسندت رئاسته بالتساوي إلى ثلاث شخصيات إسلامية ومسيحية ويهودية"[4].

[1] ـ ينظر: مقدمة غارودي لكتاب المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص7.
[2] ـ ينظر: محسن الميلي، مرجع سابق، ص279.
[3] ـ رامي كلاوي، حوار مع غرودي، مرجع سابق، ص200.
[4] ـ مجلة المجلة، حوار مع غارودي، العدد (839)، شوال 1416ه.

ومن الأفكار الغامضة في فكر غارودي، أنّه لما سئل عن الازدواجية التي يمارسها عند إيمانه بأديان متباينة، وفلسفات متناقضة، وكيف يمكننا أن نفهم غارودي المسيحي، وغارودي الماركسي، وغارودي المسلم؟ أجاب: "لقد قادتني حكمة الحكماء، وفي مقدمتهم "كيركغارد" إلى العقيدة الإبراهيمية... وعليه فإنّني لا أرى تناقضاً في اختياري هذا، أي في الازدواجية. بل على العكس إنّي أرى تكاملاً بين الغايات والوسائل... إنّ إيماني بالإسلام هو إنجاز وليس انشقاقاً، في الوقت الذي لا أنكر فيه المسيح ولا ماركس.. أنا سعيدٌ الآن وأنا في السبعين من عمري لأنّني بقيت مخلصاً لأفكاري"[1].

ويظهر التذبذب والاضطراب في فكر غارودي، فهو يجمع بين صحة الدين وبين أصحابه والمتدينين به ومدى فهم لدينهم، فقد قال أن: "إنجاب ديانات متعددة، وإنّ هذا التعدد هو غنى؛ لأنّه يُتيح لنا فرصة تعميق إيماننا وإدراك تميُزه، ويُتيح لنا فرصة التخلّص من وهمنا القائم على اعتبار ديانتنا الديانة الحقيقية الوحيدة، لأنّنا نجهل الديانات الأخرى". فهو يتكلم هنا عن التعددية الدينية، وأنه لا يشترط أن هناك ديانة واحدة على الحق، ثم يقول بعدها: "ليس الأمر تسامحاً ... بل إنّه احترام التجارب المختلفة عن تجاربنا، واحترام الوجود الذي يتجاوزنا"[2]. فهو يتكلم عن تجارب بعض الشعوب وأديانهم الوضعية وما وضع من تقاليد دينية، إلا أن احترام حرية الاخرين في معتقداتهم ومقدساتهم، لا يعني مداهنتهم والقول بعدم بطلانها.

فتأكيداً منه على ضرورة احترام التجارب المختلفة، نجد أن غارودي يدعو في كتابه " نداء إلى الأحياء" إلى: "عدم الطلب إلى المسيحي بأن يصبح بوذياً، أو إلى المسلم بأن

[1] ـ رامي كلاوي، مرجع سابق، ص188ـ193.

[2] ـ غارودي، حفارو القبور، تر: عزة صبحي، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002م، ص159، 160.

يصبح مسيحياً. بل مساعدة البوذي على أن يصبح بوذياً أفضل، والمسيحي مسيحياً أفضل، والمسلم مسلماً أفضل، فالأفضل يعني القادر على تعميق إيمانه وإدراكه لله"[1].

ويقول غارودي كذلك: "لقد حان الوقت للقول بوضوح، إنّ المرء يكون هندوسياً أو بوذياً، أو يهودياً، أو مسيحياً، أو مسلماً، ليس بما يعتقد، وإنّما بما يفعل. وانطلاقاً من هنا أن نُقدّر ما تُقدّمه كل عقيدة دينية لتأنيس الإنسان". فالأهم في رأي غارودي هي الأفعال التي تدلّ على ما نعتقده، والمهمّ بالنسبة له هو ما تقدّمه تلك العقائد للإعلاء من القيم الإنسانية وتحقيقها في الواقع. ورغم أن غارودي صحيح إذ يرى أنّ قيمة العقائد بما تقدّمه للإنسانية من قيم، لكنه جانب الصواب إذ لم يهتم بما تقدّمه من تصور صحيح عن الألوهية، وما ترسمه من رؤية كونية سليمة، تتوافق مع الفطرة الإنسانية، ولا تتعارض مع المنطق والأدلة العقلية الصريحة والأدلة النقلية الصحيحة.

ومن خلال الآراء التي ذكرناها يظهر الغموض في فهم غارودي للإسلام، فهو يصرّ على أن يكون متحرّرا في فهمه له، لا يخلو ذلك التّصور الذي يرسمه للإسلام من التلفيق ومحاولة التّوفيق بين مختلف المذاهب والأديان، سعيا منه للمضي في مسار حوار الحضارات الذي عمل عليه غارودي إلى آخر حياته. وهو ما جعل البعض يعتبره من القائلين بالعقيدة الإبراهيمية أو الإيمان الابراهيمي.

د - العقيدة الإبراهيمية ووحدة الأديان

تُعدّ هذه الفكرة من الأفكار المعقّدة التي يصعب فهم غارودي فيها، هذه الفكرة التي أخذها عن رجل الدين المسيحي "كيركغارد" الذي يُعتبر أب الوجودية المؤمنة. وقد تكلّم عنها غارودي كثيرا، حتى أنّه لمّا سُئل مرة عن اتّهامه بالردة عن الإسلام أجاب مندهشا: "لا أدري أيّ ارتداد في حالتي، إنّني في هذا العمر، بقيت مخلصا

[1] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص220.

لأحلامي عندما كنت في العشرين، يعني ذلك ربط الإيمان الإبراهيمي (اليهودي، المسيحي والإسلامي) بالفعل السياسي، وفي أحسن تحليلاته هو التحليل الماركسي.."[1].

فيظهر من هذا الكلام أنّ غارودي لا يهتم لاتّهامه بالردة، هذه التهمة التي تُعدّ ثقيلة جدّا على المسلم، وقد يرجع ذلك لتعوّد غارودي على هذه التّهمة، وهو الذي تميّز بالتّحولات الجذرية في حياته، وربما لأنّه لا يخشى عواقبها. لذلك ينتقل غارودي بعدها مباشرةً لربط هذا الإيمان بأحلامه ومشروعه الداعي إلى الوحدة الإنسانية، وإيجاد حل لأزمة الحضارة الإنسانية. فغارودي يرى ضرورة ربَط الإيمان بالفعل السياسي، أي أن يكون له أثره على هذا المستوى، وهو يرى أنّ منهجية العمل الناجعة لتحقيق ذلك، لا نجدها إلا في تحليلات ماركس.

ولمّا سُئل غارودي عمّا إذا كان تطوّر الإنسان في الغرب، قد يؤدي إلى تدهور الحضارة الغربية، ما جعله ينتسب إلى الحضارة العربية الإسلامية؟ أجاب: "إنّه ليس نسبا ولا انتسابا إنّني عندما أعلنت إسلامي لم أكن أعتقد بأنّي أتخلى عن مسيحيتي ولا عن ماركسيتي، ولا أهتم بأن يبدو هذا متناقضا أو مبتدعا.. "[2]. فهل هذه محاولة من غارودي لتجاوز الأسماء إلى المسمّيات؟، والمعلوم أنّ الرجل دخل الإسلام من باب التّصوف، وقد عُرف بحُبّه لابن عربي، الذي تجاوز كل المسمّيات والمفاهيم والحدود إلى المعاني والحقائق، وقد وقف غارودي مع أبيات ابن عربي الشعرية الشهيرة، في كتابه " نداء إلى الأحياء"، فذكر منها:

لقد كنت قبل اليوم أُنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه دان
فأصبح قلبي قابل كل صورة فمرعى لغزلان وبيت لأوثان
وديـر لرهبـان وأستـار كعبـة وأوراق توراة ومصحف قرآن
أديـن بـدين الحب أني توجهت ركائبه فالحُب ديـني وإيـماني

[1] ـ غارودي، هذه وصيتي، مصدر سابق، ص32.
[2] ـ رامي كلاوي، مرجع سابق، ص200.

وفي نفس الكتاب يقف غارودي مع مقولات وشعر كبار متصوفة الإسلام (كالجنيد ورابعة العدوية) ويسرد كلام ينسبه لجلال الدين الرومي، الشاعر الصوفي الفارسي، الذي عاش في القرن 13م، لا يختلف فحواه عمّا قاله غارودي سابقا: "لست مسيحيا ولا يهوديا ولا فارسيا مجوسيا ولا مسلما. لست لا من الشرق ولا من الغرب. مكاني هو إنّني من دون مكان. وأثري هو ما ليس له أثر... لقد أبعدت الثنائية، ورأيت أنّ العالمين لا يُشكلان إلا عالما واحدا. أبحث عن الأحد، أعرف الأحد، أرى الأحد، أتضرع إلى الأحد. هو المبدأ، وهو النهاية، هو الخارج وهو الداخل"[1].

هذه الفكرة نفسها يطرحها غارودي في كثير من كتبه، فهو يقول في كتابه (وعود الإسلام) : "بعد وفاة النبي بقرن واحد، بدا أنّ هذا الهدف الكبير آيل إلى تحقيق جماعة عالمية موحّدة بعقيدة واحدة، تستوعب عقيدة وثقافة الجميع، سواء كانت عقيدة السلسلة الإبراهيمية، من عظام الأنبياء: موسى ويسوع ومحمد، أو حِكم الهندوس وبوذا والمزدكيين... إنّ هذا الانفتاح على العالم وهذا الرجوع إلى ينابيع كل الديانات التي كان كل منها مرحلة من الملحمة الإنسانية، ومن خلق الله المستمر للإنسان الذي يحيا فيه، جعلا من الإسلام أكبر قوة للتكامل الروحي"[2].

وفي هذا الكلام لُبس كبير، لأنّ العقيدة الإسلامية تأقلمت مع مختلف الثقافات، من ناحية عادات وتقاليد الشعوب المنفتح عليها وحكمهم وقيمهم، ما لم تتعارض مع ركن من أركان الإيمان وما هو معروف في العقيدة الإسلامية وأحكام الشريعة الاسلامية ومقاصدها. ولا يمكن القول بأن العقيدة الإسلامية استوعبت عقائد الشعوب المختلفة، وفيها ما هو مخالف لها جملة وتفصيلا.

لقد وجد غارودي أنّ هذا الفهم للإيمان (الذي يسمّيه بالإيمان الإبراهيمي) هو الذي يخدم مشروعه لبداية حوار الحضارات، ولتوحيد الإنسانية وجمع كلمتها. فهو

[1] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص222.
[2] ـ غارودي، وعود الإسلام، الدار العالمية، ص178.

يرى بأنّ الحقيقة الموجودة في الإسلام هي نفسها موجودة في المسيحية التي جاء بها المسيح، فيقول: "... كانت المسيحية ثورة كبرى في الفكرة التي يُكوّنُها الإنسان عن الله، الذي كان يُصوَّر فيما قبل فقط كملك وكحاكم قدير قاس... فالسيّد المسيح وهو أسيوي مشرقي يُعطي لأول مرة فكرة التسامي الديني، ملازمة لفكرة التّجرد والحرمان... إلا أنّه لم تمض ثلاثة قرون على موت المسيح، حتى قام الإمبراطور قسطنطين في مجمع نيسبيبه (يقصد هنا مجمع نيقيا325م).. بتحديد مفاهيم الديانة المسيحية الجديدة، وإعطائها معاني جديدة... لقد تحوّلت الثورة الكبرى التي جاءت بها المسيحية الأولى، تماما إلى نقيضها في مجمع نيسبيبه، وتحوّلت عبارة السيد المسيح الثورية (دع لقيصر ما لقيصر وأعط الله ما لله) إلى عبارة محافظة في خدمة الإمبراطور. أي أصبحت تعني عدم التّدخل في أمور السلطة، التي تستطيع أن تفعل ما تريد. كما أصبحت تعني أنّ الإيمان قضية ذاتية داخلية. وهذا ما قاومته طوال حياتي، ففي عام 1933عندما أصبحت في ذات الوقت مسيحيا وعضوا في الحزب الشيوعي الفرنسي، كان ذلك يعني أنّني ألتزم بكوني مسيحيا بالسّنة الإبراهيمية العريقة، التي تُعطي حياتي معانيها وغاياتها، وألتزم بكوني ماركسيا بالجانب الآخر من المسألة، أي بالمنهج العملي التاريخي الذي يُعطيني وسائل وإمكانيات تحقيق غاياتي الحياتية، وهذا يبدو لي أساسي في الماركسية.."[1]. فغارودي يؤكد هنا على ضرورة التفريق بين ما جاء به المسيح (عليه السلام) وما آلت إليه المسيحية بعد أن تروّمت على يد الامبراطور الروماني قسطنطين.

وغارودي يُريد أن يقول بأنّه كان مسيحيا مختلفا عن أولئك الذين تصنعُهم الكنيسة، فنجده يقول: "إنّ المسيحية ليست هي العالم المسيحي، لأنّ العالم المسيحي ليس إلا المسيحية وقد عبّرت عن نفسها في بُنى الإمبراطورية الرومانية، متكيّفة مع النّظام

[1] ـ رامي كلاوي، مرجع سابق، ص200ـ 202.

الإقطاعي... "[1]. بهذا الفهم خاض غارودي غِمار التجربة الماركسية، بحثا عن منهج العمل وفلسفة الفعل والعمل والابداع، فأخذ ولمدة طويلة يعمل للتأليف بين ماركس وكيركجارد. إلا أنّه فشل في نهاية المطاف، في جعل نافذة الحوار بين المسيحيين والشيوعيين، تُسهم في تحرير الإنسان وإنقاذ الحضارة الغربية، وتفطّن أخيرا إلى أنّ قضية الإنسان المعاصر، هي قضية عالمية، ولابد لها من حلٍّ عالمي.

فلمّا فتح غارودي حوارا بين الحضارات اكتشف على رأي مبارك الميلي صاحب كتاب (المشكلة الدينية في فكر روجيه غارودي) أنّ في الإسلام التأليف الفعلي بين ماركس وكيركجارد، ووجد فيه بُعدي التعالي والجماعة. وأنّ مفهوم التعالي في الإسلام أوضح مما هو عليه في المسيحية، كما أنّ الرابطة الجماعية التي أقامها الإسلام لا يمكن اختزالها في النمط الاشتراكي، نتيجة ارتباطها الجوهري بالتوحيد والتعالي، وهي عناصر مفقودة في الفلسفة الماركسية [2].

فإذا عدنا إلى فهم غارودي للإسلام نجده يقول: "ليس الإسلام ديانة جديدة وُلدت مع تبشير النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بها، وليس للمسلمين إله خاص بهم وحدهم. إنّ كلمة (الله) هي الترجمة الحرفية لكلمة تعني الإله الواحد. فالمسيحي العربي يقول في صلاته وطقوسه (الربّ) لكي يبتهل إلى الله. كلمة (الإسلام) تعني الخضوع الإرادي الحر لله وحده، ويحتلّ ذلك قاسما مشتركا بين جميع الأديان المُنزلة: اليهودية، والمسيحية، والإسلام... إنّ الله أرسل محمد ليؤكد الرسالات السابقة عليه وليُتمّمها ويُطهّرها من التشويهات التي لحقت بها عبر التاريخ .. إنّ إبراهيم بخضوعه غير المشروط لإرادة الله، وبعيدا عن أخلاقياتنا الصغيرة ومنطقنا الضيّق، هو أب جميع المؤمنين ومُرشدهم المثالي، (مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) الحج: 78... إنّ الرسالة الأساسية والكونية

[1] ـ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص249.

[2] ـ محسن الميلي، مرجع سابق، ص276ـ277.

للإسلام تقوم كغيره من ديانات العالم السماوية والحكمية على مبدئين أساسيين (سمو الله ووحدانيته - ووحدة جميع البشر)"[1].

ولتأكيد هذا المعنى يعود غارودي إلى ابن عربي، وينسب إليه القول بأنّ الديانات الإبراهيمية الثلاث (اليهودية، المسيحية والإسلام) ليست سوي دين واحد، تأتي رسالة محمد تتويجا لها، وهذا بعد أن يذكر أن ابن عربي يقول بأن كل نبي من الأنبياء أضاف شيئا إلى الصورة البشرية، وأنه بشَّر بجزء من الرسالة السماوية، فإبراهيم (أبو المؤمنين) كما يدعوه القرآن، حطّم الأصنام وأقام التوحيد، وموسى أعطى معنى شموليا للشريعة، ويوسف أعطى العلاقة بين الجمال الذي يتبدّى في كائنات فانية وبين المطلق (الله) فهي تدلّ عليه، وعيسى هو (خاتم القداسة)، أما محمد فهو خاتم الأنبياء بُعث مخلّصا ومتمّما الرسالة النبوية، لكي تطبق في جميع مجالات الحياة[2].

وعليه نجد أن غارودي يبحث عن القواسم المشتركة بين الأديان، والحِكم الدينية الوضعية كذلك، ولو أدّى به الأمر إلى تصحيفها، فهو كما جاء في كتابه (لا لجارودي ووثيقة أشبيلية) لسعد عبد المقصود ظلام، ذو نزعة تلفيقية ترمي إلى جمع مصطنع بين شتات من أفكار أو دعاوى غير متلائمة لتكوين مذهب واحد. فقد دعا غارودي للوحدة بين الأديان ذاتها المنبعثة من مشكاة واحدة (الأديان الكتابية)، تحت مسمّى الدين الإبراهيمي، وفي ظل الماركسية التي يؤمن بها. ورغم أن غارودي يؤكد أنه يتكلم عن أصل الأديان السماوية وما هنالك من حقائق في الأديان الآخرى، فإن سعيد عبد المقصود يقول أن: "الهدف من الدعوة إلى الإبراهيمية، بيان أنّ الإسلام هو صورة مطورة عن اليهودية والنصرانية، بما تحويانه من تحريف وكفر وعقائد باطلة ويحاول غارودي إثبات أنّ الإسلام اليوم لن يستطيع أن يستأنف مسيرته إلا إذا

[1] ـ غارودي، الإسلام الحي، تر: دلال بواب ضاهر ومحمد كامل ضاهر، دار البيروني، بيروت، ط1، 1995م، ص15ـ17.

[2] ـ غارودي، الإسلام في الغرب، تر: محمد مهدي الصدر، دار الهادي، ط2، 2001م، ص171.

وسع كل حكمة وكل عقيدة يمكن أن يتضمّنها ويَضُمّها إليه"[1]. وللإنصاف نذكر أنه رغم اضطراب فهم غارودي للإسلام، فقد انتقد في كتبه التحريف والتبديل الذي وقع في اليهودية والمسيحية، بداية بتحريف التوراة والانجيل.

فغارودي يفترض أن هنالك بقية من حقائق الوحي في الأديان الوضعية، كالهندوسية والبوذية. فنجده يقول في كتابه (الإسلام): "وإذ أرسل الله أنبيائه إلى الشعوب كلّها، كما يقول القرآن الكريم، ليحملوا الرسالة نفسها في لغة كل شعب ووفق مستواه وفهمه، فثمّة بالتأكيد آثار لهذه الرّسالة، على سبيل المثال في النّصوص الكبرى المقدّسة بالهند، في الفيدا والأوبانيشاد، وباغافادا جيتا. ويبدو الآن في الشعر العظيم لـ: (الأناشيد الفيدية) معنى الوحدة العميقة للحياة، ووحدة الإنسان، والطبيعة، والإلهي، ولو أنّ هذا المعنى مختلط بصياغات شرك خاصة بكل شعوب العصور القديمة ... وتكشف (الأبانيشاد) للإنسان، وهْم الاعتقاد بأنّه لا يحتاج إلى عون وأنّه الواقع النهائي، فليس لحياته معنى ولا واقع إلا بمشاركته في الواحد. وتُعلِّم (سفيتا سفاتارا الأبانيشاد: 6، 5) أنّ: (الله أحد، خفي في كل الموجودات، الشاهد، الداعم، المطلق دون شكل ولا عون)"[2].

هذا الإيمان الكوني الذي يشير إليه غارودي في كتابه(كيف نصنع المستقبل؟) يَعتبر أنّه موجود في أجمل التقاليد الإبراهيمية منذ (حي بن يقظان) لابن الطفيل (1100-1185) إلى (رسالة في اللاهوت والسياسة) لسبنوزا (1632-1677)، و(شهادة إيمان الأسقف السافويارديي) لجان جاك روسو (1712-1771)، فهو يرى أنّ النبع مشترك لكل إيمان (للمسلم واليهودي والمسيحي) وأنّه قابِل للتواصل،

[1] ـ سعد عبد المقصود ظلام، لا لجارودي ووثيقة أشبيلية، دط، دت ط، ص 24.
[2] ـ غارودي، الإسلام، تر: وجيه أسعد، دار عطية، ط1، 1996م، ص91ـ 92.

ويعتبر غارودي أنّ الله لا يُقارَن بأي معرفة إنسانية تزعم تحديده وفهم حقيقته، أو تحبسه في ثقافة معينة[1].

فغارودي إذن يتكلم عن الإيمان بخالق للكون ومدبره، كفكرة أولية جوهرية، بغضّ النّظر عن التفاصيل وما ينبني عنها من اعتقاد عند أتباعها، وسلوكهم الذي قد يتناقض مع ذلك الإيمان، فاليهود مثلا يؤمنون بتوحيد الله ولكنّهم مجسِّمة، ويقولون في حقّ الله ما لا يليق بمخلوق فما بالك بالخالق وذلك مدوّن في كتبهم المقدّسة، التي يقدّسها النّصارى كذلك. كما أنّ غارودي يتكلم عن مفهوم الألوهية بعيدا عن محاولات تحديدها كما يقول. وقد يُفهم من كلامه أنّ مشكلته مع الملاحدة واللادينيين واللاأدريين، وكل من يرفض أن يكون للكون نظام وخالق يحكمه، وأن يكون للحياة هدف وغاية سامية أرفع من الأهداف الدنيوية، تجعل لهذه الحياة معنى وقيمة رفيعة.

ويَعتبر غارودي أنّ من خلال هذه الرؤية وبهذا الإيمان الابراهيمي، يمكن أن يأمل النّاس في تعايش في فلسطين بين اليهود والنّصارى والمسلمين، دون أن يكون أحدهم تابعاً للآخر، في وحدة التقليد الإبراهيمي المشترك[2]. وهو يريد أن يتمّ هذا الأمل بالتلاقي الأخوي بين الأديان الكبرى الإبراهيمية في فلسطين، لجميع قبائل الأرض كما جاء في سفر التكوين من الكتاب المقدّس[3].

ويذهب غارودي إلى عدم استقلالية دين من الأديان الكتابية بالتشريع دون الآخر، بل لابد من الأخذ بها جميعاً، وأن يُفسر الحديث من هذه الأديان في ضوء القديم،

[1] ـ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، تر: منى طلبة وأنور مغيث، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002م، ص282ـ285.

[2] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، تر: قصي أتاسين وميشيل واكيم، دار طلاس، دمشق، 1991م، ص604. وينظر، الإسلام في الغرب، لروجيه غارودي، مصدر سابق، ص 239-246.

[3] ـ ينظر: غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص 628.

فيقول غارودي: "التشريعات تتباين في التوراة والإنجيل والقرآن، بينما يُشدّد الله على تواصل رسالته، ينصح بالرجوع إلى أولئك الذين تلقوا الرسالة قبل القرآن، وبالتالي يوصي بالعودة إلى التوراة والأناجيل"[1]، وسبب ذلك في رأيه أن الشريعة: "مشتركة بين الديانات، في حين أن الفقه يختلف بين ديانة وأخرى"[2]. ويظهر هنا بأن المفاهيم مضطربة عند غارودي، فهو يرى بأن التشريعات متباينة ويراها في موضع آخر مشتركة، وأنّ سبب الفرق بينها هو في فقهها والفهم البشري لها، وهو الذي يُنتج الاختلافات.

ونتيجة لذلك الاضطراب في معنى الشريعة والفقه، يظهر من كلام غارودي أنّه لا يعتبر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، حتى لو كانت صادرة من وحي سماوي، فهو يقول: "إن اعتبار القرآن كتاباً يتضمن تشريعاً صالحاً لجميع الشعوب وجميع الأزمنة، هو بالتأكيد تأويل ضيّق ومُميت لمستقبل الإسلام"، لكنّنا إذا لاحظنا بعدها أنّه يقول: "سيكون من المحال أيضاً الادعاءُ باستنباط قوانين سياسية عالمية أبدية مباشرة من القرآن"[3] فإن ذلك يجعلنا نفهم أنّه يتكلم على استحالة أن نجد في الوحي والقرآن الكريم، تفاصيل للأحكام التنظيمية لحياة الناس في مختلف المجالات السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والتربوية وغيرها. فهو يقصد هنا الاجتهادات البشرية، لا الاحكام الشرعية الثابتة بنص الوحي الواضح في معناه أومحكم لا تشابه فيه.

وفي نفس السياق يقول غارودي كذلك: "نحن لا نسعى أبداً لأمثلة إنجازات كل المجتمعات الإسلامية التاريخية، بل نُفكر بأن الادّعاء باستخلاص تشريع صالح لكل

[1] ـ روجيه غارودي، الأصوليات المعاصرة، أسبابها ومظاهرها، تر: خليل أحمد خليل، دار عام ألفين، باريس، ط1، 1992م، ص82.

[2] ـ غارودي، نحو حرب دينية؟ جدل العصر، تر: صياح الجهيّم، دار الفارابي، بيروت، ط3، 2001م، ص 41.

[3] ـ المصدر نفسه، ص 100.

الأزمنة، من نص موحى به، يصدر عن تمامية ضارة"[1]. وهو يقصد بالتمامية كل فكرة لا تقبل التطور والزيادة، ظنّاً أنّها وصلت إلى التمام والكمال المطلق.

بهذا التّصور يعتقد غارودي أنّه سيصل إلى حل لمشكلات الإنسان المعاصر، الذي ينطلق فيه من الدعوة إلى الاعلاء من قيم المحبّة والإنسانية، التي تتجاوز الاختلافات المذهبية والصراعات السياسية والاجتماعية. واعتماد على طريقة القراءة المادية التاريخية، وبعد تجربته مع المسيحية ودراستها، استقى غارودي من إيمانه لحظة الحب للإنسانية، فتجاوز بها نطاقها الفردي، مؤكدا أنها لحظة ضرورية لكل عمل ثوري، فلا ثورة في نظره بدون حب. وقد أخذ من الماركسية فكرة الثورة ومنهجية المبادرة التاريخية للجماهير، مستبعدا مفهومها الفقير للتعالي، وطعّمها بعناصر إيمانية دينية، ثم تبنّى هذا الموقف الصوفي من الحياة، مع تجنب الخُرافات والشعوذة والرهبنة والزهد الزائف، ومن ثمَّ عمد إلى إظهار عوامل الوحدة بين المذاهب والأديان، وأراد أن يجعل مواطن الاختلاف مهملة وفي مرتبة ثانوية لا أهمية لها. وفي رحلة بحثه في تراث مختلف الحضارات في العالم، جمع كل المعاني والقيم الانسانية والأفكار المشتركة، ولو كانت صادرة عن أقلية، أو تُعبِّر عن رأي خاص هنا أوهناك.

وعلى هذا الأساس الأخير الذي يعتمده غارودي جاء نقد عادل التل له، فقال: "ينظر غارودي إلى وجود قواسم مشتركة بين دين الإسلام ومختلف الديانات الأخرى، سواء أكانت ذات أصل سماوي أم هي تواضع من فئة من البشر، ويعدّ الديانات الشرقية المنتشرة في الهند والصين قد تأثرت بالديانات المنزّلة، وإن لم يكن لها وحي خاص بها. لذلك فهو لا يُركّز على وحدة العقيدة، بالقدر الذي يهتم بوحدة الإنسانية ووحدة معاني الحياة والكون، ويُركّز على مبدأ الحرية ومسؤولية الإنسان وقُدرته على تحرير العالم وتغيير الواقع الاجتماعي... ويمكننا أن نستخلص من كل ما ذكرنا من نصوص، موقف غارودي من الانتماء إلى دين واحد، والاعتماد على مصدر واحد

[1] ـ غارودي، وعود الإسلام، مصدر سابق، ص 44.

والتلقي منه، فهو يرفض هذا بصراحة تامة، ويدعو إلى مواجهة هذه المواقف من خلال جبهة (أي تحالف مجموعة) من مختلف البشر، مهما كانت هويتهم ومهما كانت ديانتهم، لعمل جبهة واحدة لمقاومة هذا الاتجاه! (أي الاتجاه العدائي التكفيري)"[1].

ويعتبر عادل التل أن هذا المنحى سبق أن ظهرت مع الماسونية، التي يقول عنها أنها: "من خلال هذه الأساليب الدعائية انتشرت في العالم الإسلامي، تحت غطاء الدعوة إلى مبادئ الحرية والمساواة والإخاء بين البشر، دون النظر إلى الانتماء إلى دين واحد. ثمّ العمل على توحيد الأديان، وأزالت الفوارق بينها، ودمجها في دين واحد!..". ثم يتسائل مشكك في مشروع غارودي قائلا: "هل هي محاولة أخرى، وجولة جديدة للماسونية في العالم الإسلامي بعد أن كُشفت أوراقها، وفُضحت خُططها، وظهرت أسماء الشخصيات الكبيرة التي كانت تساندها؟"[2].

فقد بلغ عادل التل في نقده لغارودي إلى درجة اتهامه بإعادة المشروع الماسوني بصياغة جديدة، واستدل لذلك بكون غارودي يستعمل أسلوب المداهنة مع الأديان والمذاهب الدينية، ومنهج التلفيق والانتقاء من كل تراث بما يخدم فكرته، في نفس الوقت الذي يُقِرّ أن هنالك تحريف واضح أو فساد صارخ هنا وهناك. الشيء الذي جعل عادل التل لا يستسيغ دعوة غارودي للاستفادة ممّا تحتويه تلك الأديان والمذاهب من حكم وقيم.

فهل يصح الإنكار على غارودي دعوته لإمكانية الاستفادة مما وصلت إليه الحضارات، من إنجازات وقيم تتوافق مع الفطرة البشرية؟. خاصة أن غارودي في كثير من كلامه يُشير لأصل الأديان السماوية، التي جاءت وحياً من عند الله تعالى قبل فسادها، وينطلق من الحقيقة الدينية التي تظهر في ثنايا أسفارها المقدّسة، مع اقراره بتحريفها، كما أن المذاهب الدينية وإن كانت وضعية، وإن لم تتأثر بالوحي، فإن

[1] ـ عادل التل، مرجع سابق، ص105ـ 107.
[2] ـ المرجع نفسه، ص107ـ 108.

فيها ما هو أخلاق وقيم ومعاني، مستمدة من الفطرة البشرية ومن عمق التجربة الإنسانية الطويلة، والاعتراف بوجود ذلك لا يعني القبول بما فيها من معتقدات باطلة.

أما محمد عثمان الخشت فهو يعتبر أن غارودي يذهب إلى أنّ ابن عربي، قد عبر عن الأمل الإنساني في إقامة مجتمع إنساني عالمي يلفّه إيمان واحد، يحوي عقائد كل الشعوب وثقافتها، من ملّة إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، والحِكم الواردة في تعاليم الهند والبوذية والمزدكية. وهو ما يعتبره غارودي دليلا على الانفتاح الشامل في الإسلام على كافة الديانات، وأنّ هذه الأديان ليست إلا لحظات من العطاء في الملحمة الإنسانية، وعملية خلق مستمر يُنجزه الإنسان عن طريق الله الذي يسكن فيه. ويرى غارودي أن هذه الميزة في الإسلام، جعلت منه أكبر قوة روحية، قادرة على الاستيعاب والاحتواء[1].

وعليه يؤكد محمد عثمان الخشت أن غارودي من القائلين بوحدة الأديان، فيقول: "ولا شك أن القول بوحدة الأديان خطأ كبير لا مبرر له، ذلك أن الديانات المختلفة يناقض بعضها بعضا، ومنها ما هو صحيح ومنها ما هو فاسد، بل يوجد في الدين الواحد عناصر سلبية هدامة وعناصر إيجابية بناءة، فكيف بعد هذا يتأتّى لغارودي أن يذهب إلى ما ذهب إليه؟ وكيف له أن يَنسى (أو يتناسى) قوله تعالى: (إن الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ)، وقوله تعالى: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) "[2].

لكن الناظر في كتاب غارودي (وعود الإسلام) يجده يُصرّح بكل وضوح، رفضه للقول بوحدة الأديان، فهو يقول: "لا شئ أكثر ضررا لحوار مخصّب ومتبادل، من حلم بعض الدبلوماسيين الشرقيين والغربيين الخبيث، الداعي لدمج كل الأديان في عقيدة واحدة، ولا ينبغي بالتالي حجب الفوارق العميقة ولا تمويهها"[3].

[1] ـ محمد عثمان الخشت، مرجع سابق، ص 116.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 117.
[3] ـ غارودي، وعود الإسلام، مصدر سابق، ص 271.

وفي المقابل نجد أن غارودي يُؤيد الزعيم الهندي غاندي لما طالب كل مؤمن بالتمسك بدينه، حين قال: "إذا جاءني مسيحي وقال لي بأنّه تحمس عند قراءة (بغافاد - جيتا) وأنّه يريد أن يعتنق الهندوسية، أجبت: إنّ التوراة تستطيع أن تمدّك تماما بما يمدّك به (بغافاد - جيتا). ولكنّك لم تُحاول أن تكتشف ذلك حقا. قم بهذا الجهد وكن مسيحيا حقا"، فيعتبر غارودي أن هذه العبارة تتضمن روح حوار الحضارات[1].

هذا التأييد من غارودي لتوجّه غاندي، يجعلنا نذهب إلى أن غارودي يتكلّم عن التعدّدية الدينية، التي تختلف توجهاتها بين من يرى بأنّ الأديان كلّها صحيحة، على اعتبار أنّها طرق للوصول إلى الخالق، وهو الرابط الذي يجعل كل أتباع تلك الأديان مؤمنين، بعيدا عن الحكم على أيّ منها بالصحة والبطلان. ويرى أخرون أنّ وجود أديان متعددة وأتباعها في عالمنا، هو أمر واقع، لا يمكن إنكاره أو رفضه ولا يمكن تغييره ولا التخلي عنه، بل إنّ الانعزال في طرف منه لا يلغي حقيقة وجود هذا التعدّد الديني. وبين هذا التوجه وذاك تفاصيل يذكرها من يهتمون بموضوع التعدّدية الدينية[2].

فغارودي غالبا ما يركز على المعاني ذات الصلة بالحقائق الدينية العامة، التي يرفضها الملاحدة واللادينيون. كما أنّه رغم قوله بالإيمان الابراهيمي، لا يدعو صراحة إلى رفض الانتماء إلى دين واحد محدّد، فهو ذاته لم يلتزم بنصيحة غاندي، فقد بدّل دينه ودخل الإسلام، وهو يدعو إليه من خلال الإشادة بما فيه. إلا أنّه يؤول تعاليمه ويفسّرها دون الرجوع إلى المصادر الإسلامية المعتمدة والمتفق عليها بين المسلمين، ولذلك سُجّلت عنده بعض الآراء الشاذة والغريبة التي يؤاخذ عليها.

وعليه فإن العقيدة الابراهيمية التي يدعو إليها غارودي هي فكرة غامضة. ولإبطال هذه العقيدة يقول مصطفى حلمي بعد أن يذكر منجزات غارودي لإنجاح فكرته هذه

[1] ـ محمد عثمان الخشت، مرجع سابق، ص80.

[2] ـ ينظر: طه أنيس مالك، اتجاهات التعددية الدينية وموقف الإسلام منها، أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام أباد، كلية أصول الدين، ماليزيا.

(المتحف الإسلامي في قرطبة - إسبانيا، وتنظيمه لندوة أبناء إبراهيم وغيرها) : "إن الرغبة المخلصة عند غارودي لا تكفي للإقناع بالانطواء تحت عقيدة (الإبراهيمية) أو إجراء (حوار بين الأديان). وذلك في ظلّ التعاون الشديد والفارق الشاسع بين مكانة الكنيسة الكاثوليكية أو نفوذ الصهيونية في عالم اليوم. والقضية تحتاج إلى شرح وبيان، فنعرض أولا لمخالفة الفكرة لعقيدة التوحيد الإسلامية، ثم نُلقي بالضوء على الواقع السياسي والديني في عالم اليوم"[1]:

الدليل الأول: نقض فكرة الإبراهيمية لمخالفتها لعقيدة التوحيد الإسلامية، وربما أتت الشبهة من اعتقاده أنّهم جميعا ينتمون إلى إبراهيم عليه السلام. وقد فات غارودي معرفة الآيات القرآنية وهي قاطعة الدلالة، لا تحتمل أي تأويل، كقوله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [آل عمران، 19]. وقد أتى القرطبي بقول أبي بكر الأنباري في تفسير الرسول (صلى الله عليه وسلم) لهذه الآية أنّه كان يقرأ (إن الدين عند الله الحنيفية لا اليهودية ولا المسيحية ولا المجوسية).

الدليل الثاني: من الواقع العملي أي السلوك الديني والسياسي والتاريخي، فكيف يمكن لغارودي أن يوحّد بين هذا الخليط من العقائد؟! في عالم اليوم. فهل ظنّ غارودي أنّه بمجرد إنشاءه لذلك المتحف سيُزيل الخلافات والعوائق المترتبة طوال قرون عديدة، المقترنة بأعمال القتل والإبادة للمسلمين، من أبشعها ما حدث بإسبانيا تاريخيا، وما حدث ولا زال يحدث في البوسنة وفلسطين وعند الأقلّيات الإسلامية في دول العالم الغربي.

ورغم أن غارودي نادى بفكرته هذه بعد أن اعتنق الإسلام، وأراد أن يعرض ما في هذا الدين، من حلول لمشاكل الإنسانية المعاصرة، على أنّها حلول مستمدة من

[1] ـ مصطفى حلمي، إسلام جارودي بين الحقيقة والافتراء، دار الدعوة، القاهرة، ط1 1996م، ص45ـ47.

رسالة الأديان جميعا لضمان القبول لها، فإنّه انطلاقا من هذه الفكرة البعيدة عن الواقع، يكون غارودي قد اتخذ موقف شاذّا من الدين الاسلامي، معتمدا على فهم مخالف للمألوف وبعيد عن تصور الجمهور للإيمان. فالقارئ لمؤلفات غارودي يجد أنه أمام رجل ذو نية طيبة وطموح كبير، أمله قوي في صناعة مستقبل ذي وجه إنساني، لكن فكرته هذه مجانبة للصواب.

ففكرة (العقيدة الإبراهيمية) التي ظن غارودي أنها يمكن أن تكون الأساس الذي يقوم عليه حوار مثمر يسمح بصناعة مستقبل مشرق للإنسانية جميعا، معتبراً أن هذه العقيدة هي دعوة إبراهيم (عليه السلام) إلى توحيد الإله، والاستسلام والخضوع له، والانقياد للقيم والأخلاق التي دعا لها الأنبياء والمرسلين جميعهم. هذه الفكرة هي عند المسلمين تقوم على أساس أنّ (الدين عند الله الإسلام) أي أنّه هو الدين الذي آمنت به الأنبياء ودعوا إليه أقوامهم، أمّا الأديان التي يتبعها اليهود والنصارى اليوم، فهي أديان محرّفة في نظر المسلمين، على عكس ما يراها أصحابها من اليهود والنصارى. وقد اعترف بعضهم ببطلانها، ومنهم من هم من علمائهم.

4 ـ حياة غارودي الفكرية

إن فهم الحياة الفكرية لكل مفكر أو فيلسوف، تتطلب الاطّلاع على الواقع الفكري المحيط به، وبذلك يمكن استنباط مصادر فكره، ومشروعه الفكري ومن ثم مواقفه وآرائه، ومساره العلمي، وقد كان غارودي من بين أبرز المفكرين الفرنسيين، الذين ذاع صيتهم في فرنسا بدايةً بما عالجه من قضاياها الداخلية، وبرز في أوربا والعالم لَما تطرّق إلى القضايا العالمية الشائكة، فتميزت أُطروحاته وتحليلاته عما ذهب إليه غيره.

أ - تيارات الفكر الأوربي المعاصر

تميزت الساحة الفكرية الأوربية بالتعدّد والتنوع، فبعد تحرّر أوربا من قيود الكنيسة الكاثوليكية مع بدايات النهضة الأوربية، وما كان لفلاسفة الأنوار من دور، تميزت الكثير من التيارات الفكرية والفلسفات، التي كان لها أثرها على مُجريات الأحداث

الأوربية. ومن بين هذه التيارات التي عرفتها فرنسا وعبرت عن احتياجاتها ومتطلباتها الفكرية نجد:

- **الماركسية**

تعد الماركسية من أهم التيارات الفكرية التي اكتسحت أوربا والعالم أجمع خلال القرن العشرين، بعد أن تأسست في القرن 19م مع كارل ماركس وأنجلز، فوُضِعت المناهج والقواعد والأفكار، التي تنظّم نضال الطبقة العمالية (البروليتاريا)، من أجل بناء المجتمع الشيوعي على أساس اشتراكية علمية تتميز بأنها [1]:

1- من الناحية الإقتصادية العمل بمبدأ الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، وإلغاء الطبقات والربح الفردي والاستغلال.

2 - وتتميز من الناحية السياسية بدكتاتورية الطبقة الكادحة (البروليتاريا)، وإلغاء التفرقة العنصرية.

3 - وتتميز من الناحية الثقافية بتحرير المرأة واتساع وسائل التعليم والثقافة، عن طريق تخطيط الدولة.

وبعد أن آمن غارودي بالماركسية إنقلب عليها. رغم أنه نظر لها وناضل لتحقيقها ونجاحها، ظنّا منه أنّها الحل لمشاكل الإنسان الفرنسي والأوربي عموما، وأصبح أحد أبرز المناضلين والقيادات في الحزب الشيوعي الفرنسي، ثمّ انتخب على ذلك الأساس عدة مرات كنائب في البرلمان الفرنسي. فقد تراجع عنها لما عرف واقع الممارسات الشيوعية وخاصة في الاتحاد السوفياتي وما فعله قيادات الأحزاب الشيوعية في البلدان التي يحكمونها، من استبداد في الحكم واستعباد للناس وهدر للحقوق. تلك حقيقة قال عنها غارودي: "وقد اُستغلت انحرافات الماركسية الفلسفية كتبرير وأساس لانحرافاتها السياسية، فإذا لم يكن هناك غير واقع معطى وغير انعكاس صحيح لهذا الواقع، فإن إنسانا بعينه أو جماعة من الناس ستؤتمن على هذه الحقيقة الواحدة والمطلقة، وستتمتع

[1] ـ محمد عثمان الخشت، مرجع سابق، ص120.

بالتالي بسلطان لا محدود، لأنها هي التي تحمل إلى الشعب تلك الحقيقة (من الخارج). وبذلك يكون قد وُجد الأساس النظري لحزب أوحد ولدولة مستبدة"[1]. فوجد غارودي أن الاستبداد الذي ناضل ضده كماركسي، هو نفسه تمارسه والقيادات الماركسية والأحزاب الشيوعية.

- **الوجودية**

الوجودية كفلسفة تنطلق من النظرة الموضوعية إلى الوجود الشخصي. والسؤال الملح الذي تسعى للإجابه عليه، هو ما معنى وجودي؟. وقد ارتبط ظهورها مع إعلن نتشه (أنّ الله قد مات)-تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا-، وإعلن ماركس (أنّ الدين أفيون الشعوب)، بعد أصبحت المسيحية تنظيما وطقوسا كنسية فارغة بلا معنى، عندها اكتسح العالم الغربي تيار وجودي، ظهر كمذهب فلسفي له أتباع، روّجوا كثيرا لمفهوم السخط الوجودي، من خلال أدب قصصي ومسرحي، تمّ التعبير عنه بعناوين مختلفة وغريبة، مثل: الغثيان، المومس الفاضلة، الذباب، الغريب... وغيرها. ونتيجة لهذا الانحراف والتحريف للمفهوم الوجودي، اُختلف في أمرها، وصنّفت إلى فريقين[2]:

1- الوجودية الحرة: وتسمّى الوجودية الملحدة أو الوجودية الكئيبة، ويتزعّم هذا الفريق الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر، وهي تدعو إلى الرؤية العبثية للحياة والإباحية والسخافة، ولذلك أُطلق عليها الوجودية الحرة.

2- الوجودية المقيدة: هي حركة دينية معقّدة، سمية بالوجودية المؤمنة أو الوجودية المشرقة، التي يُمثلها متصوفة مسيحيون، نذكر من بينهم موريس بلونديل، وكيركغارد.

ورغم أن غارودي انتبه مع الوجودية إلى ضرورة الاهتمام بالجانب الموضوعي في الوجود الشخصي، وضرورة الإجابة عن سؤالها الملح فيما يخص معنى وجود الإنسان.

[1] ـ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص106.
[2] ـ مصطفى حلمي، مرجع سابق، ص48ـ52.

فإنّه أعلن عن فشل الوجودية عندما علق على مقولة كيركغارد: (ليس الأمر أمر اختيار تقوم به الإرادة بين الخير والشر، بقدر ما هو اختيار للإرادة نفسها) فأعلن غارودي: "إنّ هذه الصيغة تعبّر تعبيرا دقيقا عن استغلال الوجودية. وذلك لأنّ اللحظة الهامّة في حياة الإنسان، لحظة حريته، لا تُمثّل عندهم لحظة مليئة بالفعل والإقبال عليه، بل تدُلّ على العكس من ذلك، على افتقار وغياب وثقب في قلب الوجود. وبهذا يصبح العدم هو الشخصية الرئيسية في المأساة الوجودية، لأنّ الوجود الواقعي للإنسان عندهم ليس إلا وجودا غائبا" [1]. ورغم رفض غارودي للوجودية، الا أنه انتبه معها إلى المشكلة الوجودية التي يتخبط فيها الانسان الغربي، مع انتشار التفاهة والشعور بأنه لا معنى للحياة، وما صاحب ذلك من انتحار وهروب البعض من الواقع عن طريق المخدرات وغيرها وهروب البعض الآخر إلى نوادي الروحانية الحديثة، دورات الطاقة الروحية وما إلى ذلك.

- **البنيوية.**

البنيوية هي مشروع علمي، أراد له أصحابه أن يُطبَّق على معارفنا بالإنسان، فالقول بالبنيوية هي أولا من الناحية الابستمولوجية (المعرفية) لا الايديولوجية (الفكرية العقائدية) هي مجرد محاولة علمية منهجية لدراسة الظواهر عموما، والظواهر البشرية خصوصا، من وجهة نظر البنية. سواء أكانت هذه البنية هي[2]:

1- النموذج أو البناء الصوري، أو كانت مجموعة العلاقات الباطنية المكونة لِوحدة أي موضوع من موضوعات العلم.

[1] ـ غارودي، نظرات حول الإنسان، ترجمة، يحي هويدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1983م، ص78.

[2] ـ مصطفى حلمي، مرجع سابق، ص33.

2- أو كانت البنية أداة فعالة ناجحة في هذا العلم أو ذاك، أو مجرد وسيلة معرفية أكثر معقولية وأشدّ ملائمة لمقتضى الحال، بالقياس إلى غيرها من الوسائل الأخرى السابقة أو الحالية.

وقد كان موقف غارودي من البنيوية واضحا من خلال عنوان كتابه: "البنيوية فلسفة موت الإنسان"، وذهب إلى حدّ القول: " إنّ تراجع (ما هو آخذ) في الحُدوث لصالح (ما قد حدث من قبل) و(لما هو جاهز) يقود إلى هذه البنيوية التي تُبعد الإنسان لحساب الأشياء، والتي يؤدي مَنطقُها إلى (موت الإنسان) "[1].

ب - مصادر فكر غارودي

إنّ المتفحص لمؤلفات غارودي المتنوعة والغزيرة ومشروعة الفكري، المنفتح والقائم على الحوار، يُلاحظ أنّ مصادر هذا المفكر متعددة ومتنوعة، فقد أخذ عن رجال العلم والدين والفلسفة والفن، وكان لوقائع الحياة الأثر البالغ في مساره الفكري، كما ساهمت أحداث التاريخ المتعاقبة إسهام كبير في صياغة شخصيته، وسنختصر وقفتنا على ذكر المصادر التي ظل تأثيرها متواصلا وعميقا في فكر غارودي. وهم:

1- سورين كيركغارد (1813- 1855)

كيركغارد فيلسوف دنماركي، ولد في كوبنهاغن، ينتمي إلى الفلسفة الوجودية، بل هو المؤسس الفعلي لها. ويرى أنّ حقيقة الوجود تُعرف عن طريق التجارب الذاتية للأفراد، هذه التجارب التي تستمد قوتها من وجود الإنسان الذي يسبق ماهيته[2].

ويعتبر غارودي أنّ ما ميّز كيركغارد عن غيره من أصحاب الوجودية المشرقة (المؤمنة)، كونه من الفلاسفة القلائل الذين عاشوا فكرهم، فقد كانت حياته مجاهدة نفسية وفكرية متواصلة، ليجد حقيقة نفسه، أي الحقيقة التي من أجلها يحيا ويموت.

[1] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص250.

[2] ـ ينظر: عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ج2، ص 326.

وهو يُصرّ على أنّ هذه الحقيقة ذاتية، ولا يمكن أن تكون إلا كذلك. وهذا ما جعل كيركغارد يعيش حياته كلّها في جزع ميتافيزيقي دائم، وضجر على الوجود كلّه، بوصفه وجودا ناقصا متناهيا، بينما غاية الإنسان في رأيه بلوغ اللامتناهي أو التوق إليه. هذه المعاني جعلت غارودي يقول في كتابه (ببليوغرافيا القرن20): "لقد وَلَّد فيَّ كيركغارد الإحساس بمحدودية تصوراتنا الأخلاقية والمنطقية، وبالتعالي الإلهي الذي يجعل من العلم والملكية والسلطة أمورا نسبية... لقد كان الإسلام الإبراهيمي لله قاعدةً لحياتي الشخصية وضابطا لها" [1]. فهو يعتبر أن فكر كيركغارد وجهه للبحث عن الحقيقة الدينية، التي وجدها في الإسلام.

وقد ولّد هذا التأمل الكيركغاردي الحيرة عند غارودي، وجعله يتساءل عن طبيعة الإيمان وهل هو من قبيل الأفكار العقلية الخاضعة للدليل المنطقي، أم من قبيل ال-م--صادرة أو المسلّمة التي تفرض التسليم الأولي والمبدئي دون بُرهان مُسبق. كل هذا بعث في غارودي الحيرة والتساؤل دون أن يُمدّه باليقين، وهذا ما جعله لا يتوقف عن البحث والتفكير والتفلسف[2].

2- موريس بلونديل (1861-1949م)

شهد القرن العشرين بداية ما يسمى بفلسفة الفعل، مع الكاثوليكي الفرنسي موريس بلونديل، في بحثه الذي قدّمه سنة 1893، والذي يحمل عنوانا دالا: (الفعل، محاولة لنقد الحياة والعلم التطبيقي) طرح فيه سؤالا أساسيا: ما الذي يجب أن نبتغيه لنصير أكثر إنسانية؟ ولذلك يقول غارودي: "ويتمثل منهج بلونديل في بيان أنّه ما من طموح أو مشروع جزئي يستطيع أن يُرضي مقتضياتنا الأساسية". وفكان لهذه الفلسفة أثرها الكبير في فكر غارودي، هو ما جعله يُشير في كتاب (كيف نصنع المستقبل؟) إلى خيانة الفلسفة لرسالتها في العالم الغربي، فهو يرى أنّ الفلسفة بالمعنى الصحيح هي

[1] ـ محسن الميلي، مرجع سابق، ص39
[2] ـ المرجع نفسه، ص40.

التفكير في الغايات وفي معنى الحياة، والمشاركة في الممارسة الفعلية والعمل لتحقيق هذه الغايات وهذه المعاني[1].

هذه النتيجة التي وصل إليها بلونديل، وهو أستاذ غارودي بالجامعة، عمل بها هذا الاخير لتحليل أزمة الحضارة الغربية، ومن ثمَّ أسس مشروعه البديل الذي استغرق حياته، من يوم أن بحث عن معنىً لحياته في المسيحية، إلى أن فتح أبواب الحوار على مصرعيها مع جميع الحضارات بكل ما فيها ودون استثناء. فالأُسس الثلاث التي ركّز عليها بلوندل وهي: (النظرة الشمولية، فلسفة الفعل، الإله محايث ومتعال) حاضرة بقوة في فكر روجيه غارودي، لا ينفكّ عن الانطلاق منها في كل مؤلفاته، وأثرها واضح في مساره عموما.

3- كارل ماركس (1818-1883م)

اتّجه غارودي إلى الماركسية، منذ أن وقف على افتقار المسيحية لإيجاد حلول لما تُعانيه الإنسانية من مشاكل. لأنّه وجد فيما يقوله ماركس منهجية العمل والسُّبُل الكفيلة لتجاوز الصراعات وإيجاد حل لها. فقال بهذا الصدد: "رأينا كيف يمكن لماركسية ماركس أن تساعدنا في إعداد منهجية لمبادرة تاريخية (أي فن وعلم تحليل تناقضات مجتمع وعصر معينين) وبلورة مشروع قادر على تذليل هذه التناقضات، انطلاقا من هذا التحليل"[2].

منذ هذا الاختيار وغارودي يؤكد على نجاعة المنهجية الماركسية، بل نجده يعود إلى ماركس حتى بعد أن قال بانحراف الاشتراكية (خاصة النموذج السوفياتي)، ويذهب غارودي إلى أن الخطأ ليس في منهجية ماركس، ولكن الخطأ في تفسيرات الماركسيين وتطبيقاتهم لها. ولذلك اعتبر غارودي أنّ الإفلاس المؤقت والكبير لِأَمل المُبعدين (وهم البروليتاريا أي طبقة العمال الكادحين في الاشتراكية)، كان بسبب

[1] ـ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص232.
[2] ـ غارودي، الإسلام الحي، مصدر سابق، ص 111.

من خانوا فكر ماركس، ولم يفهموا أنّ أي ثورة حقيقية تحتاج إلى ما فوق الوجود المادي، أكثر من حاجتها إلى الجبرية التي يُسمّيها من أفقروا وحرفوا ماركسية ماركس وخانوها بـ : المادية الجدلية[1].

وكان غارودي قد انضم للحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1933م، بعد أن قرأ المجموعة الكاملة لمؤلفات ماركس وهو في العشرين من عمره، فأُعجب بها وتأثّر بما فيها. فقد وجد أن فلسفة ماركس قد اهتمت بدراسة النّظام الاجتماعي، وتحليل الأوضاع الاقتصادية والسياسية، وقدمت تفسيرا ماديا جدليا للطبيعة والتاريخ واقترحت حُلولا علمية لتجاوز أشكال الاستغلال والاغتراب وتتمثل هذه الحلول في القيام بثورة اشتراكية، والقضاء على المِلكية الخاصة لوسائل الإنتاج، تمهيدا للنّظام الشيوعي، الذي سيُحقّق إنسانية الإنسان أو الكمال الإنساني، كما تميّزت هذه الفلسفة بنقدها الجذري للدين واعتباره (أفيون الشعوب) وعلامة من علامات النُقص في الميدانين العملي والمعرفي. إلا أنّ غارودي بيَّن أن اعتبار الدين أفيونا للشعوب، يأتي عند القول ببعض المفاهيم القاصرة، التي يُعطيها البعض للدين[2].

وأثر ماركس في فكر غارودي جليّ في استدلاله به في أغلب كتاباته، وما ذلك إلا لأنّه يوافقه في فلسفة الفعل. ومن ذلك أن غارودي وبعد أن ذكر قول ماركس في إحدى أطروحاته عن فيورباخ قال: "لقد اقتصر الفلاسفة حتى الآن على تأويل العالم بطرق مختلفة، بينما ينبغي تغييره"، ثم علّق غارودي: "إنّ هذا القول (أي مقولة ماركس السابقة) وجه كل أفكاري"[3]، ولذلك يؤكد غارودي في مواقع كثيرة على أنّه لم يتخل عن كتاب رأس المال لماركس، حتى بعد إسلامه.

[1] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص19.
[2] ـ غارودي، ماركسية القرن 20، تر: نزيه الحكيم، دار الآداب، بيروت، ط5، 1983م، ص148.
[3] ـ محسن الميلي، مرجع سابق، ص47.

4- يُضاف إلى هذه المصادر الثلاثة الرئيسية لفكر غارودي، مصادر ثانوية كان لها أثرها في فكر هذا الرجل، فقد تعلّم دروسا من الفنّانين المبدعين الذين التقى بهم وتفاعل معهم، نذكر منهم: فرنند ليجى، بيكاسو، لويس أراغون، بابيو نوريدا، بول إلوارد، حتى أنّه قرر سنة 1962 تدريس علم الجمال (الاستيطيقا) بدل الفلسفة وتاريخها، رغبةً منه في اكتشاف ما يمتاز به العمل الفني، بوصفه فعلا خلاّقاً في رأي غارودي. واكتشاف كل ما فيه من إبداع وتجاوز لحدود الواقعية ومحاكاة الطبيعة. ولهذا قال غارودي: "أن نتعلم كيف نقرأ الماضي وكيف نبدع المستقبل، ذلك هو أعظم دروس الفن"[1].

وقد أخذ غارودي من تعاليم وأفكار الفيلسوف كانط، دون الوقوع في المثالية. ومن فيخته مع زميله جان نابير في ثانوية هنري الرابع، وفي ستراسبورغ أخذ عن كارل بارت كما أخذ عن كيركغارد، ثم جاء التأثير المشترك لهنري فالون وغاستون باشلار، الذي تمكن بفضله من فصم العُرى والتخلّي عن الادعاء الوثوقي بامتلاك الذات[2]. التي كانت الموضوع الساخن للنقاشات الفلسفية حينها.

ومن الذين كان لهم أثر في فكر غارودي، نجد كذلك محي الدين بن عربي (1164 -1240م)، والشاعر الصوفي الفارسي جلال الدين الرومي (1207 -1273م)، والناسكة رابعة العدوية (ت752م). فإنه عندما كان يؤسس لمشروع الحوار بين الحضارات وجد عند هؤلاء الإطار الذي يتبنّى فكرة الانفتاح على الإنسانية جمعاء، والتّسامي بالمحبة الإلهية. وقد وجد القدوة والمثل للشخصية المتكاملة التي كان يدعو لها، في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري (1882-1808م)، وجد فيه الناسك العابد الزاهد، والمحرّر، الثائر على المستعمر، ورجل الدولة.

[1] ـ المرجع السابق، ص42.

[2] ـ ينظر: سيرج بيروتينو، مرجع سابق، ص24.

وأخذ غارودي عن الفيلسوف المجدد محمد إقبال(1873-1938م)، دعوته للاجتهاد المستمر والتجديد الدائم الذي يحتاجه التقدّم والتغيير. وتجدر الإشارة إلى أن غارودي أصبح بعد إسلامه يستشهد بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم).

ج - الإنتاج العلمي لغارودي

كثيرة هي مؤلفات المفكر والفيلسوف روجيه غارودي، فقد تميز بالكتابة في كل ما كان يشغله وما كان يهتم به، ويتناول في الحين قضايا عصره، باحثا عن أسبابها ويقترح الحلول التي يرتاح إليها، لذا خاض الرجل في قضايا متعددة يمكن إجمال ما كتبه ضمن المحاور الآتية:

1 - تاريخ الماركسية: المصادر الفرنسية للاشتراكية العلمية، الله قد مات، كارل ماركس، فكر هيغل.

2- مشكلات الماركسية: النظرية المادية للمعرفة، الحرية، أسئلة موجهة إلى سارتر، آفاق الإنسان، الماركسية والوجودية، ماركسية القرن العشرين، من أجل نموذج فرنسي للاشتراكية، هل يمكن للمرء أن يكون شيوعيا اليوم، منعطف الاشتراكية الكبير، براغ 1968.. الحرية المعلقة، الحقيقة التامة، تذكَّره... (تاريخ مقتضب للإتحاد السوفياتي).

3 - الدين: الكنيسة والشيوعية والمسيحية، من الحرم إلى الحوار، محور حتمية التاريخ، الإسلام الحي، أصوليات، هل نحن بحاجة إلى الله.

4- الأخلاق: الماركسية والأخلاق، ما الأخلاق الماركسية، الإنسانية الماركسية.

5- علم الجمال: مسار آراغون من السريالية إلى العالم الواقعي، واقعية بلا ضفاف، من أجل واقعية للقرن العشرين، دراسة عن فرنان ليجيه، لنرقص حياتنا، 60عملا تبشر بالمستقبل، الجامع مرآة الإسلام، مع 150صورة ملونة.

6- حوار الحضارات: الإسهام التاريخي للحضارة العربية الإسلامية، المشكلة الصينية، من أجل حوار الحضارات، كيف يصبح الإنسان إنسانا، وعود الإسلام، قضية إسرائيل، فلسطين أرض الرسالات الإلهية، الإسلام في الغرب، قرطبة إحدى عواصم الفكر.

7- أبحاث حول ابتكار مستقبل ذي وجه إنساني: استعادة الأمل، الخيار (البديل)، مشروع الأمل، ما قولك بما أنا؟ (رواية من أكون في اعتقادكم)، عهد الرجال، نداء إلى الأحياء، ما يزال في الوقت متسع للعيش، من أجل مجيء المرأة، ترجمة القرن العشرين (وصية روجيه غارودي الفلسفية)، من أجل إسلام القرن العشرين، في معاكسة الليل (قصيدة)، جولتي في القرن وحيدا (مذكرات)، إلى أين نذهب؟، حفار القبور، الإسلام، نحو حرب دينية، الخرافات المؤسسة للسياسة الإسرائيلية.

هذا ما ذُكر في كتاب نحو حرب دينية، لروجيه غارودي والذي ترجمه صياح الجهيم، طبعة دار الفرابي، بيروت. ويُضاف إلى ذلك[1]: كتاب أنتيه (أول كتاب له يروي فيه تجربة اعتقاله كمناضل شيوعي)، الروح الحزبية في العلوم، لينين(رواية)، الجذور الفرنسية الاشتراكية، البنيوية فلسفة موت الإنسان، كلمة رجل، مفاتيح الماركسية، الإسلام دين المستقبل، أمريكا طليعة الانحطاط، الإرهاب الغربي. وإضافة إلى هذه الكتب، كتب غارودي الكثير من المقالات، فقد كان مراسل لجريدة الإنسانية في الاتحاد السوفيتي، وله مقالات في مجلته البدائل الاشتراكية، ومقالات متنوعة عن فضل الحضارة العربية في مجلة الخيارات الاشتراكية.

وقد أطلق غارودي مشروع (موسوعة النهضة الفرنسية) سنة 1946م، بالتعاون مع بول لانجوفين في الذكرى المئوية الثانية لموسوعة ديدرو، وتمكن من الحصول على

[1] ـ ذهبية كباهم، الحقيقة الدينية في فكر روجيه غارودي، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006، ص118ـ226. وينظر: رامي الكلاوي، روجيه غارودي، مرجع سابق، ص41ـ42.

تأييد ومساعدة أراغون وبول ايلوارد وبيكاسو وهادامارد وجوليوكوري ولويس جوفيه ولوكوربييه وجاك ابيار وهنري ماتيس. [1]

وله روايات أخرى وهي[2]: آنطيوس1945م، واليوم الثامن للخليقة 1946م. ومن بعض الأفلام التي أنتجها غارودي[3]: ديونيسيوس الأسود 1974م، الخيال في السلطة 1975م، مجموعة أفلام عن الحضارة الإسلامية 1984م، مسرحية ربيع الإنسان 1948م (أحيا فيها ذكرى الثورة العمالية لحزيران). وقد أسّس غارودي في الجزائر ثم في تونس جامعة شعبية عام 1944م، وكان مديرا لأكبر مجلة أسبوعية (الحرية) تصدر في الجزائر[4]. كما أسّس كذلك مجلة (البدائل الإشتراكية) عام 1974م.

ومن خلال ما سبق ذكره نجد أن أعمال غارودي الفكرية والفنّية، قد تنوّعت وتعدّدت، من تأليف الكتب إلى القصة والقصيدة وكذلك إنتاج الأفلام، فهو يريد بذلك أن يكتسح بفكرة ومشروعه أكبر عدد من المجتمعات، وأن يصل به إلى مختلف المستويات والفئات والشرائح الاجتماعية، كما نجد أنّ مجالات اهتمامه متعدّدة، فقد تطرّق إلى الماركسية، الأخلاق، الدين، حوار الحضارات وصناعة مستقبل الإنسانية.

د - مشروعه الفكري الحضاري

تميّز المشروع الحضاري لغارودي بكونه مشروع سياسي أخلاقي، يجمع بين بُعدي التسامي والجماعة، فهو يعتبر أنّه لا توجد حقيقة مطلقة فيما يقوله الإنسان، وهو ما جعله لا يَخضع لمشروع أو لفكرة أو فلسفة ما، على أنّها الطوباوية التي لا يعتريها النقص أو الخطأ. وبهذه الروح كان يبحث عن المشروع الذي يريد أن يبنيه لبنة لبنة، وهو الذي امتلأ قلبه بفلسفة الفعل، التي تجعله يعتقد بأنّ المستقبل هو في طور الإنجاز،

[1] ـ بيروتينو، مرجع سابق، ص9.
[2] ـ رامي كلاوي، مرجع سابق، ص42.
[3] ـ المرجع نفسه، ص42.
[4] ـ سيرج بيروتينو، مرجع سابق، ص7.

لا على أنّه موجود كحتمية ليس لأحد إمكانية التدخّل أو التغيير في مجرياته، ولا إرادة له إلا التوجّه نحوه.

فقد كان هاجسه الأول هو البحث عن غاية تجعل للحياة معنى سامي، يستحق أن يعيش له الإنسان ويُضحّي لأجله، ولذلك اختار الالتزام بالمسيحية في بداية حياته، ثم وجد أنّ حياة الإنسان واحتياجاته اليومية ومصالحه التي تتقاطع مع مصالح غيره لابدّ لها من منهجية ونظام لتستقيم، فاختار غارودي الماركسية ومنهجية المبادرة التاريخية التي تعتمد على الجماهير والعمال، وقد طعَّم هذا الاختيار بتعالي الوجودية المؤمنة لكيركغارد، ولمّا اصطدم بإشكالات الإنسان المعاصر، خاصة الإنسان الغربي، الذي أصبح يعيش داخل حلقة النّمو التقني لأجل النمو والرفاهية فقط. يُعتبر الإنسان داخل هذه الحلقة وسيلة من الوسائل، وتحولت الحياة إلى سوق مفتوحة، لا كلام فيها إلا عن الإنتاج والاستهلاك، ليس فيها معنى ولا قيم إلا لما له قيمة مادية، فأصبح الإنسان يعيش الاغتراب داخل هذا السوق.

لذلك فتح غارودي حوارا للحضارات، أساسه مبدأ ثابت ومشترك عند الجميع، على اعتبار أنه سيؤدي إلى الانفتاح على الآخر لا التصادم معه، هذا المبدأ هو أنّ الإنسان واحد رغم تعدد أبعاده، وأنّ الإنسانية واحدة رغم الفوارق والحواجز والحدود، وأنّ الكون واحد رغم تعدد كائناته وظواهره، وأنّ الحقيقة واحدة رغم نسبية معارفنا ومعرفتنا لها واختلافنا حولها، وأنّ الدين واحد رغم تعدّد الشرائع، وأنّ مصدر كل ما سبق هو الله الواحد، رغم تعدد أسمائه وصفاته وتجلّياته، وهذا ما يعتبره غارودي العقيدة الإبراهيمية.

وبعد احتكاك غارودي بالإسلام وجد أنّ فيه كل ما اختاره لمشروعه، فانبهر بمنهج الإسلام في معالجة القضايا المختلفة، وكيف أنّه لم يترك مجالا إلا ووضع له الإطار الذي ينبثق عنه، من التعالي والارتباط بالغايات والمقاصد السامية وضمان المصالح العامّة والكلّية. فاعتنق غارودي الإسلام، فقد وجد فيه ما كان يبحث عنه لاستدراك

النقائص وحلّ إشكالات الإنسان المعاصر، وهو يعتبر أنّ هذا ما يحدث في تاريخ الإنسانية، فهو يرفض تماماً أن يكون أي جديد هو نقض أو ارتداد عن القديم.

غارودي إذاً يُطالب في مشروعه بأسلوب آخر للحياة، تنسجم فيه كل أبعاد الحياة الإنسانية، سواء الخاصة بالعاطفة والفنّ، أو الخاصة بالسياسة والإيمان. مشروع يهدف إلى ربط المشكلات السياسية بالمشكلات الدينية لتجاوز التّطرف، والتحقق باليقظة الإيمانية[1]. ولتحقيق ذلك طالب غارودي بالاستيقاظ المزدوج للمسيحية والإسلام وكل المؤمنين، للقول بأنّ للحياة معنى، حتى يتمكن الجميع من أن يبنوا للعالم وحدة روحية واقتصادية على حد سواء، باسم إيمان مشترك، تدعمه حتى الروحانيات الكبرى في آسيا [2]. ويظهر أنه لا يقصد هنا الايمان بمعناه الديني، فهو يتكلم عن الايمان بفكرة المصلحة العامة كهدف من أجل الإنسانية جمعاء.

ويُطالب غارودي على الصعيد الاقتصادي في مشروعه بمُساءلة نقدية لتحصيل تغيير جذري لنموذج النمو، ولاكتشاف غايات أخرى للتطور (بعيداً عن اعتباره التقدم التقني)، وعلى الصعيد السياسي يُطالب بوضع تصور، والإعداد للانتقال من ديمقراطية تمثيلية إلى ديمقراطية تشاركيه، وأن نستبدل التّصور الأداتي، ذو البُعد الأُحادي للسياسة، بتصور يأخذ بعين الاعتبار الإنسان بكليته، ويهتم به في جميع جوانبه، ويكون فيه سلوكه وفعله الخارجي تعبيرا عن إيمانه الداخلي[3].

وعلى صعيد الفرد يُطالب هذا المشروع بمحاربة (الأنا الصغيرة: الانانية) ويُشدّد على الماهية الحقيقية للأنا، الذي هو أولا علاقةٌ بالآخر وعلاقةٌ بالكل (أي الروح الإنسانية). وعلى الصعيد الثقافي يساعدنا هذا المشروع على الانفتاح على آفاق بعيدة، وعلى حرية جديدة تؤسّس ذاتها على أولوية الفنون والشِعر والإبداع، وليس فقط على

[1] ـ غارودي، حفارو القبور، مصدر سابق، ص5، 10.

[2] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، تر: عبد المسيح فلي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2004م، ج2، ص168.

[3] ـ ينظر: مصطفى حلمي، مرجع سابق، ص14.

المشروع التقني والمفهوم المجرّد. وأن تتم مساءلة نموذج النمو الأعمى وبلا غائية إنسانية، لأنّه نموذج معياره الأوحد زيادة في الكم لا منتاهية ودائمة للإنتاج والاستهلاك. ومن ثمّ المطالبة بسياسة لا تكون لها علاقة بنظام الوسائل وحده، بل تهتم أيضا بنظام الغايات[1].

[1] المرجع السابق، ص14.

الباب الثاني
قراءة روجيه غارودي للعهد القديم

تمهيد حول مفهوم الوحي في الفكر المسيحي:

يَعتبر المسيحيون الكتاب المقدّس بجزئيه: (العهد القديم والعهد الجديد)، المصدر السماوي من بين مصادر المعرفة والحقائق الدينية، وأنّه دُوِّن بإلهام من الله وبتأثير ورعاية من الروح القدس، وهو ما يُعرف بالوحي في الديانات السماوية. إلا أنّ هذه الديانات اختلفت في تعريفها للوحي، فإذا كان الوحي عند المسلم هو ما نزل من من عند الله على الأنبياء (عليهم السلام) بواسطة رسول الوحي جبريل (عليه السلام)، فإنّ الوحي في نظر المسيحي كما يقول الأب كليمان اليسوعي: "هو أحد، شخص، ابن الله، وريث كل شيء. فلكي تحصل على الوحي، عليك أن تتعرَّف إلى شخص، لا أن تصف لائحة من (عبارات يجب أن تتعلمها)" [1].

ومرد ذلك إلى أنّ كلمة الله في نظر المسيحي هي أقنوم إلهي تجسّد في يسوع، الذي عاش ووعظ، فشهد له تلاميذه، وهذه الشهادات مُدوّنة في مؤلفات تُعرف بالعهد الجديد، وقد أعلنه ونبأ عنه ومهّد له قبل ذلك العهد القديم، فالكتاب المقدّس كله هو الطريق للاتصال بيسوع، يُنبوع الوحي الوحيد[2]. هكذا يتصور المسيحي كلمة الله.

ولتوضيح مكانة ما يسمى بالتقليد المسيحي في الوحي يقول الأب كليمان: "إنّ الكتاب المقدّس هو كل شيء، والتقليد (المسيحي) هو كل شيء، وكلاهما يَنضمان كالعينين الإثنين، لتُشاهدا مصدر الوحي الوحيد مجسّما، أي المسيح يسوع. الكتاب المقدّس يقوم بدور مميَّز بصفته مرجعا، والتقليد يقوم بدور مميَّز بصفته مفسِّرا"[3].

ويَعتبر الاب كليمان أنّ الكتاب المقدّس سلسلة كُتب، وُضعت في نحو عشرين قرنا، على يد عدد كبير من كُتاب مختلفين، وأنّها دُوّنت بإلهام من الله وبتأثير من الروح القدس، فكان الله كاتبها، وأنّ النّاس أيضاً هم أصحابها بحقّ. وقد أورد نص

[1] ـ الأب كليمان اليسوعي، إيماننا بين العقيدة والعمل، ت، الأب صبحي حموي اليسوعي، دار الشروق، بيروت، ط1، 2005م، ص16.

[2] ـ المرجع نفسه، ص19.

[3] ـ المرجع نفسه، ص23.

للمجمع الفاتكاني الثاني المسيحي، الذي جاء فيه(أنّ الله اختار لتأليف تلك الأسفار المقدّسة أناسا استعان بهم، فاستخدموا كامل قواهم العقلية وإمكاناتهم، حتى إذا أثّر هو نفسه فيهم وبهم، استطاعوا أن يُحرّروا خطّيا، ككُتّاب حقيقيين ما أراده فقط)، ومع ذلك فهو يرى أنّ تنوير الروح القدس لكُتّاب الكتاب المقدس، لا يُضعِف عفويتهم وحُرِّيتهم، إذ أنّ كل واحد يؤلف متأثرا بنقائصه (فهناك معلومات غير صحيحة عن التاريخ ومعارف علمية قديمة تُعدّ اليوم خاطئة) وبصفاته الأدبية والشعرية، أو بدونها. ليقرّر الأب كليمان بعد ذلك: "أنّ الكتاب المقدّس يُعلّم الحقيقة ولا شكّ، لكنّها حقيقة الخلاص الدينية، لا الحقيقة العلمية الخاصّة بالفيزياء وعِلم المتحجرات (أصل الإنسان والعالم العلميّ). فالكتاب المقدّس هو تاريخ (مقدَّس)، أي علم مقاصد الله عَبرَ الأحداث البشريّة، تاريخ محبّة الله الذي يُخلّصُنا"[1]. فبعد الدراسات الحديثة النقدية للكتاب المقدس، اتجه المسيحيون للإعتراف بما كشفته تلك الدراسات من أخطاء، مع مساعي منهم للحفاظ على قداسة نصوص الكتاب المقدس.

وقد جاء في كتاب (الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية)، أن علم التفسير المسيحي يَعتبر أنّ الوحي المسيحي أُنزلَ مُنجمّاً في أوقات مختلفة موزعة على أجيال، وقد كُلِّفَ بتبليغه رجال كُثر (اختلفوا عن بعضهم زمنا وبيئة ونفسية ولغة). وللمؤلف المُوحى إليه بهدي الروح القدس في ظل هذه الظروف، أن يُدوّن ما أُوحي إليه من تصورات وخيالات بفنون أدبية شتى، وله أن يستخدم آثاراً سابقة، وهو يحتفظ بأسلوبه الخاص في الكتابة وبعقليته الخاصة. فالوحي لا ينزل عليه إملاءً، بل بمعاني تقوم في نفسه، وعونا ربانيا على أن يجد لهذه المعاني ما يراه الأصلح من قوالب الكلام. ثم إنّ هؤلاء المفسرين، يعتبرون الوحي المسيحي يشتمل على (عهدين) أو (ميثاقين)[2]:

[1] ـ المرجع السابق، ص24.

[2] ـ لويس غراديه وجورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ج1، تر: صبحي الصالح والأب فريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979، ص392ـ393.

1 - عهد قديم أكّده الله مع الإنسانية ممثّلة في شعب خاص، إصطفته العناية مؤقتاً، حتى تُدبّر بواسطته الأمور اللازمة لتجسّد (ابن الله).

2 - أما العهد الجديد فيبدأ بهذا التجسّد، وفيه يضع الله القيود التي بها شاء أن يربط ذاته بقوم دون سواهم ردحا من الزمن، ليُمِد بوحيه وحياته الناس كلهم مهما كان زمانهم ومكانهم، فيجعلهم بذلك جميعاً أبنائه وعياله في (الملكوت السماوي الروحاني المنفتح لكل إنسان جاء إلى هذا العالم). وبهذا يكون العهد الجديد تكملة للعهد القديم. فالآباء بعد القديس بولس، يقولون بأنّ العهد القديم بمنزلة (الرمز) من الحقيقة والأصل (الذي هو العهد الجديد).

وفي المقابل يقول محمد أبو زهرة أنّ المسيحيين يقولون أنّ الكُتب كلها (أسفار العهد القديم والعهد الجديد) كُتبت بالإلهام، أي بالوحي عن طريق الإلهام. وأنّها لذلك لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، فهي حقّ وصدق، لأنّها موحى بها. فذلك ما قاله ابن البطريق المؤرخ المسيحي القديم في كتابه (موجز تاريخ الأمة القبطية) عن الكتاب المقدّس: "الكتاب المقدّس هو مجموعة الأسفار التي كتبها رجال الله القديسون، بإلهام الروح القدس في أوقات مختلفة، وفيها أَعلن الله مشيئته ووصاياه، وما قطعه من المواعيد، وما فرضه من المثوبة، وما فيه من إرشاد الناس وخيرهم، وخلاصهم وما أتمّه من عمل الفداء"[1].

إلا أنّ الإلهام عند المسيحيين هو الإلهام في مضمونه الرئيسي، كما يُبيّنه شُرّاحهم وعلمائهم. ولذلك يقول هورن: "إذا قيل أنّ الكتب المقدّسة أوحي بها من عند الله، لا يراد أنّ كل الألفاظ والعبارات من إلهام الله، بل يُعلم من اختلاف محاورات المصنفين واختلاف بيانهم، أنّهم قد جوّز لهم أن يكتبوا، على حسب طباعهم وعاداتهم وفُهومِهم، واستعمال علم الإلهام على طريقة استعمال العلوم الرسمية. ولا

[1] - محمد أبوزهرة، محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط4، 1404 هـ، ص91.

يُتخيّل أنهم كانوا يُلهمون في كل أمر يُبيّنونَه، وفي كل حُكم كانوا يحكمون به". وعليه خلص محمد أبو زهرة إلى أنّه لم تكن الكتب المقدّسة ملهمة من حيث أسلوب البيان، ومن حيث التّصرف في التعبير، ومن حيث كل ما تشتمل عليه من معان، بل موضع الإلهام فقط المعاني الرئيسية أو الرسمية، أمّا بقية الأفكار والمعاني فأُلّفت حسب الطبائع والأفهام والعادات[1].

وهذا ما يذهب إليه جاك جوميه ومارتن سبانخ من أنّ التأييد المشار إليه في إنجيل يوحنا 26/14: (وأما المؤيد (المعزي)، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويُذكّركم كل ما قلته لكم)، فالتأييد هو قبل كل شيء تأييد الروح القدس لكاتب النصوص المقدسة، لكي يتوخى الدقة والأمانة في نقل رسالة يسوع، ويتمثل التأييد كذلك في إرشاد الكنيسة لضمان حُسن فهم رسالة يسوع. أمّا ما نجده من اختلاف طفيف من حيث العبارة - على حد تعبير جوميه وسبانخ - فإنّ هذا الاختلاف إنّما أرشد إليه الروح القدس، لتكون الرسالة الإنجيلية أقرب إلى الأذهان في البيئات المختلفة التي وُجِهت إليها[2].

مفهوم العهد في الفكر اليهودي والفكر المسيحي:

فالكتاب المقدّس إذاً يشتمل على (العهد القديم والعهد الجديد). وتستوقفنا هنا قضية مهمة في الكتاب المقدّس هي قضية العهد، التي يذكر غارودي أنّها من الإضافات اليهودية للفكر الديني (إضافة إلى قضية الخروج وقضية الوعد). فالعهد في اللغة العبرية: بيريث ويعني أيضا الحلف أو الميثاق. وهو عندهم عهد بين الله والإنسان، مؤداه أن يكون الإنسان دائم الاستعداد لتلبية نداء الله، تلبيةً غير مشروطة، رائده في ذلك إبراهيم (عليه السلام). والأصل في العهد هو ما كان مع إبراهيم ثم موسى وقومه،

[1]- المرجع السابق، ص 92.

[2] - جاك جوميه ومارتن سبانخ، المسيح ابن مريم، دار الشروق، بيروت، ط2، 1999، ص260-261.

حين كانوا في صحراء سيناء، فأراد الله أن يُبين لهم ما فعل بقوم فرعون، فأمر بني إسرائيل بإخلاص الإيمان، وبألا يتخذوا ألهةً من دون الله. ثم يُشير الكاتب محسن الميلي إلى أنّ رأي غارودي وهو رأي كثيرين غيره، يرون أنّه رغم كون العهد كان مع موسى وبني إسرائيل، لكنه لم يكن خاصا بهم، لأنّه عهد بين الله وكل الناس الذين يستجيبون له، مهما كانت أُصولهم وأجناسهم. ويؤكد ذلك بمقولة الباحث في الأديان (أندريه نهر) في هذا الإطار: "كل الشعوب، شأنها شأن بني إسرائيل، مسؤولة أمام الله"[1].

ولمّا ذهبت اليهودية للتشديد على أنّ العهد بين الله وشعبه المختار (بني إسرائيل)، أكثر منه على وحدانية الله، وأصبح التركيز على علاقة شعب مع إلهه، الذي اختاره وقطع معه عهدا ووعد له وعودا، وحقّقها له وحرّره، جاء يسوع - كما يقول الأب سيداروس - بعهد جديد، ليُعلن وحدة الأقانيم الثلاث التي يكون بها خلاص المؤمنين، وهذا قمة ما أراد أن يُعلنه الله عن ذاته الإلهية[2]. فبعد أن كان العهد في الفكر اليهودي عهد بين الله وشعبه المختار، تحول في الفكر المسيحي إلى عهد لله مع الكنيسة.

ويُشير غارودي في معرض كلامه عن علاقة الغرب المسيحي باليهود، وطبيعة تعاملهم مع إسرائيل وقضية فلسطين، إلى أنّ الغرب تبنّى المسيحية على أنّها مُكمّلة للوعود التي وعَد الله بها الأجداد (إبراهيم واسحاق ويعقوب...)، مُضافا إليه المفهوم اللاهوتي المسيحي، القائل بأنّ العهد القديم ليس إلا كناية (ونبؤات) عن العهد الجديد وما جاء فيه[3].

[1] ـ محسن الميلي، مرجع سابق، ص96ـ97.
[2] ـ الأب فاضل سيداروس، سر الله الثالوث ـ الأحد، دار المشرق، بيروت، ط3، 2000، ص129.
[3] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص17.

أسفار العهد القديم

يقسّم أبوزهرة الكتاب المقدّس عند كلامه عن المصادر المسيحية إلى قسمين. فهو يشتمل لدى النصارى على التوراة والأناجيل ورسائل الرسل. فالتوراة (الأسفار الموسوية) مع أسفار أخرى، يسمّونها كتب العهد القديم، ويسمّون الأناجيل ورسائل الرسل كتب العهد الجديد. وهم يعتمدون على العهد القديم في معرفة أخبار العالم في عصوره الأولى وأجياله القديمة، وشرائع اليهود الاجتماعية والدينية وتاريخ نشأتهم، وحكوماتهم وحوادثهم، والنبوات السابقة منذ هبوط الإنسان على هذه الأرض، والبشارات بالنبيّين اللاحقين وبالمسيح، وفيها يجدون أدعية متوارثة تُعين على أداء العبادات، والقيام بالطقوس الدينية كمزامير داود. ثم يُشير أبو زهرة إلى أنّ هناك بعض الأسفار المعتبرة والمقدّسة عند اليهود لكنها مرفوضة عند المسيحيين لعدم اعتقادهم بصحّة الوحي فيها[1].

وقد اعتمدت الكنائس المسيحية في ترتيب وتقسيم أسفار العهد القديم على النّظام اليوناني، وعلى الترجمة السبعينية للكتاب المقدس، متّبعين في ذلك يهود الإسكندرية، ومخالفين يهود فلسطين الذين يعتمدون النّظام العبري في التقسيم والترتيب. وقد اعتمد

[1] ـ أبوزهرة، المرجع السابق، ص48.

أتباع المذهب الكاثوليكي* طبعة تزيد على الطبعة البروتستانتية**بسبعة أسفار ضمن أسفار الأبوكريفا (وهي الأسفار المرفوضة عند باقي المسيحيين). والجدول التالي يبيّن الاختلاف بين الطبعتين الكاثوليكية والبروتستانتية[1]:

العهد القديم في الطبعة البروتستانتية ينقسم إلى 4 أقسام، فيها 39سفرا.	العهد القديم في الطبعة الكاثوليكية ينقسم إلى 5 أقسام، فيها 46سفرا.
القسم الأول: (كتب موسى) أو الأسفار الخمسة (البنتاتيك) وهي: التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية.	القسم الأول: (كتب موسى) أو الأسفار الخمسة (البنتاتيك) وهي: التكوين، الخروج، الأحبار، العدد، تثنية الإشتراع.
القسم الثاني: الأسفار التاريخية 12 سفر، هي: يوشع، القضاة، راعوث، صموئيل	القسم الثاني: الأسفار التاريخية 16سفر، هي: يوشع، القضاة، راعوث، الملوك

* ـ الكاثوليكية: نسبة إلى الكنيسة الكاثوليكية، والكاثوليكية تعني العامة، فهي تدعي أنّها أم الكنائس ومعلمتهن. وتسمّى بالكنيسة الغربية اللاتينية، لتمركزها في العالم الغربي واعتمادها على اللغة والثقافة اللاتينية، وتسمّى البطرسية لأنها تعتبر الرسول بطرس كبير الحواريين مؤسسها. ينظر: عبد القادر شيبة الحمد، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، الألوكة، الرياض، ط4، 1433هـ، ص53.

** ـ البروتستانتية: وهم أتباع مارتن لوثر أبرز زعماء حركة الإصلاح الديني المسيحي، الذي ظهر في القرن 16م. وقد احتجّوا على الكنيسة الكاثوليكية بالإنجيل، ولذلك تسمّى بالكنيسة الانجيلية، ويرون أنّه من حقهم فهمه بأنفسهم دون الحاجة لباباوات. ينظر: عبد القادر شيبة الحمد، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، الألوكة، الرياض، ط4، 1433هـ، ص54.

** ـ البروتستانتية: وهم أتباع مارتن لوثر أبرز زعماء حركة الإصلاح الديني المسيحي، الذي ظهر في القرن 16م. وقد احتجوا على الكنيسة الكاثوليكية بالإنجيل، ولذلك تسمى بالكنيسة الانجيلية، ويرون أنه من حقهم فهمه بأنفسهم دون الحاجة لباباوات. ينظر: عبد القادر شيبة الحمد، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، الألوكة، الرياض، ط4، 1433هـ، ص54.

[1] ـ محمد بن علي بن محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، مطبوعات مجلة البيان، 2003، ط1، 2003، ص61ـ62.

الأول والثاني، الملوك الأول والثاني، أخبار الأيام الأول والثاني، عزرا، نحميا، استير.	الأول والثاني والثالث والرابع، أخبار الأيام الأول والثاني، عزرا، نحميا، طوبيا، يهوديت، أستير، المكابين الأول والثاني.
القسم الثالث: أسفار الاناشيد أو الأسفار الشعرية، وهي 5 أسفار: سفر أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الانشاد.	القسم الثالث: الأسفار الشعرية وهي 6 أسفار: سفر أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الانشاد، مرائي إرميا.
القسم الرابع: أسفار الأنبياء17سفر، وهي: إشعيا، إرميا، مرائي إرميا، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي.	القسم الرابع: أسفار نبوية17سفر، وهي: إشعيا، إرميا، باروك، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، نحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي.
لا يوجد قسم خامس	القسم الخامس: أسفار تعليمية، وهما سفران: الحكمة وسفر يشوع بن سيراخ.

ويَظهر أنّ غارودي لا يهتم لمثل هذه التقسيمات والأسماء المعتمدة فيها ويُزاوج بينها عندما يتطرّق إليها، بل إنّه يقف عند غيرها من الأسفار ممّا لا يعتمده هؤلاء أو أولئك. وذلك لأنّ منهجه يأخذ برؤية تكاملية لدراسة المشكلة الدينية، تماشى ومفهومه للدين وطبيعة مشروعه، فينظر غارودي إلى الدين على أنّه ظاهرة كلية متعددة الأبعاد من الخطأ اختزالها في واحد منها. لذلك نجده ينظر في كل رأي ويعتد بمقول أي مذهب.

فالدين والتدين يجمع بينهما غارودي، فمن حيث هو ظاهرة تاريخية يمكن أن يُدرس وفق منهج تاريخي، ولكن لابد أن تكون الدراسة مستجيبة لمختلف الشروط العلمية. كأن تكون مقارنة ونقدية وأن تعود إلى النصوص الدينية دون إسقاط لتصورات مسبقة عليها، على أن تضع في اعتبارها دوما تداخل أبعاد الظاهرة، بما في ذلك الإيمان بإمكانية الوحي الإلهي وقدرة الإنسان على كسر الحتميات التاريخية. فالتاريخ عند غارودي ليس خاضعا لحتمية صارمة، وإنما هو مجال الإمكان والتجاوز وتحقيق الإرادة الإنسانية، القادرة على توجيه الأحداث[1].

[1] ـ محسن الميلي، مرجع سابق، ص63 ـ64.

أ - قراءة غارودي للأسفار الخمسة (أسفار موسى: التوراة).

بدأ غارودي وقفته مع التوراة المسماة بأسفار موسى أو الأسفار الخمسة، بعد أن ذكر اقتباسات العبرانيين (أي اليهود) من الشعوب التي عاشوا معها، في شتى المجالات بما فيها المجال الديني، مُبيّنا أنّه في هذا الجو من التلفيق والتوفيق، وُلدت الأسفار الخمسة: (سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر ثثنية الذي يسمّى كذلك سفر الإشتراع أو ثثنية الاشتراع) وهي نواة التوراة التي تتضمن جوهر العقيدة اليهودية. ففي ظل حكم داود وسليمان، ظهرت أولى الوثائق المدونة، وهي أولى الحوليات التي حرّرها مؤرخو سير الملوك وتاريخهم، التي تُعدّ المرجع الصريح للنّصوص التوراتية. ويذهب غارودي في محاولة منه لإثبات أنّ تاريخ أول كتابة للأسفار الخمسة كان في عهد داود وسليمان (عليهما السلام) فيقف مع ما نجده في سفر صموئيل الثاني، الذي يُشير إلى اسم أحد النُساخ من بين موظفي داود، وسفر الملوك يشير إلى أمينين للسرّ لدى سليمان، وفي سفر الملوك الأول إحالة على كتاب حوليات سليمان، التي نري مقاطع منها في سفر الملوك وأخبار الأيام[1].

وعليه فتوراة الكتاب المقدس هي نتاج لعملية لملمة للمأثورات الشفوية، هذه التوراة يسميها المسيحيون أسفار موسى الخمسة. وعلى مدى ما يقرب من ألفي عام اُعتبرت هذه الأسفار على أنّها كتبت بقلم موسى نفسه. رغم أن بن عزرا أنكر هذا الزعم في القرن (12ق م)، ولم يظهر أي بحث نقدي له إلا حينما نبّه الباحث كارل شتات (في القرن16م) إلى أن موسى لم يكن ليستطيع أن يروي حكاية موته بنفسه. ثم قام بعدها الكاهن ريشارد سيمون عام1687م بنشر كتاب (التاريخ النقدي للعهد القديم) يُبرز فيه اللامعقولية في التأريخ، إلى جانب أنواع التكرار والفوضى واختلاف الأساليب، ناقدا بذلك أن تكون هذه الأسفار الخمسة كلها من صنع رجل واحد[2].

[1] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص79.
[2] ـ المصدر السابق، ص 80.

ثم يُشير غارودي إلى نتيجة الأبحاث في القرن19م، بداية بما أشار إليه أستروك سنة 1753م، أنه كان على سفر التكوين أن يَرِدَ في نصين مادام الله يُسمَى فيه حينا إلوهيم وحينا أخر يهوه، ثم عمّم هذا الحكم أيشهورن سنة 1780م على الأسفار الأربعة الأخرى. وتقول هذه النتائج: أن أسفار موسى الخمسة هي نتيجة لملمة مأثورات شفوية مغرقة في القدم. ومنذ أبحاث ولهاوزن عام 1883م يَقبل مُعظم المفسرين والمؤرخين المسيحيين والنقاد الغربيين بوجود أربع مصادر للأسفار الخمسة[1].

ويرى موريس بوكاي أنّ هناك مصدران من بين الأربعة جوهريان قديمان، والثالث منفصل عنهما في زمانه ومضمونه، أمّا الرابع وهو الأخير، فإنّه يظهر في مواضع معينة بصورة تكميلية وتوضيحية فقط، وهو أحدث هذه المصادر (أو الينابيع) تاريخاً[2].

1- المصدر الأول (المصدر اليهوي)

يحمل هذا المصدر إسم يهوه، علَما على الرّب (jahwist: ولهذا يُرمز لهذا المصدر بالحرف j) وقد حُرّر في مملكة إسرائيل الجنوب (مملكة يهوذا)[3]. ويلاحظ غارودي أنّ هذا المصدر لا يَستخدم إلا إسم يهوه للدلالة على الإله. ويُلّح هذا المصدر اليهوي على الوعد المعطى للآباء (إبراهيم وإسحاق ويعقوب)، الوعد الذي سيتحقق بتشكّل الشعب انطلاقا من أبناء يعقوب الإثنا عشر (وهو وعد بذرية كبيرة) وبتمركز هذا الشعب في أرض كنعان (وهو وعد بالأرض) وقيام مملكة داوود. وفي سفر الملوك إشارة واضحة إلى داوود والوعد على لسان سليمان، مما يدلّ على أنّ هذا النّص قد كُتِب في عهد سليمان[4].

---

[1] ـ المصدر السابق، ص 80.

[2] ـ موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، تر، حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1990م، ص50ـ57.

[3] ـ ول ديورنت، قصة الحضارة، مكتبة الروايات، ج2، مج 1، ص 367.

[4] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص 80.

ويجد غارودي أنّه في هذا المصدر مُدّ تاريخ إسرائيل إلى الوراء فوُصِل به إلى بدء الخليقة، فورد في هذا المصدر أن الله خلق العالم ثم خلق إسرائيل. ويرى غارودي أن هذه الأساطير المتصلة بالخلق اقتُبست في جوهرها من الأساطير القديمة لبلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات)، وأخذت بالخصوص من الحكايات الآشورية - البابلية. فحكايات خلق العالم والفردوس والأرض والطوفان قد سبق أن وُجدت مدونة في عبارات قريبة جداً من عبارات التوراة في الأشعار السومرية أو ملحمة جلجامش* التي ترجع إلى الألف الثاني ق م. [1]

2- المصدر الثاني (المصدر الإيلوهيمي)

ويطلق هذا الاسم على هذا المصدر نسبة إلى إيلوهيم (elahist وهو الإسم الذي يُطلق على الرب أيضا ويُرمز لهذا المصدر بالحرف e) وقد حُرّر في مملكة إسرائيل الشمالية[2]. ويرى غارودي أنّ نصوصه مأخوذة من سفر التكوين ومن مقاطع من الأسفار الأربعة الأولى، وهي تحتوي على مجموعتي التشريعات الأقدم: الوصايا العشر ووصايا العهد. وهذا المصدر سابق للنبي يوشع، وهو يعود على الأرجح إلى النصف الأول من القرن الثامن ق م[3].

وهذان المصدران (اليهوي والإلوهيمي) يتفقان في الخطوط العريضة للموضوع الذي يتناولانه، كما يتفقان في طابع القصص وأسلوبه. وربما حَدَث مزج بين الروايتين

* ملحمة جلجامش: تسمى هذه الملحمة بأوديسة العراق القديم، يضعها الباحثون ومؤرخو الأدب المحدثون بين شوامخ الأدب العالمي وهي أقدم نوع من أدب الملاحم البطولي في تأريخ جميع الحضارات وهي أطول وأكمل ملحمة عرفتها حضارات الشرق الأدنى، وقد دوّنت هذه الملحمة قبل 4000 عام، ينظر: ملحمة كلكامش، طه باقر، ص10

[1] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص 81.

[2] ـ ول ديورنت، مرجع سابق، ج2، مج 1، ص367.

[3] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص81.

اليهوية والإلوهيمية على ألسنة الناس في القُرون التالية للقرنين التاسع والثامن قبل الميلاد[1]. حتى أنّ الباحثة كاترين هنري تقول: "يعتقد كثير من العلماء أنّ مجموعات وثائق هذين المصدرين كانت أول الأمر أحاديث سماعية متواترة، ثم نُسجت نسيجا واحدا في قصة واحدة، كما تنسج الخيوط المختلفة في قطعة واحدة من القماش"[2].

3 - المصدر الثالث مصدر الإشتراع (التثنية)

ويُرمز لهذا المصدر بالحرف d نسبة إلى عبارةdetryonomy أي التثنية[3]، وتزعم الرواية التي يأخذ بها غارودي أنّه تم اكتشافه عام 622 ق م في ظل حكم (جوزياس)، إبّان إصلاح معبد أورشليم، ويغلب الظنّ أنّ هذا المصدر حُرّر على يد طائفة من النساخ والكهان في بلاط النبي اليهودي حزقيا 716-687ق م. وهو صياغة مذهبية جديدة لكل التعاليم السابقة. وتدور الفكرة الرئيسية فيه حول تسمية إسرائيل بشعب الله المختار المرتبط مع الله بالعهد. وهذا العهد يتصل على نحو وثيق بفكرة الوحي والالتزام بالشريعة. وقد صار العهد مرادفا للوصية، فألواح العهد قد حُفِرت عليها الوصايا العشر. وهكذا أصبح سفر الإشتراع (التثنية) ردّا على هيمنة الآشوريين، فالحاكم الوحيد الحقيقي لإسرائيل هو يهوه وليس ملك آشور. ولهذا لم يُتح لتأريخ وكتابة هذا النص أن يظهر إلا بعد ضُعف المملكة الأشورية، إذ نودي به تشريعا لمملكة إسرائيل، ومن هذا جاءت أسطورة اكتشاف هذا النص على يد جوزياس[4].

[1] ـ حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي (أطواره ومذاهبه)، دار القلم، دمشق، ط4، 1999م، ص27.

[2] ـ فتحي محمد الزغبي، تأثر اليهوديه بالأديان الوثنية، دار البشير، مصر، ط1، 1994م، ص340 (هـ).

[3] ـ ول ديورنت، مرجع سابق، ج1، ص367.

[4] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص81ـ82.

ويقول حسن ظاظا عن هذا المصدر: "وهو في جوهره تشريعي بحت، صادر عن وسط مثقف لا يُلقي بالاً إلى القَصص الشعبي، بقدر ما يهدف إلى التوجيه والتعليم، والتطوير عن طريق سن القوانين"[1].

4- المصدر الرابع (المصدر الكهنوتي)

ويُرمز له بالحرف p وهو الحرف الأول لكلمة كهنوتي priestly، وهو عبارة عن حواش أو فصول أضافها الكهنة إلى نص التوراة، والرأي الغالب أنّ هذا المصدر كَوَّن الجزء الأكبر من (سفر الشريعة) الذي أذاعه عزرا[2].

وسُمّي هذا المصدر بهذا الإسم لأنّه يلحّ على إضفاء الشرعية على العبادة والتمسك بشكلانية طقوسها. ويشير غارودي إلى أنّ الموضوع الأساسي لهذا المصدر، هو العهد مع نوح ومع إبراهيم، بغية تأييد عهد موسى وداود. فتصفُح سفر حزقيال يُتيح لنا تحديد زمن هذا المصدر بفترة السبي البابلي في القرن السادس ق م. وقد جرى مرة أخرى تذكير المنفيين بما وقع لجيل آبائهم في صحراء التيه، ولم يقتصر على تذكيرهم بإنقاذهم من مصر فحسب، وإنّما بالوعد الذي قطعه الله لإبراهيم بأن يعطيه أرض كنعان إلى الأبد. ولابد من الالتزام الحرفي بالشريعة كي يكون الإسرائيلي وفيّا للعهد وجديرا بإنجاز الوعد وتحقيق العودة. ويذكر غارودي ما جاء في سفر الاشتراع (لا تزيدوا شيئا على ما حدّدته لكم ولا تُنقصوا منه شيئا) [3].

من خلال هذه المصادر في رأي غارودي اُخترعت فكرة الشعب المختار، بعد أن فُسِّر الطوفان على أنّه محو لكل المعاصي التي اقترفها الإنسان بحق الله (الخطيئة الأصلية التي تمرّد فيها الإنسان على طاعة الله، قتل قابيل لهابيل وإدعاء الإنسان مساواة الله حينما شيّد برج بابل) ليبدأ العدّ من الصفر. ويَخلُص غارودي إلى أنّ ما ترسمه هذه المصادر كتاريخ مقدّس يتأسس على حدثين أساسيين وهما: الخروج من مصر، وقبله

[1] ـ حسن ظاظا، مرجع سابق، ص27.

[2] ول ديورنت، مرجع سابق، ج2، مج 1، ص367..

[3] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص82.

الوعد المقطوع للآباء. ومن خلال هذه المصادر الأربعة للنّص التوراتي التي يرى غارودي أنّها تُعطينا الإطار العام للتاريخ، يُمكن إعادة بنائه وقراءته من جديد، بمُضاهاة ومقارنة الروايات الشفوية الإسرائيلية بالمصادر التاريخية المحضة، الخاصة بسائر شعوب الشرق الأوسط، من مخلّفات أثرية وكتابات ونقوش وحوليات وأساطير[1]. وهذه من أهم ركائز منهج البحث عند غارودي، للوصول للحقيقة بعيدا عن التزييف والتلفيق.

وعلى حد تعبير الأب كليمان اليسوعي فإنّه على غرار جميع الشعوب تساءل الشعب اليهودي في أحد الأيام: (كيف بدأ عالمنا؟)، ولأنّ كل تفكير بشري يدفعنا إلى الاعتراف، بانطلاق كل شيء بوجود كائن مطلق، ألّف كل شعب بعض الأساطير، وهي روايات تخيّلها عن البدايات، بحيث أنّ أساطير خلق العالم نجدها في جميع الحضارات. إلا أنّ الروايات الكتابيّة تميّزت عن غيرها، علما أنّها متشابهة تقريبا. ثم توقف الأب كليمان على روايتي الكتاب المقدّس (الإلوهيمية واليهووية)، فأجمل مواضيعهما في أربع نقاط[2]:

1- الموضوع الأول: أرض الميعاد

فبعد تحرّر الشعب اليهودي من العبودية التي خضع لها في مصر، واجتاز بفضل يهوه إلهه وحاميه البريّة، وأعطاه فلسطين حيث ينزل المطر وينبت الحصاد. في تلك الأيام حرّرت رواية خلق العالم الأولى. والتي أظهرت الله بمظهر الخزّاف (أي صانع الخزف)، كما نرى ذلك في بعض الأساطير، فهو يصنع الإنسان، ويُخرج من الأرض التي لا شكل لها، بستاناً وحيوانات. فكانت هذه بداية تفكير (أي تصور للخلق) يُرشده ويرعاه الروح القدس، بقدر ما تسمح به المعارف العلمية حينها[3].

[1] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص82ـ83.
[2] ـ الأب كليمان اليسوعي، مرجع سابق، ص45ـ48.
[3] ـ الأب كليمان اليسوعي، مرجع سابق، ص45.

2- الموضوع الثاني: الجلاء

بعد أربع قرون أو خمسة (من الدخول إلى أرض الميعاد) دُمّر الهيكل وأورشليم، وقُتلت الأسرة المالكة، وجُلّي السكان إلى صحاري سورية والعراق وإلى بابل على ضفاف الفرات. فبدا للبعض أنّ الله تخلى عن شعبه، واعتبر البعض الآخر أن مردوك إله الاشوريين القدير تغلّب على يهوه. فألهم الروح القدس إلى تفكير ديني جديد، أخذ يُعيد الشجاعة إلى اليهود الذين فقدوا كل حيلة، فجاءت القصيدة الرائعة التي تصف خلق العالم في ستة أيام، وتُذكّر بالقيم الجوهرية (فليس العالم إلها، وإلا وقع الإنسان في الحلول. وليس الله في العالم، وإلا وقع الإنسان في تعدّد الآلهة. فالعالم مرتبط بكائن مطلق يتفوق عليه. وأنّ يهوه إله إسرائيل هو إله الأرض كلّها وإلهها الوحيد). في حين كان يُعتقد في بابل عاصمة بلاد فارس أنّ هناك صراعا بين إله صالح وإله شرير، ويفسّرون بذلك وجود الشرّ على الأرض[1].

3- الموضوع الثالث: خلق العالم

تمدَّدَ خلق العالم على ستة أيام، ولتأكيد على أنّ الله صالح، والخليقة هي صالحة، يُكرّر الكتاب المقدّس في كل مرّة أنّ (كل ذلك كان حسنا)، الماء واليابس، النّور والظلمات، الطيور والحيوانات، وكذلك الإنسان ذكرا وأنثى، فالخليقة كلّها حسنةً وممتازة. لكن تلك الخليقة ليست مقدّسة، وليست نتيجة إرادة فائقة للطبيعة: فالشمس والقمر والنجوم والنباتات، التي ألهها سائر الشعوب وعبدوها ليستمِلوا عطفها، ليست آلهة. بل هي كائنات مخلوقة لا تختلف صِفتها عن صِفة الإنسان. وهي تخضع لإرادة الخالق العاقلة. ولذلك سيكون العلم ممكنا، وسيستطيع الإنسان في أحد الأيام، أن يكتشف قوانين سيرها المعقولة. وكل ما هو خرافة وسحر واستحضار أرواح لا وجود

[1] ـ المرجع السابق، ص46.

لها في الحقيقة. ويجوز للانسان أن يبحث عن القوانين الطبيعية والكيماوية والنفسية فقط[1].

4- الموضوع الرابع: الإنسان.

إنّ الإنسان وحده هو على صورة الله، لأنه إبن الله (وهذه عبارة لمفهوم مسيحي لا يرد في العهد القديم)، ومن أجله خَلق الله العالم، فهو يُسمّي جميع الحيوانات التي يعرضها الله أمامه، ولا يجد واحد منها يساويه، ولمّا جعل الإنسان في ذروة الخليقة ليواصل عمل الله، كان عليه أن يزرع البستان ويجعله يُنتج (فهذا هو دور الإنسان).

وبعد ذكر هذه المواضيع الأربعة كملامح للرؤية الكونية اليهودية من خلال مصادر العهد القديم، يذهب الأب كليمان إلى أنّه رغم ما عرفناه عن خلق العالم، فإنّنا لا نجد أنوار علمية عن علم المتحجرات والعصور التي سبقت التاريخ، وعن تكوين الأنهار والجبال، وعن دورة الماء ومصدر المطر، والعواصف والبرق والرعد، وعن تطور الأصناف وظهور الإنسان[2].

فماذا عن سفر التكوين، وهو أول الأسفار الخمسة، وكيف كانت قراءة غارودي لهذا السفر؟

1. **سفر التكوين:** الموضوعات الرئيسية لسفر التكوين يُجملها التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس في سبعة قضايا وهي[3]:

- البدايات: فهذا السفر يوضح بداية وقائع هامة كثيرة: (الكون، الأرض، الإنسان، الخطيئة، وخطة الله للخلاص).

- العصيان: فالعصيان يحدث إذا لم يتبع الناس خطة الله للحياة عند الإختبارات العظيمة.

[1] ـ الأب كليمان اليسوعي، مرجع سابق، ص48.

[2] ـ المرجع نفسه، ص49.

[3] ـ ماستر ميديا، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، القاهرة، 1997، ص4.

- الخطيئة: وتكون بمعصية الله وهي تدمّر حياة الناس.
- الوعد: الوعد يعطيه الله للبشر لمساعدتهم وحمايتهم، ويسمى في هذه الحالة عهداً.
- الطاعة: وهي نقيض الخطيئة، وبها تُسترد العلاقة مع الله.
- النجاح: النّجاح أعمق من مجرد الثروة المادية، فطاعة الله هي النجاح الحقيقي.
- بني إسرائيل: فالله بدأ ببني إسرائيل ليكونوا له شعباً مكرساً (يحفظ طرقه حيّة في العالم، يُعلن للعالم من هو الله ويُعد العالم لمولد المسيح...).

أما عن قراءة غارودي لسفر التكوين فإن أول ما يُذكر هو رفضه لما ورد في سفر التكوين31/11 (اصطحب طارح ابنه إبراهيم من أور في كلدة ليذهب به إلى بلاد كنعان، ووصلا إلى حران حيث أقاما فيها...) * فيعتبر غارودي أن ذِكر كلده في زمن إبراهيم باطل، لأنّ هذا الإسم لم يظهر أول مرة إلا في حوليات أشور بانيبال (884 -859 ق م). وعليه فإنّه لم يَكتُب مؤلف سفر التكوين هذا النص إلا بعد ألف عام من الحادثة المفترضة الخاصة بإبراهيم[1]. وعليه يذهب غارودي إلى أن سفر التكوين كُتب بعد موسى عليه السلام، وفيه زيادات لم تُعرف في عهده.

وفي إطار كلامه عن قضية فلسطين، وملف إسرائيل والخرافات التي يؤسّس بها الصهاينة لدولة إسرائيل المزعومة، يقف غارودي مع ما جاء في الأسفار الخمسة، فبعد أن يذكر عهد الله لإبراهيم في سفر التكوين (الإصحاح 15)، يُسجّل غارودي ملاحظتين[2]:

* ـ النص في الكتاب المقدس:(وأخذ تارح أبرام ابنه، ولوطا بن هاران، ابن ابنه، وساراي كنته امرأة أبرام ابنه، فخرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك).

[1] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص36ـ37.

[2] ـ غارودي، ملف إسرائيل، دراسة للصهيونية السياسية، تر، مصطفى كامل فوده، دار الشروق، بيروت، ط3، 1985م، ص87ـ88.

1- أنّ إبراهيم القادم من أور في العراق، ليس عبريا بل هو آرمي أي سوري، فاختيار الله لإبراهيم وإعطائه العهد لم يكن بسبب جنسه بل بسبب إيمانه. (فالوعد الإلهي للمؤمنين الصالحين وليس للعبرانيين، بغض النظر عن أفعالهم).

2- أنّ الله فرض الختان علامة على العهد (على ما جاء في سفر التكوين الإصحاح 17/ 13- 14: يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك، فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبديا. وأما الذكر الأغلف الذي لا يُختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي)، وقد نفَّذ إبراهيم هذا الأمر واختتن هو وإبنه إسماعيل. وهكذا يؤكد سفر التكوين نفسه على مباركة إسماعيل أبو العرب، الذي سيكون من نسله إثنا عشر رئيسا، ويكون من ذريته أمة كبيرة. في حين لم يكن إسحاق أبو العبرانيين قد ولد بعد (من سارة زوجة إبراهيم عليه السلام)، وقد وعده الله سلفا بأن يُقيم عهداً معه. وقد جاء التأكيد على شمولية مضمون هذا الوعد، عند الإشارة إلى عيسو (إبن إسحاق) أين خاطبه الله قائلا: "بك وبنسلك تكون مباركة كل أمم الأرض".

وبهذا التحليل يفنّد غارودي ويرفض اعتماد الإيديولوجية الصهيونية على هذا الوعد لتأسيس مزاعمهم، بل يذهب إلى أن قضية إسرائيل ليس لها ذكر في أي وثيقة تاريخي معتمدة عند الشعوب، سوى العهد القديم، ويطرح غارودي هنا سؤال: هل يمكن لأي مجموعة بشرية، أيّا كانت، أن تفرض على شعوب أخرى كقاعدة لوجودها، مبدأ لا يقوم إلا على إيمان تلك المجموعة البشرية بسننها التقليدية؟.

بل يعتبر أنّ جميع شعوب الشرق الأوسط قد عرفت مثل تلك الوعود لإبراهيم، ولم يعتبروها حقا تاريخيا لهم، ولا وعود مستقبلية. علما أن إمبراطورياتها كالحثيين (السوريين) دامت حوالي ألف عام، في حين لم تستمر مملكة داود وسليمان عليهما السلام، التي يستند عليها الصهاينة، إلا عشرات السنين فقط؟[1].

[1] ـ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص91.

ويعتبر غارودي أنّ مثل هذه القراءة الصهيونية للتوراة هي قراءة انتقائية مغرضة، بل هي قراءة قَبَلية متعصبة، تُسلّم سلفا بصحتها، دون غيرها من القراءات التاريخية لمن يجاورها من الشعوب. كل ذلك رغم أنّنا نجد أن إبراهيم يقول في سفر التكوين (4/23: أنا غريب ونزيل عندكم. أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي) أي أنّ إبراهيم لم يكن يعتبر نفسه مالكا لأرض كنعان، حتى أنه في هذا النص المذكور (تك 4/23) يُكثر من مجاملة عفرون الحيثّي، ببلدة حبرون ليشتري منه أرض في المكفيلة ليدفن بها زوجته ساره، أي أن الأرض ملك للحثيين.

وتأتي القراءة القَبَلية الانتقائية الصهيونية، تُهمل التفسير الروحي، على أنّ أرض الميعاد هي مملكة الله، وتذهب إلى التفسير المادي، على أنّ الوعد يتمثل في أرض، حدد سفر التكوين حدودها في إصحاح الخلق 18/15: (لذريتك أعطي هذه البلد من نهر مصر إلى النهر الكبير) * لتصبح هذه الآية وكأنّها صك ملكية لتلك الأرض، وتُعتبر في نظر الصهاينة برنامج سياسي وعسكري[1].

ويجد غارودي أنّ هذه القراءة العنصرية، تحصر ذرية إبراهيم في بني إسرائيل، دون العرب وهم بنو إسماعيل بكر إبراهيم عليه السلام. علاوة على أنّ فيها نصب واحتيال على الإنسانية، التي ترى في تضحية إبراهيم صورة لإيمانها على حد تعبير غارودي. بل يُفسّر الصهاينة تلك الآية في الاتجاه الذي يؤكد صحة اتصال نسب اليهود الحاليين بأرض كنعان القديمة. وبهذا يبرّر القادة الإسرائيليون سياستهم التوسعية، واعتداءاتهم وضمّهم للأراضي باسم تلك الخرافة[2].

ويُشير غارودي إلى أن الكثير من الدراسات في الشرق الأوسط للمسيحيين المشارقة، وفي مناطق عديدة من العالم، تؤكد أنّ إسرائيل الحالية ليست هي إسرائيل العهد القديم. وأنّه بعد ظُهور المسيح أصبح شعب الله المختار منتشر في كل العالم،

[1] ـ المصدر السابق، ص148.

*- 18/15: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات.

[2] ـ المصدر نفسه، ص 149.

وأنّ وعد كنعان القديم ليس مستمراً. ويؤكد القسّ صموئيل جيب وغيره من الباحثين أنّ إقامة إسرائيل في مكانها وعلى أساس ديني يشكل خطورة كبيرة.

وبعد أن يرفض غارودي تقسيم تاريخ إسرائيل إلى عصور متتابعة (عصر البطريركية (الآباء)، ثم عصر العبودية في مصر، ثم عصر غزو كنعان)، يرى أنّ الوعد البطريريكي كان وعدا باستقرار الرعاة، إلا أنّه تحوّل إلى وعد قومي ووعد بالسيادة السياسية. كما أنّ الأبحاث التي تناولت تفسير النصوص المقدّسة وتأويلها، سمحت بالاعتقاد أنّ توسع الوعد الرعوي إلى وعد قومي، لابد أنّه حصل قبل التدوين الأول للنصوص البطريركية. وقد خلُصت أبحاث غارودي إلى نتيجة مفادها أن الله لم يتجلى في حقبة ما لشخصية اسمها إبراهيم، ليُسلّمه صكّا قانونيا لتمليكه بلاد كنعان، بل هناك من الأسباب ما جعل غارودي يعتقد أن مشهد سفر التكوين في الإصحاحات (12، 13، 14، 17، 18) ليس انعكاس لحادثة تاريخية محددة[1].

ويؤكد هذا ما يطرحه حاخامات يهود، ومنهم الحاخام ألمر برجر الرئيس السابق لرابطة (من أجل اليهودية) الذي قال: "إن ادّعاء زرع دولة إسرائيل وكأنّها إتمام لنبوءة توراتية، هو ادّعاء مرفوض تماما، كما أنّه مرفوض أن نعتبر الرب يوافق على أي فعل من كل الأفعال التي قام بها الإسرائيليون، لإقامة دولتهم والحفاظ عليها". وعليه يعتبر غارودي أن دولة إسرائيل المزعومة الحالية[2] لا تملك أي حق في الادّعاء أنّها تنفيذ للمشروع الإلهي في حقبة مسيحية، بل هي حقّا دماغوجية الأرض والدم[3]. فالكيان الصهيوني المحتّل للأراضي الفلسطينية، يريد فرض نفسه وآراءه بناءً على خرافات ونبوءات لا دليل على صحتها.

[1] ـ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية تر: م ع الكيلاني، دار الكتاب، دمشق، ط1، 1996م، ص27ـ 30

[2] ـ وهي كيان صهيوني إرهابي يحتل الأراضي الفلسطينية، وقد وصفها غارودي بأنها دولة مزعومة.

[3] ـ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، 30ـ33.

وفي معرض كلامه عن خُرافة العِرق الإسرائيلي السامي، يذكر غارودي أنّه جاء في سفر التكوين أنّ أولاد نوح أجداد البشرية هم سام وحام ويافث. وقد اعتبرت القرون الوسطى الإقطاعية (حام) جد الأقنان، و(يافث) جد النبلاء والأسياد، و(سام) جد الكهنة. ويجد غارودي أنّ هذا التمييز حاضر في الفكر الغربي، ومن ذلك أنّ (غوبينو) في كتابه (دراسة في اختلاف العروق البشرية) يعتمد على مثل هذا التميّز بين الأعراق البشرية، فيجعل الآريين المنحدرين من أسيا الوسطى، أنبل عرق بشري، ودنّس العرقين الأسود والأصفر. ليحكم غوبينو على نفسه بالانحطاط، لتبنّيه النظرية العرقية المعتمدة على نقاء الدم. ويستنتج هو وأمثاله، أنّ كل الحضارات من نتاج العرق الأبيض المتفوق، صاحب روح النّظام والذكاء. ويُعلن نتيجة مفادها أن التفوق الجوهري والأزلي للعرق الأبيض، أمّا باقي الأعراق فهي غير قادرة على التفوق[1].

وعند تطرّق غارودي لقضية التمييز بين الجنسين (الذكور والاناث)، وجد أنّه من خلال ترسانة المبرّرات الماورائية من الكتاب المقدّس، تم تدعيم نظرية دونية المرأة، رغم أنّهم يجدون في سفر التكوين (27/1: فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرا وأنثى خلقهم) فيظهر هنا تألق هذه الصيغة القائلة: (رجلا وامرأة خلقه)، التي تعني أنّ البشرية أنثوية وذكورية بشكل لا يتجزأ، وفي المقابل وهو ما يستغربه غارودي، لا تظهر المرأة في سفر التكوين، إلا متأخرة، بعد ذكر خلق الحيوانات، وكأنّه استدراك لما نُسي. وذلك بشكل ضلع زائد لدى آدم (تكوين22/2: وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم)، ثم أصبحت هي المرتكبة الأولى للخطيئة الأولى، لتكون هي باب الشيطان[2].

[1] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص170ـ171.

[2] ـ غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، تر، جلال مطرجي، دار الآداب، بيروت، ط1، 1982م، ص15.

وفي التوراة عدة روايات عن الوعد بالأرض والذرية، فهو أولا وعد لبدو رحل بأرض يستقرون بها (ذكر غارودي هنا سفر التكوين10/38-22، والأصح هو 1/38-2: وحدث في ذلك الزمان أنّ يهوذا نزل من عند إخوته (البدو)، ومال إلى رجل عدلامي إسمه حيرة. ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعاني إسمه شوع، فأخذها ودخل عليها)، وليس معنى هذا الوعد الاستيلاء على الأرض عنوة، ولكن معناه الاستقرار. وفي الرواية الثانية يتّسع الوعد فيصبح له أبعاد قومية، يُبرّر به لغزوات داود اللاحقة، وفيه ضمان لسيادة شعب مختار، على كل المناطق الواقعة بين "نهر مصر والنهر الكبير، نهر الفرات" (سفر التكوين18/15: لنسلك أُعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات). أمّا الرواية الثالثة فتَمُدّ الوعد ليشمل كل قبائل الأرض (سفر التكوين 3/12: وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض). والتسلسل في قصة الوعد هذه هو اهتمام الرب اهتماما دائما بخلاص الإنسان، سواء أوعد البدو الرحل بالأمن والرخاء وبذرية سعيدة، أو وعد شعبا بدولة ثابتة تحت حكم داود، أو وسّع الآفاق فدعا الأرض كلها لتحقيق أسمى مشروع للإنسان يحقق إرادة الرب[1].

ثم يؤكد غارودي على أنّ هذا الخلاص في الكتاب المقدّس ليس مؤجلا إلى عالم آخر، لأنّه يرى أنّ الدين اليهودي القديم كان يستبعد تلك الثنائية (الدنيا والآخرة)، ولبيان غرابة هذا التّوجه في العهد القديم، يذكر غارودي أنّ الدنيا والسلطان السياسي، لا يمكن أن يشكلا غاية في حد ذاتهما، فهما نسبيان لدى الرب[2]. وقد يكون لطغيان النزعة المادية في الفكر الغربي، علاقة بهذا التوجه المادي في الكتاب المقدّس.

ورغم بروز لهجة التمييز والقومية في التوراة عموما بما فيه سفر التكوين، التي يعتبرها غارودي أنّها هي اللهجة والتوجه السائدة فيه، فإنّه يجد أنّ العبرانيين من بني إسرائيل قلّدوا وتأثروا بغيرهم، حتى أنّ سفر التكوين يلعن الكنعانيين، حتى لا يتزوج العبرانيون

[1] ـ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص98.
[2] ـ المصدر نفسه، ص99.

منهم[1]. ويقف غارودي في هذا السفر مع لعنات كهنة بني إسرائيل للكنعانيين (تكوين25/9: ملعون كنعان! عبد العبيد يكون لإخوته)، بعد أن أصبحت طريقة حياة العبرانيين تُشابه حياة الكنعانيين، لكثرة الزيجات المختلطة، فحرَّم كهنة بني إسرائيل هذه الزيجات والمعاهدات معهم (تكوين 24/2-3: ... لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم) [2].

ثم تأتي إشارة أخرى للوعد فيرى غارودي أنّ موضوع تخصيصه لبلد توراتي، أصله من (الوعد الأبوي) من الله لإبراهيم جاء وفقاً لسفر التكوين (12/1-3: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة. وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض). حتى أنّ المفسّرين الغربيين المعاصرين لتاريخ إسرائيل بين عامي (1954-1971م)يبرّرون هذا التاريخ باعتباره (الوعد الإلهي) كما جاء في سفر التكوين (13/14-15: لأنّ جميع الأرض التي أنت ترى، لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد) وفي سفر التكوين (15/18: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات)، فيُعطوا بذلك الشرعية لغزو إسرائيل لفلسطين، على أنّها استرجاع للسيادة الإسرائيلية، التي كانت لبني اسرائيل على الأرض المقدّسة، خلال حكم داود. فيَعتبر غارودي أنّ الوعد قد يكون أُدخِل في القصص الأبوي (قصص أباء بني إسرائيل) ليجعل من ملحمة الأجداد مقدمة وبشارة للعصر الذهبي مع داوود وسليمان[3].

وعلى خلاف تلك القراءة المتحيزة، يذهب غارودي إلى أنّه من خلال ما جاء في سفر التكوين (12/3: وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض) حيث يقول يهوه لإبراهيم (فيك أُبارك كل أمم الأرض)، يصبح كل تاريخ، تاريخا مقدسّا. وزمن العهد (أي

[1]ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص55.
[2] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص57.
[3] ـ المصدر نفسه، ص 58، 62.

زمن الوعد) هو زمن الخلق، فينبثق في التاريخ حسب غارودي كل ما هو جديد، ليكون آية على حُضور الله الحي الفاعل دائما، في تاريخ البشر[1].

كما يعتبر غارودي أنّ سفر التكوين (انطلاقا من العلاقات الأسرية سواء كانوا عربا أبناء إسماعيل أو موأبيين وعمونيين أبناء لوط أو عدونيين من نسل عيسو حفيد إبراهيم أو كانوا كنعانيين) يُقدم كل هؤلاء على أنّهم ورثة العهد المعقود بين إله نوح، وورثة الوعد المقطوع لإبراهيم[2]. فهذه هي القراءة السليمة حسب غارودي لسفر التكوين، بدل تلك القراءة الصهيونية العنصرية المتحيزة، التي تُريد الإستحواذ على العهد والوعد الإلهي والخيرية كذلك، وتجعل كل ذلك دليلا على أنّ لها الحق في الأرض المقدّسة، والحق في ارتكاب الجرائم ضد الإنسانية.

2. سفر الخروج

الموضوعات الرئيسية لسفر الخروج يُحدّدها التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس في خمسة نقاط[3]:

- العبودية: فقد استعبد ملوك مصر الفراعنة، بني إسرائيل بقسوة لمدة 400سنة.
- النجاة/الفداء: حيث أنقذ الله بني إسرائيل بقيادة موسى (عليه السلام)، وبواسطة معجزات عظيمة. ويُحتفل بالفصح كتذكار سنوي للنجاة من العبودية.
- القيادة: فبشجاعة موسى وضربات العصى، ومعجزة البحر الأحمر والوصايا العشر، يُحرّر الله الشعب من العبودية.
- الوصايا العشر: فهي القسم الأول من الشريعة، وفيها المبادئ المطلقة للحياة الروحية والأدبية. وتجدر الإشارة إلى أنّ القسم الثاني من الشريعة هو القانون المدني، الذي

[1] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص92.
[2] ـ المصدر نفسه، ص96.
[3] ـ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مصدر سابق، ص128.

قَدّم للناس قواعد السلوك في الحياة. أمّا القسم الثالث ففيه الناموس الطُقوسي، الذي بين إقامة الخيمة (وهي مكان العبادة) والعبادة المنظمة.

- الأمة: فالله أقام الشعب القديم وجعله أمة، وأعدّها ليأتي المسيح من نسلها، فيكون مصدراً للحق والخلاص لكل العالم.

أمّا غارودي فيقف مع ما ورد في هذا السفر، ليؤكد أن ما لُعن لأجله الكنعانيين، من ذنب ورجس لتقديمهم البشر كأضاحي للآلهة، وخاصةً الأطفال منهم، هذا الرجس نجده مطلوبا في سفر الخروج، حين يقول يهوه: (كرّس لي ضحيةً ولدك البكر من بين أبناء إسرائيل..) وقوله: (تُقدّم لي الولد الأول من أبنائك..)، ويجد غارودي في سفر الخروج الافتراءات الحاقدة، لدى كبار الكهنة اليهود الذين جَمّعوا منذ القرن 10 إلى 6ق م المأثورات الشفوية وتبنّوها لخلق أسطورة (الامتياز العبري)[1].

هذا التمييز ظهر في سفر الخروج (19/8: ... وأجعل فرقا بين شعبي وشعبك)* أين يُميز الرب بين شعبه المختار والشعوب الأخرى[2]. وفي سفر الخروج أصبح الطرد هو الوسيلة للمحاربة من أجل التوحيد ضد عقائد الوثنيين (الخروج 11/34: احفظ ما أنا موصيك اليوم. هاأنا طارد من قُدامك الأموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين.) وكذلك في الخروج 28/23 و2/33)[3].

وممّا ورد في سفر الخروج نفسه (2/20-5: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما، ممّا في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأني أنا الرب إلهك إله غيور افتقد

[1] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص52ـ53.

* ـ ذلك الرقم للإصحاح ذُكر عند غارودي والأصح أنه 23/8: (واجعل فرقا بين شعبي وشعبك. غدا تكون هذه الآية).

[2] ـ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص 59.

[3] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص37.

ذنوب الآباء في الأبناء، في الجيل الثالث والرابع من مبغضي) فهنا يستغرب غارودي من غيرة الإله العبري من الآلهة الأخرى وما ورد عن تفوّقه عليها[1]. ويتعجّب لما فيه إيحاء بقبول بالآلهة التي اتخذتها الشعوب الأخرى، حين يقف مع السؤال الذي يُطرح في سفر الخروج (11/15: فمن مثلك يا رب بين كل الألهة) *[2].

ويستغرب غارودي لما ورد في سفر الخروج، قتل موسى لثلاثة ألاف شخص ذات يوم، عقابا لهم على وثنيتهم (الخروج 32/25-28: ولمّا رأى موسى الشعب أنّه معرّى. لأنّ هارون قد عراه للهزء بين مقاوميه. وقف موسى في باب المحلة. وقال من للرب فإلي. فاجتمع إليه جميع بني لاوي. فقال لهم هكذا قال الرب إله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومُروا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه. ففَعل بنو لاوي بحسب قول موسى. ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة ألاف رجل)[3]. وكان موسى قد ذَكَّر كذلك بدم العهد، بعد أن قرأ كتاب العهد، والتزم الشعب بتنفيذه[4].

وانطلاقا مما جاء في سفر الخروج (34/15-16: إياكم أن تعقدوا معاهدات مع سكان الأرض، لأنهم حين يعبدون ألهتهم مشركين ويذبحون لهم، يدعونكم فتأكلون من ذبيحتهم وتزوجون بنيكم من بناتهم، فيُغوين بعبادة آلهتهن ويجعلن بنيكم يغوون أيضاً بعبادة آلهتهن.) * يقرأ غارودي هذا النص فيقف مع معنى مُهم في مشروعه الإنساني، لأنه يدفع نحو حوار الحضارات، حينما يُلغي أهمية أن يكون بطل قصة عائلة إبراهيم

[1] ـ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص40.

* ـ (من مثلك بين الآلهة يا رب. من مثلك معتزا في القداسة. مخوفا بالتسابيح. صانعا عجائب)

[2] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص61.

[3] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص158.

[4] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص161 (الهامش).

* ـ (احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض. فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم. وتأخذ من بناتهم لبنيك. فتزني بناتهم وراء آلهتهن ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن)

أسطوريا أم حقيقيا [1]. ويريد غارودي بذلك إلغاء اختلاف أتباع الديانات السماوية الثلاث حول بعض القضايا المتعلقة بقصة سيدنا إبراهيم وأبناءه عليهم السلام، وعلى رأسها قصة الذبيح.

ويرى غارودي أن الشرف والخيرية التي يؤسسونها بناءً على تلك القضايا، قد يؤكدها أو يلغيها أي إكتشاف أثري أو علمي في الأزمنة القادمة، فلما المبالغة في الاعتداد بها. ويعتبر غارودي أن المهم هو الإيمان الذي برز مع إبراهيم عليه السلام. وأن هذا الإيمان كما كتب الراهب كيركغارد، هو اليقين في أن الإنسان يمكن أن يؤدي في عالمه الأرضي أعمال اللانهائي، وأنّه بهذا اليقين يمكن أن نجعل من أفعال الإنسان، إجابة على دعوة الله وفقا لنموذج وتضحية إبراهيم[2].

ومن ثمّ فإن التاريخ يتحرّر من أي مفهوم وضعي للدين، الذي قد يفصل الإيمان عن العمل. في حين أنّ الأصل في الإيمان عند غارودي هو الإرادة والعمل معا، وهو ليس الخضوع للأحوال السارية المفعول (كفرض الأمر الواقع وتأسيس الحق على القوة) ولكنّه على العكس من ذلك خضوع لدعوة الله وفقا لنموذج ونمط تضحية إبراهيم[3].

وفي سفر الخروج وما نجده في مقدمة الوصايا العشر: (أنا الله إلهك الذي أخرجك من بلاد مصر بلاد العبودية) * فالنجاة والتحرر من مصر هي الرمز الصريح للخلاص عند غارودي[4]، وهذا تفسير مادي تاريخي يلغي المعنى الغيبي للخلاص. كما أنّ غارودي

[1] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص58.
[2] ـ المصدر نفسه، ص58.
[3] ـ المصدر نفسه، ص58.
* (ونص الفقرة في سفر الخروج 3/13: وقال موسى للشعب اذكروا هذا اليوم الذي فيه خرجتم من مصر من بيت العبودية. فإنه بيد قوية أخرجكم الرب من هنا)
[4] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص61.

يعتبر الوصايا العشرة الواردة في سفر الخروج هي شرعة للعدالة الاجتماعية[1]، كل ذلك يُذكرنا بحضور الفكر الماركس في قراءة غارودي لهذه النصوص.

كما ينبّه غارودي في موضع آخر قائلا: "... إلا أنّ ذلك التحرر ليس هو الحلول محل الطاغية" (كما يفعل الصهاينة اليوم بالفلسطينيين) فسفر الخروج(49/12) يقول: (تكون شريعة واحدة لمولود الأرض وللنّزيل النازل بينكم) *[2]. ومن خلال الوصايا العشر يُشير غارودي إلى أهمية التدخل العلوي (أي تدخل الله بوحيه وشريعته) لفرض الأخلاق، في هذه الحقبة من تاريخ الإنسانية، هذا التدخل الذي يجده غارودي في الوصايا يجده كذلك في ألواح حمورابي*[3]. وهي إشارة من غارودي إلى أنّ القيم الأخلاقية تشكل مشتركا إنسانيا، فقد وُجدت مثل تلك الوصايا في مختلف الحضارات.

وبالعودة لمفهوم الإيمان عند غارودي نجده يقول: "إنّ التداخل الدائم بين اللاهوت والتاريخ يقودنا إلى أن نطلب من التاريخ أو من علم الآثار أن يُحدّد موقفه من الإيمان، سلبا أو إيجابا. وهذا ما يستتبع رؤية سطحية فقيرة إلى الإيمان الذي يلتبس هنا بالتصديق، وهو مفهوم وضعي يُطالب بوجوب أن يكون ما نؤمن به من وقائع ذات صحة تاريخية. وما هذا النوع من الإيمان إلا اعتقاد ساذج، فالإيمان هو التجاوز الدائم للواقع، وهو الأمل والحب والإرادة التي لا تشترط شيئا في سبيل تحقيق مملكة الله"[4]. ولذلك يُطالب غارودي بتجنب البحث في العلوم الوضعية بكل ما

---

[1] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص160.

* ـ (تكون شريعة واحدة لمولود الأرض وللنزيل النازل بينكم)

[2] ـ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص93.

*ـ ألواح حمورابي هي ألواح طينية كتبت عليها شريعة حمورابي أو قوانين حمورابي، وهي مجموعة قوانين بابلية يبلغ عددها 282 مادة قانونية سجّلها الملك حمورابي سادس ملوك بابل (حكم من سنة 1792 قبل الميلاد إلى سنة 1750 قبل الميلاد) كتبت على مسلةّ كبيرة أسطوانية الشكل.

[3] ـ غارودي، ماركسية القرن العشرين، مصدر سابق، ص114.

[4] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص34.

فيها، عن موقفها من قضايا الإيمان، لتفادي ما قد يُصاحب ذلك من نظرة قاصرة للإيمان، تجعل البعض يعتبره أفيون للشعوب.

وهذا الربط بين الإيمان (الإيمان بأحداث الخروج مثلا) وكل بحث تاريخي، يجده غارودي عند المؤرخ لتاريخ فلسطين إيمانويل أناتي، الذي يندهش لعدم إشارة الآثار المصرية لإقامة العبرانيين في مصر. حتى الخروج الذي غرق فيه جيش فرعون، لا ذكر له في غير العهد القديم، رغم أنّ حرس الحدود المصريين كانوا يُدوّنون في تقاريرهم أبسط الأحداث. ففي سفر الخروج تجلّى إله القوة والمعجزة (خروج31/4)* الذي أمدّ يده إلى بني إسرائيل فساروا في البحر فوق اليابسة[1].

فلا ندري هل يكون غارودي قد تراجع عن ضرورة البحث عما يُصدق الأحداث التاريخية الواردة في الكتاب المقدّس، من الآثار والكشوف والمخطوطات، أم أنّه يفرق في ذلك بين ما يعتمده البعض كالصهاينة مثلا كأدلّة تاريخية على حقوق لهم دون غيرهم، وبين ما هو قضايا إيمانية أساسية تشترك فيها الإنسانية.

ومن خلال وقفاته مع إصحاحات سفر الخروج، يَعتبر غارودي أنّه تعلم ما يُسمّى بـ: (لاهوت التحرر) المرتبط بمناهضة كل ما له علاقة بعمليات القمع والاستبداد. ويَعتبر روجيه غارودي أنّ ملحمة يشوع علّمته أنّ الرجل الذي يسكن فيه الله، هو رجل لا يُقهر. وهو يذهب إلى أنّ هذا النّص الديني كُتب باللغة البدائية المتعارف عليها في ذلك الزمن، لأنّ الله على حد تعبيره لا يتحدث إلى الإنسان إلا من خلال الرمز، والإنسان لا يتحدث عن الله إلا بالتعبيرات المجازية[2].

ويذهب غارودي إلى أن أحداث خروج موسى وما جاء عنها في سفر الخروج -لما في ذلك الخروج من تخطيط وسعي لبداية حياة جديدة وصناعة مرحلة تاريخية

* - (والأصح هو خروج22/14: فدخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم). في حين غرق فرعون وجيشه (28/14)

[1] - غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص59، 60، 64.

[2] - غارودي، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2002، ص28-29.

جديدة- هي دليل على مسؤولية الإنسان التامّة على تاريخه ونجاحات مستقبله، رغم كلّ الإخفاقات والفشل الذي قد يعترض تاريخ الإنسان[1].

3. سفر اللاويين: وفيه خمسة مواضيع رئيسية يحدّدها التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس في الآتي[2]:

- الذبيحة: وهي على خمسة أنواع تؤدى لغرضين إمّا الشكر والحمد والتّعبد، وإمّا كفارة وإزالة للذنب والخطيئة.

- العبادة: ففي الأعياد السبعة (وهي مواسم دينية وقومية)، يكون تعليم وأداء العبادة لله سواء في الإحتفالات أو في الخلوات.

- الصّحة: فهناك قواعد لتناول الطعام والمرض والجنس، ومبادئ مختصة بالجسد وأخرى بالروح، ليتميّز بها بنو إسرائيل عن سائر الأمم، وبذلك يحميهم الله من الأمراض والمشكلات الوراثية.

- القداسة: فبعد أن أخرج الله بني إسرائيل من مصر، أخرج منهم عقائد وسلوكات مصر الوثنية. حتى تكون الدوافع والممارسات خالصة لله، وبهذا تكون القداسة.

- اللاويّون: فاللاويون والكهنة يُعلّمون الشعب العبادة وينفّذون القوانين الأدبية، المدنية والطقسية ويشرفون على خير الأمة وصحتها وتوفير العدالة لها، فكانوا خُدَّام زمانهم.

أمّا غارودي فيرى أنّه في سفر اللاويين توجد الرسالة التي يأخذ بها مؤسسو السياسة الإسرائيلية ليلتزم اليهود بعدم تزاوج الأعراق. فقد ورد في (اللاويين19/19: فرائضي تحفظون، لا تنز بهائمك جنسين وحقلك لا تزرع صنفين ولا يكن عليك ثوب مصنّف من صنفين)، وتطالبهم أن يُميّزوا بين الطاهر والدنس (اللاويين25/20: فتميّزون بين

[1] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص21.

[2] ـ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مصدر سابق، ص 216.

البهائم الطاهرة والنجسة وبين الطيور النجسة والطاهرة. فلا تدنّسوا نفوسكم بالبهائم والطيور ولا بكل ما يدبّ على الأرض ممّا ميزته لكم ليكون نجسا) [1].

ويأتي التأكيد في سفر اللاويين على أنّ الربّ ميّز بين بني إسرائيل والشعوب الأخرى (اللاويين24/20: ... أنا الربّ إلهكم الذي ميّزكم من الشعوب)، تلك الشعوب التي كرهها الله، ووضعها موضع اشمئزاز، فهذا ما ورد في هذا السفر (اللاويين23/20: ولا تسلكون في رسوم الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم. لأنهم قد فعلوا كل هذه فكرهتهم)، كلّ ذلك حتى تتم عملية التمييز العرقي. وهذا ما قاله الحاخام سيتروك دون أي خوف من مُسائلة قانونية: "أريد من الشباب اليهودي ألاّ يتزوجوا إلّا من الشّابات اليهوديات"[2]. فهذا الحاخام يقول ذلك، رغم أن هذا الخطاب مرفوض في الغرب العلماني.

وعند قراءته لما جاء في سفر اللاويين (18/19: ستحب قريبك كما تحب نفسك)*، يستغرب غارودي قائلا: "... هذه المحبة لا تظهر إلا عندما يتعلق الأمر بالعلاقات الداخلية في الجماعة اليهودية". وهو يجد أن تلك الدعوة تأتي مع أمر بشريعة المثل، أي النهي عن التنويع والخلط بين الأنواع (لاويين19/19)[3].

وعلى عكس تلك القراءة العنصرية، يعتبر غارودي أنّ ما جاء في الفقرة السابقة من سفر اللاويين (لاويين18/19) هي دعوة لوحدة الإنسانية[4]. ويجد غارودي أن في سفر اللاويين تأكيدا على إقامة علاقة المحبة بينالإنسان وربه، فهي علاقة حاضرة في هذا السفر، رغم زحمة التعاليم الطُقوسية، أين تجلّى الله بوصاياه إلى خادمه موسى[5].

[1] ـ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، 59.
[2] ـ المصدر نفسه، ص59.
* ـ (لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك. أنا الرب)
[3] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص175.
[4] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص160.
[5] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص160.

ومن خلال ما ورد في اللاويين(28/25 فيما ذكره غارودي، والأصح أنّها 23/25: والأرض لا تباع البتة. لأنّ لي الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي) يعتبر غارودي أنّ في هذه الفقرة تأكيد على أنّ الأرض لله وحده. ويؤكد غارودي عند قراءته للفقرة (اللاويين 3/18: مثل عمل أرض مصر التي سكنتم فيها لا تعملوا...) على أنّ التحرر لا يقتصر فقط على انتقال الملكية والسلطان، من يد البعض إلى البعض الآخر، ولا أن يُصبح مظلوم الأمس ظالم اليوم[1]. ويلمّح غارودي هنا إلى حال الصهاينة اليوم، فبعد ما اُضطُهدوا كما يزعمون من طرف النازية، هم اليوم يَضطهِدون الفلسطينيين بوحشية.

فالمحبة والروح الإنسانية هي إذن حسب غارودي رسالة الديانة اليهودية الأصلية للعالم، والتي خانتها الصهيونية حين حادت عن الوعد الحق فقال غارودي: "لقد خانت الصهيونية السياسية روح اليهودية، وشوهت صورة المسيحية. أليس تشويها للمسيحية ذلك الانحراف عن أبدع تراث تلقته المسيحية عن اليهودية، أي عن دين إبراهيم. ذلك الدّين الذي لا يُحاول أن يستمتع بوعود الرب، ولكن يجاهد لكي يُخضع نفسه لها"[2]. فأسف غارودي كبير على التحريف والتشويه الذي طال اليهودية والمسيحية.

4. سفر الأعداد:

سفر الاعداد فيه حسب التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس أربع مواضيع رئيسية وهي [3]:

- التعداد: حيث أحصى موسى بني إسرائيل مرتين: في الأول من أجل تنظّيم الشعب في وحدات للسير، تسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم بطريقة أفضل. وفي الإحصاء الثاني أعدَّهم للاستيلاء على الأرض الواقعة شرقي نهر الأردن.

[1] ـ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص100.
[2] ـ المصدر نفسه، ص100.
[3] ـ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مصدر سابق، ص270.

- التّمرد: فقد رفض الشعب الدخول إلى تلك الأرض خوفا من الأعداء في أرض كنعان، فتمرّد بنو إسرائيل على أمر الله.

- التجوال: بقي بنو إسرائيل تائهين في البريّة 40 سنة، عقابا من الله على تذمرهم وخطيئتهم. مات في هذه السنوات كلّ من تمسّك منهم بالوثنية المصرية وقيمها، وفيها تَدَرّب جيل جديد في طرق الله ودعوته.

- كنعان: وهي أرض الوعد (وعد الله بها إبراهيم وبنيه) وهي أرض العهد، اختارها الله لتكون أرض شعبه الذي أفرزه للعبادة الروحية الحقيقية.

أمّا غارودي فيقف مع ما يذكره سفر الأعداد من مفاخر بني إسرائيل، عندما انتصروا على المديانيين وغيرهم من الشعوب. وقد كان الهدف منها هو إضفاء الشرعية عمّا يقولونه على غزوات داود وامبراطوريته. وهي سرد لحوادث تاريخية تفتقر إلى الدليل على حدوثها (أي الأدلة من الاكتشافات الأثرية أو الوثائق التاريخية). وفي سفر الأعداد كلام عن أمثلة لحروب الإبادة، قامت بها شخصيات تتمتّع بمكانة عظيمة، مثل موسى ويوشع. فيجد فيها اليهودي المؤمن والأصولي المبرِّر لسياسة الإبادة[1]. فهم يأخذون بالقراءة الحرفية للأسفارهم، لينتقوا منها الأدلة والمبررات لعملهم الإرهابي.

ويعتبر غارودي أنّ الصهاينة يتّبعون في قراءتهم لسفر الأعداد كذلك قراءة انتقائية مُغرِضة، ومن ذلك مثلا ما جاء في سفر الأعدد (31/9-18: وسبى بنو اسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. وأحرقوا جميع مُدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنّار. وأخذوا كل الغنيمة وكل النّهب من الناس والبهائم وأتوا إلى موسى وألعازر الكاهن وإلى جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة الى المحلة إلى عربات مواب التي على أردن أريحا. فخرج موسى وألعازر الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلّة. فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب. وقال لهم موسى

[1] ـ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص51ـ54.

هل أبقيتم كل أنثى حيّة. إنّ هؤلاء كنّ لبني إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للربّ في أمر فغور فكان الوبا في جماعة الربّ. فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها. لكنّ جميع الأطفال من النّساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيّات). ويرى غارودي أنّ تلك القراءة خارجة عن الإطار العام للأديان الأخرى بالشرق الأوسط، لأنّها قراءة تختار ما يحلو لها من الآيات، ففيها تبرير لتصرّفات الصهاينة الإرهابية. كما أنّ تلك القراءة الانتقائية تستبعد فقرات أخرى لأنّها لا تلائمها[1]. فهي قراءة انتقائية تختار ما يناسبها من أدلة.

ويعود غارودي إلى سفر الأعداد وقضية حدود إسرائيل، ففي سبيل هذه الحدود المطاطية، يستشهد الصهاينة بالتوراة في اللحظة المناسبة، لتبرير ما يقومون به من عُدوان، أو ما يَضُمّونه من أرض لهم. يقول غارودي: "وهذا التبرير (التوراتي) للقتل، وهذا الإضفاء للشرعية على الاعتداءات المتتالية، وضمّ أرض الغير من جانب الدولة الصهيونية الحالية، التي يُقدّمونها على أنّها الوريث الشرعي والامتداد الطبيعي لإسرائيل التوراتية، يجعل اليهود يرضُون ويقبلون ما لا يمكن قبوله عقلاً. ويجعل كثير من المسيحيين يعتقدون بصحّة بعض الأقوال الكاثوليكية، وبصحة أقوال "مدارس الأحد" البروتستانتية. وهم يسيرون من غير وعي منهم على سنن الأسطورة الصهيونية (أسطورة أرض الميعاد) التي أثبت علم التفسير (الخاص بالكتاب المقدّس) منذ قرون، وخاصة في السّنين الأخيرة، عدم صحتها وفنّدها تفنيداً"[2].

فغارودي يُنبه هنا إلى تأثير تلك القراءة الصهيونية للتوراة على المسيحيين في العالم الغربي، وخاصة منهم البروتستانت وكل من يأخذ بقراءتهم للكتاب المقدّس من المسيحيين. وهو ما يبرّر التعاطف في العالم الغربي مع الإرهاب الصهيوني، رغم الضحايا من المدنيين الذين منهم الأطفال والنساء الفلسطينيين. وهو ما يفسّر سياسة الكيل

[1] ـ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص88ـ89.
[2] ـ المصدر نفسه، ص21ـ22.

بمكيالين في العالم الغربي، حيث يلاحظ الجميع السكوت عن الجرائم الصهيونية، وفي المقابل تنديد وعقوبات للفلسطينيين وغيرهم من أصحاب القضايا العادلة في العالم.

5. سفر التثنية (ويسمى الإشتراع أو ثنية الاشتراع):

المواضيع الرئيسية لسفر التثنية خمسة، حسب التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس وهي[1]:

- التاريخ: فقد استعرض موسى أعمال الله العظيمة، لتحرير بني إسرائيل من العبودية في مصر.

- الشرائع: استعرض الله شرائعه مع الشعب، لتجديد العهد الشرعي بينهم وبين الله، لأنّ الجيل الجديد كان على وشك الدخول لأرض كنعان.

- المحبّة: فقد صوّر سفر التثنية محبة الله الأمينة والصبورة أكثر من عقابه، بيّنها الله لبني اسرائيل، وبيَّن مواعيده لهم. وفي المقابل ينتظر منهم محبة من القلب، لا التزاما متزمتا بشرائعه.

- الاختيارات: بيَّن الله أنّ الصدق على العهد يكون باختيار شخصي للطاعة، الذي يجلب المنافع لحياتهم. أمّا التّمرد فلابد أن يجلب مصائب مُروِّعة.

- التعليم: أمر الله بني إسرائيل أن يُعلِّموا أبنائهم طُرقه، باستخدام الطقوس والتهذيب والحفظ على ظهر قلب، لتأكيد الفهم ونقل مبادئ الله إلى الجيل الموالي.

أمّا غارودي فيرى أنّ سفر التثنية يُكرّر مؤكدا لا على انتزاع الأرض وطرد سكانها الأصليين فحسب، بل على المذابح المرتكبة أيضا وهو ما ورد في سفر التثنية (24/7: ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو إسمهم من تحت السّماء. لا يقف إنسان في وجهك حتى تفنيهم. وفي سفر التثنية (12/7: ومن أجل أنّكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الربّ إلهك العهد والاحسان اللّذين أقسم لآبائك). وتلك الاحكام يجدها غارودي ذكرت في سفر التثنية (22/7: لكنّ الربّ إلهك يطرد هؤلاء

[1] ـ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مرجع سابق، ص353.

الشعوب من أمامك قليلا قليلا. لا تستطيع أن تفنيهم سريعا لئلا تكثر عليك وحوش البرية) [1].

وهو الأسلوب نفسه الذي تُمارسه الصهيونية بحق الفلسطينيين، السياسيين منهم ورجال الدين، من شارون (الرئيس الأسبق لحكومة الكيان الإسرائيلي المحتل) إلى الحاخام. ويجد غارودي كذلك أنّ في سفر التثنية (3/7: ولا تصاهرهم. بنتك لا تعطي لابنه وبنته لا تأخذ لابنك) إشارة إلى الفصل العرقي، لمنع تدنيس العرق الذي اختاره الله بزعمهم، وتدنيس الإيمان الذي يصلهم به[2]. فهل يمكن أن يكون هذا الخطاب الرهيب والعنصري، الوارد هنا في أسفارهم المقدسة، خطابا إلهي؟.

ويشير غارودي (حينما يقارن بين هذه النصوص وتاريخ بني إسرائيل) إلى التناقض، ففي الوقت الذي يُلحّ فيه مؤلفو سفر ثثنية الاشتراع على تحريم الزواج بالغريبات، ويَنسب التحريم إلى الله نفسه، وهو ما ورد في هذا السفر على لسان إبراهيم: (لن يكون زواج ابني ببنت من بنات كنعان...) فإن النّبي يعقوب نفسه صهر الآرامي (لابان)، وأبناءه وأحفاده ـ سواء من كان منهم من زوجاته الشرعيات أو من خادماته الغريبات أو من محظياته ـ لم يُراعوا هذه القاعدة، فيهوذا تزوج بكنعانية، وأفرام ومنسي أبناء يوسف كانت أُمّهما مصرية. وهذه الأمثلة وغيرها مما ورد في المأثورات الشفوية تبيّن أنّ التزاوج المتبادل بين الشعوب كان ممارسة شائعة سائدة[3].

كما يُلفت غارودي النظر إلى أنّ اليهود ليسوا إلا جزءاً من الآراميين، فقد ورد في التثنية (5/26: كان أبي أرامياً تائها، ثم انحدر إلى مصر وتغرّب هناك، ومعه نفر قليل، ولكنّه أصبح هناك أمة كبيرة)* ، ثمّ يعود غارودي للإشارة إلى الروح العرقية

[1] ـ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص54.
[2] ـ المصدر نفسه، ص56.
[3] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص55.
* ـ (أراميا تائها كان أبي فانحدر إلى مصر وتغرب هناك في نفر قليل فصار هناك أمة كبيرة وعظيمة وكثيرة).

الضيّقة، التي كُتِب بها التاريخ من خلال التوراة، فقد احتكر التراث الكهنوتي العبري التّطور النّاضج للوحدانية من العراق إلى مصر [1]. فغارودي هنا حبيس الفكرة الوضعية التي تعتبر أنّ عقيدة التوحيد قد تطوّرت ونضجت مع الزمن، بينما تؤكد الأديان السماوية أنّ التوحيد هو الأصل الذي آمن به الأنبياء منذ آدم عليه السلام ودعوا الناس إليه.

وفي سفر التثنية كذلك جُعِلت فلسطين مركز الخلق، ففي (التثنية5/12: بل المكان الذي يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه سكناه تطلبون وإلى هناك تأتون) وفي التثنية 21/12: إذا كان المكان الذي يختاره الرب إلهك ليضع اسمه فيه...، وكذلك في التثنية 2/12: ... وسكنوا مكانهم كما فعل اسرائيل بأرض ميراثهم التي أعطاهم الرب) فالتراث الكهنوتي العبري يردّد وبشكل مرهق كما يقول غارودي أنّ القدس هي: "المكان الذي اختاره الربّ إلهكم ليضع عليه اسمه"[2].

ويجد غارودي أنّ مُحرّرو التوراة وخاصة سفر الاشتراع، شوّهوا الحضارة الكنعانية، بل إنّهم سعوا لنسخها أو إلغائها أكثر من ميلهم لوصفها. ويعتبر غارودي أنّ فكرة الشعب المختار، هي من اختراع سفر الاشتراع[3]. بينما يؤكد غارودي أنّ ما ورد في هذا السفر (التثنية10/19: حتى لا يُسفك دم بريْ في وسط أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فيكون عليك دم) هي دعوة دائمة تحض على الخير، وهي أبعد ما تكون عن نهج الاستئثار ورفض الاندماج وإنكار الغير أو الدعوة للقضاء عليهم[4]. هذه القراءة التي ينبه إليها غارودي يُغيبها الفكر الصهيوني تماما.

كما أن فكرة الشعب المختار عند اليهود، تؤدي إلى روح الإقصاء والانتقاص من الآخرين. وهذا ما تفعله الصهيونية الإسرائيلية اليوم، وهو ما فعله الاستعمار الغربي

[1] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص60.
[2] ـ المصدر نفسه، ص61.
[3] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص38، 82.
[4] ـ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص92.

بنظرة الاستعلاء والتفوق، مع شعوب العالم الثالث. ومثل هذه الفكرة هي التي دفعت هتلر إلى تصنيف البشر وإدّعاءه لتفوق عرقه الألماني، ونتج عنها حربين عالميتين، تكبّدت فيها شعوب العالم خسائر بشرية ومادّية كبيرة.

وسفر الاشتراع الذي اخترع هذه الفكرة هو نفسه الذي يقول: (هو ذا للربّ إلهك السّماوات والأرض وكلّ ما فيها) ليؤكد على أنّ الملك لله وحده، هذا المبدأ الذي يضعه غارودي أساسا للشرائع السماوية الثلاث(ويقصد هنا الديانات السماوية الثلاث)، وهذا التماثل يجعل هذه الشرائع ذات قيمة شاملة فهي التي تحدّد الأهداف المتعالية، وهو الدافع الذي يجب أن يجعل القائمين على البرامج والمناهج ويتيح لهم في كل حقبة من التاريخ إدخال القيم السامية.

وانطلاقا من هذه الخلفية القيمية كأساس، يعتبر غارودي أنّ الشريعة واحدة في الكتب الثلاث المنزلة (التوراة، الإنجيل والقرآن). فإذا كان هذا بالنسبة لمبدأ (الملك لله وحده) فكذلك بالنسبة لمبدئي: (الأمر لله وحده والعلم لله وحده)، بقي أنّه من مسؤوليتنا كما يقول غارودي: "أن نعثر في كل لحظة على الوسائل التاريخية الكفيلة بتحقيق تلك الغايات السامية"[1].

ويبيّن غارودي أنّ في حياة المسيح يسوع رفض وخرق مستمر لشرائع التوراة المحرّفة، بل إنّ نصوص التوراة تبيّن هذا النقض. فمثلا في التثنية (22/2: كما فعل لبني عيسو الساكنين في سعير الذين أتلف الحوريين من قدّامهم فطردوهم وسكنوا مكانهم إلى هذا اليوم) ففيه أنّ الله يحكم على الذين لا يعملون بالشريعة بالإبادة وبعذاب الهاوية، بينما في إنجيل مرقس (17/2: إنّي لم آت لأدعو الصدّقين بل الخطأة)، فبين هذه الدعوة في الإنجيل وتلك التي في سفر التثنية من التوراة، يجد غارودي تناقض واضح.

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص49

ولذلك فإنّ طائفة الفرسيين اليهود استدلوا من أجل الدعوة لقتل المسيح عليه السلام، بما ورد سفر التثنية (13/1-16: إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة. ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلّمك عنها قائلا لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها. فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم... أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلا نذهب ونعبد ألهة أخرى لم تعرفها أنت ولا أباؤك ... تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكلّ أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلا إلى الأبد لا تبنى بعد) ففيه رفض دعوة كل نبي يدعو لغير إلههم وينقض شريعتهم، بل قالوا بأنه سيُقتل[1]. وهذه إشارة من غارودي للمكيدة التي دُبّرت لقتل المسيح ومن قبله من الأنبياء من طرف بني إسرائيل.

ومنذ ظهور سفر الاشتراع ومع ظهور كبار أنبياء إسرائيل بدءاً بعاموس، تم التأكيد على العدالة الاجتماعية، وهذا هو الإسهام الإسرائيلي ذو الأهمية الواضحة حسب غارودي، الذي بقي متأثّرا بفكرة تطور العقائد عبر تاريخ المجتمعات البشرية، هذه الفكرة التي تخالف الموروث النبوي التوحيدي منذ آدم عليه السلام، فغارودي يرى أنّ الإسرائيليين ليسوا هم الذين ابتكروا التوحيد، بل كان ينضج منذ قرون في كل الشرق الأدنى، ومع ذلك فقد جعل الإسرائيليون من توحيدهم الآخذ في الولادة دافعا إلى حركة تحرّر اجتماعية. ولم يُقدَّر لهذا التوحيد أن ينتصر على نحو نهائي إلا في منتصف القرن 6ق م، أيام أشعيا الثاني[2]. وهنا يظهر كذلك تأثّر غارودي بالفلسفة الوضعية والفكر الماركسي ومنهجيته المادية والوضعية في تفسير أحداث التاريخ.

كما يرى غارودي أنّ سفر التثنية يستمر في التمثيل لعلاقة الشعب اليهودي بالكنعانيين، وجعل يهوه إلها غيورا، فقد ورد في سفر التثنية (5/9: لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور...) وفي التثنية (6/15: لأن الرب إلهكم

[1] ـ ينظر: المصدر السابق، ص171.

[2] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص60.

إله غيور في وسطكم...). ويُلاحظ غارودي أنّه في هذا السفر ظلّ اسم الله بصيغة الجمع (إيلوهيم) قرون طويلة بعد أن محا إخناتون (أحد فراعنة مصر) هذه الصيغة من المعابد، فهو لم يعترف إلا بإله واحد هو الشمس[1].

ويُشير غارودي إلى أنه بصيغة الجمع تلك شكر موسى الرب، الذي هو أقوى من جميع الآلهة، وهو ما ورد في (التثنية 3/ 24: يا سيد الرب انت قد ابتدات تُري عبدك عظمتك ويدك الشديدة. فإنه أي إله في السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وكجبروتك؟)[2]. وهنا يتعجب غارودي لهذا التناقض، كيف أنّ فكرة التوحيد قد انتشر حتى في ديانة المصريين والفراعنة، ولا زال النبي موسى عليه السلام، يُشير لوجود العديد من الآلهة حسب سفر الاشتراع. وهو من الأدلة على أن هذه الأسفار قد حُرّفت وعبثت بها الأيادي.

ورغم أنّ سفر الاشتراع يقول: (لا تزيدوا شيئا على ما حدّدته لكم ولا تُنقصوا منه شيئا) * إلا أنّ غارودي يُفسّر سبب ذلك التأخر في ترك صيغة الجمع (إيلوهيم)، هو تعصّب العبرانيين في الأخذ بمفهوم ضيّق لفكرة الشعب المختار. فلم يتبلور التوحيد عندهم إلا بمجيء الأنبياء، فإله القبيلة كان هو الإله الأقوى الذي يغار من العبادات التي تُقام لآلهة أخرى دخيلة غريبة، كما ورد في التوراة. ومع مجيء الأنبياء أصبح ذلك الإله هو الوحيد الذي سيقول عنه سفر التثنية 4/6: (اسمع يا إسرائيل. الربّ إلهنا رب واحد)[3].

فانطلاقا من المنهج المادّي التاريخي وتعامل غارودي مع فقرات سفر التثنية على حدى وبعيدا عن غيره من الأسفار، وتعامله مع هذه الأسفار بمنطق مجاراة من

---

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص109.

[2] ـ المصدر نفسه، ص184.

* ـ ونصها في التثنية2/4: لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به ولا تنقصوا منه لكي تحفظوا وصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها.)

[3] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص82، 159ـ160.

يقدّسها من اليهود والنصارى، يرى أنّه حدث في تاريخ العبرانيين اليهود ذلك التّصور لوجود إله خاص بالعبرانيين وأنّ لغيرهم آلهة أخرى يعبدونها. هذا الافتراض لابدّ ألّا يُنسينا أن ننبّه إلى أنّ سفر التثنية هذا وبقية الأسفار الخمسة بما جاء فيها من نقض للتوحيد لا يُعقل أن تنسب إلى موسى عليه السلام، الذي جاء مؤكدا على توحيد الله.

وضمن هذه الفرضية الأخيرة، أصبح من المؤكّد حتى في الدراسات الغربية، بأنّ كتابة الأسفار الخمسة، لم تكن من طرف موسى ولا في عهده، بل إنّ هذا الأمر أصبح بديهيا. وضمن كل ذلك لا بد ألا ننسى أنّ يعقوب أبو الاسرائيليين ومن قبله إسحاق وإبراهيم عليهم السلام كانوا على التوحيد، يعبدون الله وحده لا شريك له، وهو أساس دعوتهم.

وهو ما يُبطل فكرة تطوّر وتبلور عقيدة التوحيد مع الزمن، بل إنّ التوحيد هو الأصل الذي جاء به الأنبياء منذ آدم عليه السلام، وغيره من الوثنيات هو الاستثناء الذي حدث في تاريخ المجتمعات البشرية، التي انحرفت عن رسالة الأنبياء.

وهكذا يقف غارودي في قراءته للأسفار الخمسة، التي يعدّها اليهود والنصارى أسفار موسى (عليه السلام)، مع القراءة العنصرية القومية، التي تريد إعطاء اليهود حقوقا دون غيرهم، وشرعية دينية لأفعال إرهابية مرفوضة بكل المقاييس. إضافة إلى أنّ بعض النصوص التي وقف عندها غارودي أشار إلى ما فيها من التناقض الموجود في النصوص التوراتية، وكل ذلك يؤكد استحالة أن يكون موسى (عليه السلام) هو كاتب هذه الأسفار، علاوة على أن تكون وحيا من عند الله عز وجل.

ب – قراءة غارودي للأسفار التاريخية.

الأسفار التاريخية هي إثنا عشرة سفرا*، فيها عرض لتاريخ بني إسرائيل بعد موت موسى (عليه السلام)، وقصة حروبهم ودخولهم الأرض المقدّسة واستقرارهم بها. ويصف غارودي بعض الأسفار التاريخية (يشوع، القضاة، صموئيل والملوك) بأنها اشتراعية، لأنّها حُرّرت بنفس الروح السائدة في سفر الاشتراع (أي سفر التثنية). وهي تَعرض تاريخ إسرائيل منذ النشأة حتى عام 587ق م[1].

ويجد غارودي في أحد هذه الأسفار التاريخية، ألا وهو سفر يشوع استمرارا لنفس المنهج ـ يشوع هو خليفة موسى عليه السلام بعد موته ـ فالكلام يشير إلى: "منهج التطهير العرقي"، ويستغرب غارودي أنّ ذلك كان تنفيذا لأوامر إله الحرب. وهو يجد أنّ ما ورد في سفر يشوع (10/28-34: وأخذ يشوع مقيده (وهي بلدة)، في ذلك اليوم، وضربها بحدّ السيف وحرم مَلكها، هو وكلّ نفس بها، ولم يُبقِ شاردا. وفعل بمَلك مقيده، كما فعل بمَلك أريحا... ثم صعد يشوع ومعه جميع إسرائيل من عجلون إلى

---

* ـ الأسفار التاريخية إثنا عشرة سفرا هي الاتية:

1- **سفر يشوع**: وهو يحكي تفاصيل دخول يشوع مع شعبه إلى أرض كنعان (فلسطين وما يحيط بها)، وتقسيم الأرض بين الأسباط (أبناء يعقوب عليه السلام) أو القبائل العبرانيَّة.

2- **سفر القضاة**: وهو يحكي عن الشعوب التي كانت تستوطن أرض كنعان، ويحكي أيضا عن الحروب والمنازعات بين هذه الشعوب والشعب اليهودي.

3- **سفر راعوث**: وفيه قصة لفتاة من شعب (موآب) وهي تعتبر جدة للملك داود عليه السلام.

4 /5- **سفر صموئيل الأول والثاني**: وفيهما أحداث عن النبي (صموئيل) الذي كان معلمًا وسياسيًا، ولعب دورًا مهمًا في تكوين مملكة إسرائيل.

6 /7 /8 / 9- **سفر الملوك الأول والثاني، وسفر الأخبار الأول والثاني**: وفيها متابعة تاريخ الأمة اليهوديَّة التي انقسمت إلى: مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا.

10 / 11- سفر **عزرا ونحميا**: وفيهما قصة إعادة بناء مدينة أورشليم بعد أن خرّبها ملك بابل.

12- **سفر أستير**: وهي حكاية فتاة يهودية خضعت لحاكم من غير بني إسرائيل، استخدمت جمالها وفتنتها في سبيل رفع الظلم عن اليهود وتقديم خدمات لهم.

[1] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص82.

أريحا...) * هذه الأحداث يجدها غارودي تصطدم مع علم الآثار، فلقد أثبتت الحفريات أنّ الإسرائيليين، وصلوا إلى نهاية القرن13ق م، ولم يستطيعوا الاستيلاء على أريحا، لأنّها لم تكن قد سُكنت بعد، بعد أن هُدّمت حوالي عام 1550ق م. [1]

وقد نشر الباحث الألماني المختص بالتوراة (سيلين) تقريرا سنة 1913م عن حفريات أريحا، ذكر أنّه قد وجدت أسوار مُنهارة، ورأى فيها الأسوار التي تهدّمت على صوت أبواق يشوع، وكذلك الأمر بالنسبة إلى استيلاء يشوع على (مدينة عاي) يشوع (8/29-1) فقد شدّد الأب ديغو - فيما كتبه - على أنّ علم الآثار يُكذّبُها[2]. هذه الأحكام يعتبرها غارودي دليل تفوق ونزاهة المؤرخ وعالم الآثار على المساعي التلفيقية للقراءة الغربية للكتاب المقدّس وخاصة القراءة الصهيونية للتوراة. ويأمل غارودي بشدّة في أن نُشهد التاريخ على صحة القصة التوراتية[3]. وذلك بالبحث في الآثار والحفريات والكشوف والتراث والوثائق التاريخية لمختلف الحضارات.

ويَذكر غارودي أنّ كبار الكهنة اليهود، الذين يُبيحون لأنفسهم التشهير بِرجس الكنعانيين، هم أنفسهم كَتبة النصوص المقدّسة التي تمجّد المذابح الوحشية، التي قام بها يشوع لكي يُظهر جبروت "إله الجُيوش". ويتأسف غارودي أن سفر يشوع الذي

* ـ (وأخذ يشوع مقيدة في ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرم ملكها هو وكل نفس بها. لم يبق شاردا. وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك اريحا. [29] ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل إسرائيل معه إلى لبنة وحارب لبنة. [30] فدفعها الرب هي أيضا بيد إسرائيل مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها. لم يبق بها شاردا وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا. [31] ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لبنة إلى لخيش ونزل عليها وحاربها. [32] فدفع الرب لخيش بيد إسرائيل فأخذها في اليوم الثاني وضربها بحد السيف وكل نفس بها حسب كل ما فعل بلبنة. [33] حينئذ صعد هورام ملك جازر لإعانة لخيش وضربه يشوع مع شعبه حتى لم يبق له شاردا [34] ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لخيش إلى عجلون فنزلوا عليها وحاربوها).

[1] ـ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص52ـ53.

[2] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص187.

[3] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص59.

يصفه "بسفر المذابح" قُرِّرَ تدريس في مدارس إسرائيل اليوم، وذلك للإعداد النفسي للإسرائيليين وللجنود في الجيش، كما يتم نشر مضامينه في وسائل الإعلام للدعاية للأيديولوجية الصهيونية الإسرائيلية[1].

وكمثال على تلك الدعاية يذكر غارودي أن الحكومة الإسرائيلية قامت في كانون الثاني 1983، بعد مذابح لبنان، بإصدار ثلاث طوابع بريدية لإحياء ذكرى يشوع[2]. كما يستشهد حاخامات العسكرية الإسرائيلية اليوم بهذا السفر، للمناداة بالحرب المقدّسة، وتبرير مذابح أورادور أو دير ياسين أو الاحتلال بالقوة لأراضي الغير والقتل الجماعي للناس[3].

وكم كان متناقضا عند غارودي، الزعم بأنّنا نعثر في يسوع المسيح، على السّمات الأساسية لرئيس المرتزقة داود، كما صوّرته الأسفار التاريخية في العهد القديم، وثُبّتت سيرته هذه في سفر صموئيل الأول وصموئيل الثاني. كما أنّ أعمال إبادة الأعراق الأخرى لا تتوقف، مع قضاة بني إسرائيل ومع ملوكهم حسب ما ورد في الأسفار المنسوبة إليهم. فنجدها في سفر صموئيل الأول (15/2-3: هكذا يقول رب الجنود. إنّي قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلا وامرأة. طفلا ورضيعا. بقرا وغنما. جملا وحمارا) [4].

ويجد غارودي أنه بسبب عدم تنفيذ الملك اليهودي شاوول لأوامر الرب، فإنّ الرب يندم على اختياره ملكا، كما ورد في صموئيل الأول (15/10-11: وكان كلام الربّ إلى صموئيل قائلا. ندمت على أنّي قد جعلت شاول ملكا لأنّه رجع من ورائي ولم يقم كلامي. فاغتاظ صموئيل وصرخ إلى الربّ الليل كلّه)، فيبحث الربّ عن

[1] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص52.
[2] ـ المصدر نفسه، ص155.
[3] ـ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص88، 89.
[4] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص180.

ملك أكثر قسوة كما في صموئيل الأول (10/16- 13: ... فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته. وحلّ روح الربّ على داود من ذلك اليوم فصاعدا...) فالاختيار وقع إذاً على داود الذي يقول عنه كتاب التعليم الديني المسيحي لسنة 1992م (كان داود قبل غيره، الملِك بحسب قلب الله)، وهنا يتعجب غارودي كيف استطاع بعض المسيحيين، أن يجد في يسوع المسيح السّمات الأساسية لمسّيا إسرائيل (أي المخلص)[1].

وفي سفر صموئيل الأول16 إلى صموئيل الثاني24، يكون داود هو الشخصية المقلقة، فتقول أحداث القصة اليهودية، أنه بعدما كان داود حامل سلاح شاول، عزله حسداً، فهرب داود وانحاز وكوّن جماعة من المرتزقة الفلسطينيين، وجعلها في خدمة مَلكهم (أخيش)، وراح يُنظّم الغارات للنّهب، ثم جنّده (أخيش) معه لمحاربة إسرائيل، فوافق داود. وبعد معركة "حقل الصخور" مع بيت شاوول، أصبح داود ملكا على إسرائيل ويهوذا، واستقرّ في أورشليم التي أصبحت مدينته. وليصبح داود وارثا لعرشه تزوج ششبع أرملة أوريا الحثي، وهو أحد جنوده، تخلّص منه في الحرب. وهكذا وُلد له سليمان من هذا الزواج المشبوه.

وعلى هذا علّق غارودي قائلا: "هذا هو الجدّ الأول الذي كان بولس أول من نسبه إلى يسوع (المسيح). وهذه التلفيقة القاتلة قد ألقت ثقلها على تاريخ المسيحية حتّى أيامنا هذه... فالبشارة بالنسبة لبولس، هي إنجاز مواعيد الله التي وعد بها إسرائيل... وسوف تُلقي هذه القرابة السلفية (أي المسبقة) بثقلها على كل تاريخ الكنيسة منذ بولس... هذا التقليد القديم يقوم على اختيار حاسمٍ: اختيار لاهوت السيطرة". ويرى غارودي أن هذه النّصوص التي يزخر بها العهد القديم، عن الغزوات

[1] ـ المصدر السابق، ص180.

والمذابح واغتصاب الأراضي من سكانها الأصليين، نموذج لجميع الابتزازات الاستعمارية باسم الله ومباركته[1].

ويجد غارودي أنّه بعد انجاز يشوع الوصيّة، متّبعا سياسة التقتيل وبكل حميّة دينية، مذكّرا بمذابحه (يشوع 5/23: وأهلكتهم من أمامك)* تم وضع قوانين التمييز العنصري، ومنها تحريم الزواج من الآخرين. هذا التشريع الذي تكرّر حسب غارودي في (نورمبورغ) الهتلرية. وقد أكّد على هذه القوانيين عزرا حسب ما ورد في سفر عزرا (10/10: فقام عزرا الكاهن وقال لهم إنّكم قد خُنتم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم اسرائيل) وفي سفر نحميا (31/10: لا نأخذ منهم في سبتٍ ولا في يومٍ مقدّس) هذه الاحكام جاءت بعد عودة اليهود من المنفى[2].

بل إن عزرا بكى لأنّه (اختلط الزرع المقدّس بشعوب الأراضي: عزرا2/9)، فأمر بالاصطفاء العرقي والطرد، فجاء في سفر عزرا1/10-4: (إنّنا قد خنّا إلهنا واتّخذنا نساء غريبة من شعوب الأرض. ولكن الآن يوجد رجاء لإسرائيل في هذا. فلنقطع الآن عهدا مع إلهنا أن نُخرج كلّ النّساء والذين ولدوا منهنّ حسب مشورة سيدي، والذين يخشون وصية إلهنا. وليعمل حسب الشريع: قم فإنّ عليك الأمر ونحن معك. تشجّع وافعل). وقال نحميا عن اليهود (نحميا30/13: فطهّرتهم من كل غريب) [3].

وقد زادت ظاهرة الخوف من الاختلاط ورفض الآخر من حدة فكرة التباعد العرقي، فرَفضُ دم الآخر عن طريق الزواج المختلط سيؤدي حسب غارودي بالضّرورة إلى رفض ديانة الأخر، وثقافته وطراز حياته. ومن ذلك أنّ النّبي نحميا قاتل ضد اللغات الغريبة، كما ورد في نحميا (23/13-25: ... ونصف كلام بنيهم باللسان

[1] ـ ينظر: المصدر السابق، ص188ـ190.

* ـ (والرب إلهكم هو ينفيهم من أمامكم ويطردهم من قدامكم فتملكون أرضهم كما كلمكم الرب إلهكم).

[2] ـ المصدر نفسه، ص185ـ186.

[3] ـ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص56.

الاشدودي ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي بل بلسان شعب وشعب. فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم أُناسا ونتفت شعورهم واستحلفتهم بالله قائلا: لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم)[1].

ومن التناقض الذي يقف عنده غارودي في سفر يشوع أنه في الوقت الذي يَطرد الرب الكنعانيين لأنهم غير موحدين لله كما ورد في (يشوع 10/3: سيطرد الرب الكنعانيين من أمامكم)*، يكشف سفر يشوع عن تعدّد الآلهة عند بني إسرائيل، فقد كان آباؤهم يعبدون آلهة أخرى قبل يشوع. حتى أنّه في سفر يشوع يطرح يشوع في مجمع (شكيم) سؤالا على بني إسرائيل** ورد في (يشوع 24/14-15: عليك الآن أن تختار سيّدك الذي تخدمه. أتختار يهوه إله الخروج أم آلهة كنعان؟)[2].

وبناء عليه يذكر غارودي أنّ الأب (ديفو) يبرهن من خلال ما ورد في نصوص التوراة المدرجة ضمن أسفار الكتاب المقدّس، أنّ موسى لم يكن يعتنق عقيدة بإله واحد، وأنّ التسليم بإله واحد لم يكن من صلب الديانة اليهودية الأولى. وهذا ما جاء في سفر القضاة (24/11: ألا تملك ما وهبك إياه إلهك كموش)*، وشعب كموش هم المؤابيين.

ثم يعود غارودي فيُشير إلى الروح العدائية والعنصيرية في هذه الأسفار، فسفر يشوع يؤكد على طرد الآخرين، حتى أنه لم يكن من الممكن طرد سكان السهول لأنهم

---

[1] ـ المصدر السابق، ص57.

*ـ (أليس ما يُملكك إياه كموش إلهك تمتلك. وجميع الذين طردهم الرب الهنا من أمامنا فإياهم نمتلك)

** ـ (فالآن اخشوا الربّ واعبدوه بكمال وأمانة وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم في عبر النهر وفي مصر واعبدوا الربّ. 15 وإن ساء في أعينكم أن تعبدوا الربّ. فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون إن كان الآلهة الذين عبدهم آباؤكم الذين في عبر النهر وإن كان آلهة الأموريين الذين أنتم ساكنون في أرضهم. وأمّا أنا وبيتي فنعبد الربّ).

[2] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص37.

يمتلكون عربات من حديد، إلا بعد التموقع في الجبل، وهو ما ورد في (يشوع18/17: بل يكون لك الجبل لأنّه وعر فتقطعه وتكون لك مخارجه. فتطرد الكنعانيين لأنّ لهم مركبات حديد لأنّهم أشداء)، بينما جاء في سفر القضاة (19/1: وكان الربّ مع يهوذا فملك الجبل ولكن لم يطرد سكان الوادي لأنّ لهم مركبات حديد)، ويُنبّه غارودي هنا إلى أنّ الكنعانيون قد ضلّوا يسكنون البلاد، ولكن حينما قويت شوكة الإسرائيليين فرضوا أعمال السخرة الشاقة عليهم[1]. وفيه تأكيدا على صفة لؤم في اليهود.

ويقف غارودي مع تناقض آخر يجده في سفر القضاة، بين سياسة الإبادة في الإصحاح (8/5: ... اختار آلهة حديثة. حينئذ حرب الأبواب...) حيث أباد أبناء يهوذا سكان أورشليم، وبين سياسة التعايش في الإصحاح (21/1: وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم. فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم...) فهنا نجد بني بنيامين يتعايشون مع اليبوسيين سكان أورشليم. هذه الملاحظة يفنّد بها غارودي قضية الأرض الموعودة، ويؤكد ذلك بما يجده في فقرات الإصحاح الثاني من سفر صموئيل الثاني.

وفي وقفة أخرى مع هذا السفر (24/24: ... فاشترى داود البيدر والبقر بخمسين شاقلا من الفضة) حيث يشتري داود من ملك اليبوسيين(أرينا) حقلا ليُقيم فوقه معبد مقابل 50 شاقل من الفضة، بينما في سفر أخبار الأيام الأولى (18/21-25: ... ودفع داود لأرنان عن المكان ذهبا وزنه ست مئة شاقل.) فهنا داود عليه السلام اشترى من ملك اليبوسيين أورنان الحقل مقابل 600 شاقل، هذا التغيير والتناقض في إسم ملك اليبوسيين وسعر الأرض أصبح من الأمور غير المستغربة في الكتاب المقدّس، لذلك يعتبرها غارودي من الأمور الثانوية، أمّا المهم فهو أنّ داود لا يتصرف كمالك للأرض، ولا يحاول أن يطرد صاحب الأرض، بل على العكس يتفاوض

[1] ـ المصدر السابق، ص67ـ 69.

معه بودّ، تماما كما فعل إبراهيم عليه السلام في الماضي مع عفرون الحيثي (جاء ذلك في سفر التكوين23)[1].

وكذلك فيما يتعلق بالمنهج المتبع لدخول أرض كنعان، فما يقوله سفر القضاة عن الدّخول إليها، وكيف أنّه كان تسلّلا بطيئا لأرضٍ بأصحابها، تمّ في أغلب الأحيان بلا قتال، أمّا في سفر يشوع كما رأينا سابقا فإنّها كانت غزوة، ذبحوا فيها كل من قابلهم في الطريق. وفي المقابل نجد في سفر صموئيل الأول (14/8-10) يُحذّر صموئيل الشعب ضد مفاسد إقامة حكم على أساس ملكي في إسرائيل، وهذا ما يعتبره غارودي تأكيدا على أنّ الأرض والملك والسلطان لله وحده[2]. هذه الفكرة الأخيرة يكرّرها غارودي كثيرا في مؤلفاته، كمبدأ مشترك تؤكد عليه الأديان السماوية الثلاثة، ألا وهو أنّ (الملك والعلم والقوة لله وحده) فعلى الانسان ألا ينازع الله في ذلك ولا يدعي أنها له، بل حده أنه يستخدم شيء منها، وإلا طغى وتجبر وتكبر.

ثم إنّه مع مملكة داوود ثم سليمان كذلك، كان الانتقال من السلطة الدينية إلى السلطة السياسية، حسب ما ورد في سفر صموئيل الأول والثاني. ورغم الاهتمام ببعض الجوانب الدينية، فقد أقام داود مملكة متعددة الجنسيات، كانت مملكة فلسطينية ترتبط عناصرها المتعددة بشخص الملك وحده. ومع سليمان بدأ الاهتمام بالمنجزات الحضارية والاقتباس من الحضارات المجاورة (الفرعونية والفينيقية...)، لدرجة أنّنا نجد في سفر الملوك أنّ نساء سليمان، حوّلن قلبه نحو آلهة أخرى، فعبدها وبنى لها المعابد: سفر الملوك الأول (9/11: فغضب الربّ على سليمان لأن قلبه مال عن الربّ إله إسرائيل). ويذهب المؤرخون إلى أنّه في ظل حكم داود وسليمان، ظهرت أولى الوثائق المدونة وهي حوليات سليمان. ففي سفر صموئيل الثاني إشارة إلى أحد كُتّابها وفي سفر الملوك وسفر أخبار الأيام تُروى مقاطع منها[3]. وهي إشارة من

[1] ـ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص91ـ92.
[2] ـ المصدر نفسه، ص99.
[3] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص73ـ76، 79.

غارودي للروح الحضارية عند سليمان وملوك بني إسرائيل، واستفادتهم من الحضارات الأخرى.

كما يرى غارودي أنّ تفاصيل سيرة داود وسليمان لا وجود لها إلا في سفر صموئيل الأول والثاني، فلا نصّ ولا نُقوش ولا بقايا أثرية تؤكد صحّة ذلك، ولا يوجد مصدر آخر يؤخذ منه أخبار التاريخ غير العهد القديم، حتى (كتاب تعاليم الكنيسة الكاثوليكية) الصادر1992م قد اشتملت صفحات منه (ص37، 120، 121) على فقرات سفر صموئيل وأسفار الملوك، كجزء ثابت من الكتاب المقدّس ويأخذ بأحكامهما. ومن ذلك أنّ كتاب التعاليم هذا يَعتبر داوود رجُلا بقلب إله، كما ورد في (صموئيل الأول 14/13: انتخب الربّ لنفسه رجلا حسب قلبه وأمره الربّ أن يترأس على شعبه) [1].

ويجد غارودي في الأسفار التاريخية المقدّسة، أنّ عزرا ونحميا المتعاونين مع ملك الفرس القوي، قد اقتصر دورهما على إصلاح أحوال العبرانيين، بعد أن اختفت سلالة داود الملكية، وحدث السّبي البابلي للملك صدقيّا ووجهاء المدينة مع نبوخذنصر، الذي استولى على أورشليم عام587ق م. واستمرت حياة الشعب العبري في فلسطين بدون مُلوكه وبدون أرستقراطيته الكهنوتية أو التجارية. فلمّا قضى ملك الفرس قورش للمنفيين بالعودة، حدث بينهم وبين الباقين من العامة خلافات حول أملاكهم، فتولّى كل من عزرا ونحميا تنظيم الحياة في فلسطين، حتى أنّ عزرا أصبح (الأمين على شريعة الله)، ووصل بعده نحميا إلى أورشليم، ليتسلّم فيها منصب حاكم يهوذا، وفي هذه الفترة تمت عملية إضفاء الطابع القانوني على الكتب المقدّسة. وهكذا حسب غارودي ألغي كل تطور جديد، وبدأ حكم المجامع الدينية وأحبار الشريعة[2].

[1] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص52.
[2] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص94ـ 100.

وهو يرى أنه قُضي على الحركة التنبوئية المتطلعة إلى العالمية، وانتصر التعصب الإسرائيلي تحت وطأة الكهنوت. وقد استمر هذا الركود مع سلطة اليونانيين ثم الرومانيين في المنطقة، إلى أن قامت ثورة المكابيين، أين كان يهوذا المكابي على يقين تام، أنّه قاتل في سبيل سيادة ملكوت الله على الأرض [1].

ومن خلال هذا المسار التاريخي، يقف غارودي مع تميّز الاستشراف المستقبلي في التنبوئية التوراتية، حيث يتمّ الوصل بين انكشاف وبداية التحالف (مع الإله) والوعد الأخروي للنصر النهائي، الذي ينتظره بنو إسرائيل. هذه الفكرة يجد غارودي أنها دخلت إلى المسيحية، لتصبح عقيدة أساسية فيها، ألا وهي الاعتقاد بعودة المسيح المخلص[2]. وهذا ما يعتبره غارودي في ظل منهجه التاريخي، امتدادا لليهودية.

وبعد انتقاءه لتلك التنبؤية التوراتية، وانطلاقا من قراءته الثورية المتأثرة بلاهوت التّحرر، يؤكد غارودي على أنّ اليقين بكون المُلك لله وحده، يُعتبر مقياسا للحكم على الملوك أنفسهم، يُمكّن من القيام بقياس مطلق ومفارق، لأنّه يقاس إلى مُلك غيبي، يجعلنا نُجزم بأنّ لكل نظام وحكم مقاما مؤقتا تبعا له. ويعتبر غارودي أنه هكذا يمكن للتنبؤية التوراتية أن تدفع نحو الدور المعارض والثوري[3]. هذه النتيجة يُركز عليها غارودي ليؤكد على دور الأديان في التأسيس للمشروع الإنساني البديل الذي يتبنّاه، في ظل واقع عالمي يقوده الغرب نحو الصراع والصدام والعداء.

[1] ـ المصدر السابق، ص 100ـ104.
[2] ـ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص 164.
[3] ـ المصدر نفسه، ص164.

ج – قراءة غارودي للأسفار الشعرية والأسفار التعليمية

الأسفار الشعرية تُعرف بكتب الحكمة، لأنّها كتب مليئة بالحكم والأمثال ومكتوبة بطريقة شعرية. وهي خمسة أسفار[1]:

1- سفر أيوب: يحكي قصة أيوب عليه السلام.

2- سفر الأمثال: وهو منسوب إلى نبي الله سليمان عليه السلام، وكلها نصائح وأمثال.

3- المزامير: وهو كتاب صلوات وأغاني، ينسب إلى نبي الله داود عليه السلام.

4- الجامعة: فيه ملخص تعاليم سليمان عليه السلام عن عدم وجود معنى للحياة بدون الله.

5- نشيد الإنشاد: وهو عبارة عن أنشودة شعرية تصف الحب بين العريس والعروس.

- أما الأسفار التعليمية فهما سفران: سفر الحكمة وسفر يشوع بن سيراخ.

وقد كانت وقفات غارودي مع هذه الأسفار تسير على خُطى نُقّاد الكتاب المقدّس، فهم يذهبون إلى أن سفر الأمثال لم يؤلفه سليمان عليه السلام، وأنّ كثيرا مما ورد في سفر الأمثال وفي سفر أيوب والجامعة عُرِفت وشاعت في الشرق القديم عند البابليين والمصريين[2].

فغارودي بدوره يعتبر أنّ ما ورد في المزمور 104، فيه نسخ حرفي لنشيد الشمس لإخناتون أحد فراعنة مصر، هذا النشيد الذي يُعبِّر عن الوحدانية الحقيقية في رأي غارودي. ولذلك فهو يدعو لإقامة موازنة حرفية بينهما، ومطابقة ذلك مع التوراة العبرية والنصوص التوراتية الكنعانية. وهنا يستغرب غارودي لعدم إشارة النصوص المصرية إلى حادثة مهمة وخطيرة، تذكرها التوراة ونجدها في المزمور106/10-11 (وخلّصهم من يد المبغض وفداهم من يد العدو. وغطت المياه مضايقيهم واحد منهم

[1]- أبو عيسى محمد بن حسين المصري، الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ط1، دار بن الجوزي، القاهرة - مصر، 1432هـ/2011م، ج2، ص98- 99.

[2] - فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية، دار الكاتب العربي، القاهرة، ص150.

لم يبق) ألا وهي حادثة خروج بني إسرائيل مع موسى عليه السلام ولحاق فرعون وجنوده بهم[1]. وتجدر الإشارة إلى أنّ غارودي لم يجد ذلك في المصادر التي ترجع للحضارة الفرعونية، إلا أنّ القرآن الكريم أشار إلى هذه الحادثة.

ويرى غارودي أنّ المزامير أخذت من الكنعانيين حتى صفات الآلهة والطبيعة والتاريخ، فيهوه يحمل نفس لقب بعل (إله الكنعانيين) (الله أبو اليتامى وقاضي الأرامل)، فقد جاء في المزامير(5/68: أبو اليتامى وقاضي الأرامل الله في مسكن قدسه). وهناك كذلك إله المجد أرعد (المزامير3/29-4: إله المجد أرعد. الربّ فوق المياه الكثيرة. صوت الربّ بالقوة. صوت الربّ بالجلال)، ومثل الإله "إيل أوجاريت" يرتقي إله العهد القديم العرش ويقرّر في وسط ساحة الآلهة، وأن الله يترأس ساحة قضائه، (المزامير1/82: الله قائم في مجمع الله. في وسط الآلهة يقضي)[2].

وجاء في المزامير (5/9-6: انتهرت الأمم. أهلكت الشرير. محوت اسمهم إلى الدّهر والأبد. العدو تمّ خرابه إلى الأبد. وهدمت مدنا. باد ذكره نفسه) فبعد هذا المديح المنافق كما يقول غارودي، نجد وكأنّنا أمام ملك، مع أهازيج الانتقام: (زجرت الشعوب وأهلكت الشرير. محوت اسمهم إلى أبد الدهور أفنيت العدو إفناءً... دمّرت مدنهم حتى باد ذكرهم) ليعلّق غارودي بأنّ هذا الوصف هو ما يطلبه إله، مثل آلهة الرومان[3].

ويتأسف غارودي أن هذه المزامير يتم تقديسها وتعليمها للأجيال المسيحية، ونظرا لقادستها، وجد مثالاً أن امرأة مسكينة ورعة تبتهل بهذه المزامير، إلى القديس ليجد لها مفاتيح بيتها. لأنّها تعلمت هذه الوثنية كدين، تم تصويره بهذه القداسة منذ قرون، كما يتعلم الإنسان البدائي أعمال السحر، وتُعلم الدعوات المستغيثة بإله الانتقام، وهو ما ورد في الكتاب المقدّس، مثل ما ينشد في المزمور6/11-7: (يُمطر على الأشرار جمراً

[1]- غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص59-60، 83.
[2] - غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص 57.
[3] - غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص254.

وكبريتا وتكون الريح المحرقة نصيبهم لأن الربّ عادل)*. يستغرب غارودي أن هذه المزامير تصنف في الكتاب المقدّس مع الأناجيل، وترتل في الكنائس المسيحية[1].

وهو يؤكد أنّه وبعد تدخل بولس، أصبح المسيح ابنا للملك، والأسوأ أنّه ملك الحُروب، وزعيم عصابة من السماسر. ويالللأسف فالملك هنا هو داود عليه السلام. وقد أُدمج يسوع في القانون العام لسلطة الآلهة، كما لو كان ابنا ليهوه ملك الجيوش والانتقام. ويُساق كل ذلك حسب غارودي جنبا إلى جنب مع تسامح وحب يسوع، هذا الحُبّ الذي يكشف عن قلب يتألم من جراء كل ما في العالم من مآسي[2].

ويشير غارودي كذلك إلى ما أخذه العبرانيون (وهم اليهود) من الثقافة المصرية، مثل نشيد الشمس في المزامير، وما استمدّوه خلال الأسر البابلي المزدوج لبني إسرائيل، من خلال اختلاطهم بالكلدانيين وثقافاتهم، التي انبثقت عنها ملحمة جلجامش وعلم المجوس وتنبؤ زراواستر*[3].

فإضافة إلى تنبيهه لما هنالك من تبادل وتأثّر بالحضارات والشعوب الشرقية، يهدف غارودي من كل ذلك إلى التأكيد على أنَّ موروث تلك الحضارات الشرقية يُعَدّ مصدرا من مصادر الحضارة الغربية، لذلك يرى ضرورة إدراجه بوضوح كمصادر لها، في الوقت الذي يجد أنّ الفكر الغربي يلغيه تماما. كل ذلك ظنّا من العالم الغربي أنّ الاعتراف بذلك يُنقص من قيمة حضارتهم، وتجنّبا لما سيصحب ذلك الاعتراف من الإقرار الضمني بالسبق الحضاري في الشرق.

---

* ـ (يمطر على الأشرار نخاخا نارا وكبريتا وريح السموم نصيب كأسهم. لان الرب عادل ويحب العدل. المستقيم يبصر وجهه).

[1] ـ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص254ـ 255.

[2] ـ المصدر نفسه، ص255.

*ـ ويعرف باسم زرادشت وهو الشخصية الدينية الفارسية الأصل، الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد.

[3] ـ غارودي، وعود الاسلام، الدار العالمية، ص15ـ16.

ورغبة منه في إظهار اشتراك الشعوب حتى في الشعائر الدينية، يذكر غارودي أنّ المدائح والتضرعات والصلوات التي يَتقدّم بها العبرانيون لإلههم، هي نفسها التي يُقدّمها الكنعانيون لآلهتهم. ويُشير غارودي هنا إلى أنّ أعمق صورة لعبادة الأوثان ليس شكل تمثيل وتصوير اللهِ، بل هو موقف الإنسان الذي يعزو إلى الله قدرات الكائن البشري وصفاته، حتى أنّه يستغرب لما ورد في سفر أيوب (9/10: أذكر أنّك جبلتني كالطين. أفتُعيدني إلى التراب.) فهنا يُصور الله كالفاخوري صانع الصلصال، وسيحكم الله على الذين لا يقبلون شريعته بالإبادة أو بعذاب الهاوية (أيوب19/24: ... كذا الهاوية للذين أخطأوا) [1].

كما أنّ تعظيم قوة المسيا (المخلص) مصدرها هو المزامير المنسوبة إلى الملك المسياني داود، ولا سيما المزمور110، ففيه نشيد القوة والتسلط (2/110: يرسل الربّ قضيب عزك من صهيون. تسلط في وسط أعدائك)، ويقول غارودي أنّه من خلال هذه النصوص يتم التوجيه لاختيار الاستبداد مع تدريس لاهوت السيطرة[2]، فهذا الفكر اللاهوتي يُلمع صورة الأنظمة الحاكمة، ويبرّر للاستبداد واستعمال القوة والإرهاب المنظم، واستعمار الشعوب واستنزاف مقدّراتها.

وفي سفر أيوب يرى غارودي أنّ فكرة المخلص ستصبح لها علاقة بـ: (المتألم الصالح)، فإذا كان هذا السفر قد ظهر في القرن السادس ق م، في النصوص العبرية، فإن فكرة المخلص والمتألم الصالح، ظهرت في الأدبيات الدينية البابلية قبل ذلك، في الألف الثاني ق م (أي 20 قرن ق.م). بينما تجعل المزامير الخلاص والوعد الإلهي خاصّا بامتلاك أرض أو تحقيق نصر عسكري، فيجد غارودي في المزامير: (مجّدوا اسم يهوه ... لقد انتصر على الملوك الأقوياء ... وأهلك الملوك الأشدّاء وجعل من أرضهم

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص109، 110.
[2] ـ المصدر نفسه، ص171، 190.

إرثا لنا) وورد فيه كذلك (مزامير55/78: وطرد الأمم من قدّامهم وقسّمهم بالحبل ميراثا وأسكن في خيامهم أسباط إسرائيل) [1].

أمّا بالنسبة للأسفار التعليمية فيقف غارودي مع ما ورد في سفر يشوع بن سيراخ، عند كلامه عن حروب الإبادة، أين يأمره يهوه بإعمال السّيف في رقاب الجميع، رجالا ونساء، شُبانا وشيبا في إحدى المدن المحتلة [2]. فالخطاب هنا نفسه، وبنفس الوحشية وبدون تمييز.

وفي سفر الحكمة تتكرّر اللعنات للكنعانيين: (فلتكن كنعان ملعونة من جذورها..) وكان هذا حسب غارودي أقصى ما يستطيع الكهنة فعله، لصدّ ما حدث من التمازج والتكامل والتزاوج بين العبرانيين والكنعانيين. تأتي تلك اللعنات وتلك العُنصرية، رغم أنّ العبرانيين أخذوا الكثير مما يفيدهم في حياتهم عن الكنعانيين[3]، ولا أدلّ على ذلك كما يُشير غارودي أنهم أخذوا عن الكنعانيين الحِرف، وأهمُّها الزراعة التي استقروا بها وأخذوا الكتابه التي كتبوا بها رواياتهم الشفوية.

[1] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص92ـ93.
[2] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص160.
[3] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص55.

د – قراءة غارودي للأسفار النبوية

الأسفار النبوية تسمى كذلك بأسفار الأنبياء[1]. من خلال هذه الأسفار أبرز غارودي كيف أنّ الانبياء كشفوا قُبح بني إسرائيل والفساد الذي عمّ حياتهم، ففي

[1] ـ **أسفار الأنبياء:** وهي تنقسم إلى قسمين وهما: 1- **أسفار الأنبياء الكبار**: وهم الذين يُعلنون للشعب بشارة الله وكلمته المقدّسة، وتسمى كتب أنبياء كبار بسبب طول مُدتهم وعمق تأثير خدمتهم بين الشعب ونذكرهم مع أسفارهم:
- **أشعياء**: وقد عاش في وقت تثبتت فيه مملكة بابل، وقد تنبأ مسبقاً بوقوع اليهود في الأسر، ولكنه أعلن أنه سيأتي الخلاص، وقبل حوالي 700 سنة من ميلاد المسيح تنبأ أشعياء بميلاد المسيح من عذراء وصلبه نيابة عن البشر ثم قيامته من الأموات.
- **أرميا**: وقد كتب عن الأسر في مملكة بابل، وتنبأ مسبقا برجوع اليهود إلى وطنهم بعد 70 سنة، والذي قد تحقق بالفعل.
- **مراثي أرميا**: وهو يتناول هدم يهودا وأورشليم والهيكل على يد البابليين.
- **حزقيال**: الذي عاش زمن الأسر في مملكة بابل وقد تنبأ بالعديد من الأمور التي حدثت بالفعل.
- **دانيال**: عاش أيضا في زمن الأسر وترقى في مناصب هامة في مملكة بابل.
2- أسفار الأنبياء الصغار: وهي أسفار قصيرة، وكاتبوها تنبئوا بكلمة الله في عصر كان فيه الناس لا يهتمون بالأمور الدينيَّة، بل ويتذمرون على الله. وهم:
- **هوشع**: كان يعظ الشعب عن محبة الله للإنسان برغم معصيته وعدم أمانته.
- **يوئيل**: تنبأ بحلول الروح القدس على المؤمنين.
- **عاموس**: كان راعيا للغنم، وكان يبين للشعب مساوئ الظلم الاجتماعي، وحذرهم من يوم عقاب الرب، الذي سيحل عليهم بسبب خطاياهم وعدم توبتهم.
- **عوبديا**: وقد تنبأ عن حلول يوم الغضب على أدوم، وهو أصغر كتب العهد القديم.
- **يونان**: وهو يحكي عن رجل أرسله الله إلى مدينة نينوى ليبشر فيها، ولكنه لم يُطع، وفي البداية حاول الهرب في سفينة، ولكن سمكة كبيرة ابتلعته وفيه تفاصيل أخرى.
- **ميخا**: وقد عاش في زمن أشعياء، ومعه زمن هوشع، وقد تنبأ أيضا بخراب المملكة اليهوديَّة، ولكنه تنبأ بمجيء المخلص.
- **ناحوم**: وقد تنبأ بسقوط مدينة نينوى التي بعد أن تاب أهلها عن الشر أيام يونان النبي عادت لفعل الشر والفساد.
- **حبقوق وصفنيا**: حذروا الشعب من الاستمرار في الشر والبعد عن الله.

سفر إرميا (29/21-23: .. اللّذان يتنبآن لكم بإسمي بالكذب.. من أجل أنّهما عملا قبيحا في إسرائيل) *، وقال ميخا في إدانة رؤساء إسرائيل (ميخا 3 /9-10: اسمعوا يا رؤساء يعقوب وقضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوّجون كل مستقيم، الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم)*، فيعلّق غارودي قائلا: "ويرمون اليوم كل من خالف السياسة الصهيونية، سياسة دولة إسرائيل (المزعومة)، يرمونه باللاّسامية أو معاداة السامية. ولو قيست الأمور بمقاييسهم لكان كبار رسل اليهود مثل عاموس وأشعيا وميخا وأرميا معادين للسّامية"، فالقراءة الانتقائية تُعمي أبصار الصهاينة، ويتناسون لعنات أرميا وميخا لِما هو منكَر من أفعالهم، المخالفة لشريعة موسى، التي يعتبرها غارودي عالمية في دعوتها إلى المساواة بين الناس، والتي نادى بها حزقيال وأشعيا، مبشّرين بالخلاص على يد المسيح المنتظر[1].

كما أنّ حزقيال يُلغي تميز العرق اليهودي في حديثه عن القدس قائلا: (حزقيال16/3: وقل هذا ما يُعلنه السيد الرب لأورشليم: أصلك ومولدك من أرض

- **حجي وزكريا**: قاموا بتشجيع الشعب على إعادة بناء الهيكل عند عودتهم إلى وطنهم بعد الأسر.
- **ملاخي**: وقد عاش قبل ميلاد المسيح بحوالي 400 سنة. ولأكثر تفصيل حول أسفار الأنبياء ينظر: أبو عيسى محمد بن حسين المصري، الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، مرجع سابق، ص155ـ 160.

* ـ (هكذا قال رب الجنود إله اسرائيل عن اخاب بن قولايا وعن صدقيا بن معسيا اللذين يتنبآن لكم باسمي بالكذب. هاأنذا أدفعهما ليد نبوخذراصر ملك بابل فيقتلهما أمام عيونكم. وتؤخذ منهما لعنة لكل سبي يهوذا الذين في بابل فيقال يجعلك الرب مثل صدقيا ومثل اخاب اللذين قلاهما ملك بابل بالنار. من أجل أنهما عملا قبيحا في إسرائيل وزنيا بنساء أصحابهما وتكلما باسمي كلاما كاذبا لم أوصهما به وأنا العارف والشاهد يقول الرب)

* ـ (اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة بيت اسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم. الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم).

[1] ـ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص26ـ27.

الكنعانيين. أبوك أموري وأمك حثية)*، وكذلك ألغى إرميا فكرة مركزية الخلق في القدس ونقلها إلى شيلوه (سفر إرميا12/7: لكن إذهبوا إلى موضعي الذي في شيلوه الذي أسكنت فيه اسمي أولا وانظروا ما صنعت به من أجل شر شعبي إسرائيل) [1].

ومع الأنبياء سيأخذ مفهوم ملكوت الله والخلاص أشكالا جديدة وعديدة، بدءاً بعاموس وانتهاءً بالمسيح. فالمخلص يصفه إشعيا قائلا: (.. إنه رجل الآلام... لقد حمل عنا آلامنا... وقُتل بسبب جرائمنا)، ويبين غارودي انفتاح وعالمية "العهد" في سفر إشعيا الذي ورد فيه عن المخلص: (سأجعل منك نورا للأمم حتى يعُمّ سلامي وخلاصي أقاصي الأرض: إشيعيا 6/49)*، وبهذا تجاوز الأنبياء الاستثنائية التي تعتبر أنّ العبرانيين نقلوا الرسالات، وفيها تجاوز للعنجهية القبلية اليهودية. وجعلوا من الوعد تبشيرا بملكوت الله الذي يشمل العالم ليغمره بالسلام والمحبة بين الشعوب، وهذا هو المقصود مما ورد في إشعيا: (.. سوف أخلق لكم سماوات وأرضا جديدة... وحينئذ ستُقبل عليها كل الأمم... سنجعل من حرابنا مناجل للحصاد وسيوفنا محاريث للفلاحة ولن يتعلم أولادنا فنون الحرب) [2].

وإذا كان سفر دانيال يذهب إلى أنّ المخلص الذي سيقيم مملكة الله هو (ابن الإنسان)، فإن إشعيا وإرميا يؤكدان على أنّه لابد أن يكون من نسل داود، وأنّه يتصف بالحكمة. ويكرّر غارودي كثيراً أنّ كل هذا يعني أنّ تحقق الوعد لا يكون بتمركز البدو الرحل من بني إسرائيل والآخذين بالتحضر في أرض خصبة هي (أرض الميعاد) وليس الوعد هو قيام دولة كمملكة داود، وإنّما الوعد هو مجيء ملكوت الله. وسيكون ذلك عندما تُكتب الشريعة في القلوب لا في الحجر، ففي إرميا يقول الرب:

* ـ (وقل. هكذا قال السيد الرب لأورشليم. مخرجك ومولدك من أرض كنعان. أبوك أموري وأمك حثية)

[1] ـ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص61.

* ـ (فقد جعلتك نورا للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الارض)

[2] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص68.

(سأقطع عهدا جديد... وأجعل شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم: أرميا 31/31)*، فهذا العهد الجديد سينفتح على كل الشعوب مخالفا لكل تمييز عرقي أو قبلي[1].

كما يُنبئ سفر زكريا بعودة الشعوب إلى الله (ستتصل أمم كثيرة بالربّ في ذلك اليوم ... ويكونون لي شعبا ...: زكرياء 11/2)**. ويستدلّ غارودي بكل ما سبق على عظمة الرؤية المستقبلية لإشعيا وسائر الأنبياء ويعتبر أنهم: "لم يجعلوا من أورشليم عاصمة خاصة لأمة من الأمم وإنّما جعلوا منها منارة روحية للأديان كلها في أرجاء الأرض"[2]. فلا يُفوت غارودي الفرصة هنا دون أن يشير لفكرة التعددية الدينية، والتي هي من أسس مشروعه الفكري البديل، وأحد أسس حوار الحضارات الذي يدعو إليه.

وقد كان دور الأنبياء في إصلاح المجتمع الإسرائيلي ذو أهمية واضحة، فمع إشعيا جاء التأكيد على التوحيد، فقد ورد فيه (إشعيا22/65: أنا الله ولا إله غيري) تأكيداً واضحاً لا نقاش فيه[3]. إلا أنّه وبالرغم من تنقية التمثيل والتجسيم لله من قبل الأنبياء، يستغرب غارودي ما يرد في إشعيا بلا كلل عن صورة الفاخوري صانع الخزف لاستحضار صورة الخلق الإلهي وخضوع الإنسان (إشعيا29 /16: يا لتحريفكم. هل يحسب الجابل كالطين حتى يقول المصنوع عن صانعه لم يصنعني. أو تقول الجبلة عن جابلها لم يفهم)[4].

---

[1] ـ المصدر السابق، ص92، 93.

* ـ (واقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا.)

** ـ (فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعبا فاسكن في وسطك فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلني اليك).

[2] ـ المصدر نفسه، ص160، 161.

[3] ـ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص40.

[4] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص110.

وفي (إشعيا 9/45: ويل لمن يخاصم جابله. خزف بين أخزاف الأرض. هل يقول الطين لجابله ماذا تصنع. أو يقول عملك ليس له يدان) وفيه كذلك (إشعيا 7/64: وليس من يدعو باسمك أو ينتبه ليتمسك بك لأنّك حجبت وجهك عنّا وأذبتنا بسبب آثامنا [8] والآن يا رب أنت أبونا. نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك)، وهو ما يرد في إرميا كذلك(6/18: أما أستطيع أن أصنع بكم كهذا الفخاري يا بيت اسرائيل يقول الربّ. هو ذا كالطين بيد الفخاري أنتم هكذا بيدي يا بيت اسرائيل). وفي هذه الأسفار يلاحظ غارودي أنه يتمّ تصوير الخالق على أنّه إله كلي القدرة، خارج الإنسان وهو صانعه كما يصنع الفاخوري الصلصال الذي يشكّله، وهو ما ورد في (إرميا6/13: وكان بعد أيام كثيرة أنّ الربّ قال لي قم انطلق إلى الفُرات وخذ من هناك المنطقة التي أمرتك أن تطمرها هناك) وإشعيا16/8: صر الشهادة اختم الشريعة بتلاميذي).

ويرد كذلك التأكيد على القيامة وتصويرها بدقة في (رؤية حزقيال37/2-12: ... فقال لي يا ابن آدم أتحيا هذه العظام... هاأنذا أفتح قبوركم وأُصعدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم إلى أرض إسرائيل) وفي (7/38: استعد وهيئ لنفسك أنت وكل جماعاتك المجتمعة إليك فصرت لهم موقّرا). وجاء عنها في رؤية هوشع اليهودية 2/6: يحيينا بعد يومين. في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه). وفي رؤيا إشعيا19/26: تحيا أمواتك تقوم الجثث. استيقظوا ترنّموا يا سكان التراب. لأنّ طلك طلّ أعشاب والأرض تسقط الأخيلة) ورؤيا دانيال(2/12: وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون. هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار. للازدراء الأبدي)[1].

وفي إشعيا وإرميا تصبح الأحداث المأساوية تقع بتقدير إلهي، فسبب سقوط قبائل بني إسرائيل وعذابها من طرف الإمبراطوريات يرجع لكفرهم وعصيانهم لله، وبالتالي أصبح حكام الشرق سبيل لتحقيق أهداف الاله(يهوه): فملك الأشوريين

[1] ـ المصدر السابق، ص182.

القوي المخيف (قضيب غضبي الحاملين معهم عصى سخطي: إشعيا 5/10)* وأصبح قورش ملك بلاد فارس (منفذاً أمينا لأوامر يهوه: إشعيا5/45-6)** وجاء في إشعيا13/45: أنا قد أنهضته بالنصر وكل طرقه أسهل. هو يبني مدينتي ويُطلق سبيي لا بثمن ولا بهدية قال رب الجنود) [1].

ويجد غارودي أنّه مع النّبي عاموس كما ورد في سفره بدأ التأكيد على العدالة الاجتماعية. وأنّ النّبي إرميا يرى الخضوع للقائد "نبوخذنصر" طاعة للمشيئة الإلهية، التي أوكلت إليه سيادة العالم، حتى أن استيلائه على أورشليم عام587ق.م وهدمها، كان عقوبة إلهية، لأنّ ملوك إسرائيل خالفوا إرميا. ويلاحظ غارودي هنا أن بعض المؤرخين يرون أنّ هذه الهزيمة، لم تكن حدثا ذا شأن في التاريخ العالمي، لأنّ ما ورد في التاريخ على نبوخذنصر لا يأتي على ذكر هذه الهزيمة تماماً[2].

وهذه نقلة أخرى في قراءة غارودي لدور الأنبياء تبدأ بعاموس، فقد جعلوا جوهر التاريخ ومعناه، لم يعد في الماضي، ولا في الوعد بالأرض والسلطة، لصالح شعب واحد فحسب، يَدين بانتصاراته لمشيئة الله، بل راحوا يفتحون هذا التاريخ على المستقبل، ليُعطوه مغزى كوني. فيعتبر غارودي أنّ هذا إسهام آخر للعبرانيين في التراث الروحي

* ـ (ويل لأشور قضيب غضبي. والعصا في يدهم هي سخطي) وكذلك يفعل الله مع الملك الجديد نبوخذنصر (إرميا27/6ـ8: والآن قد دفعت كل هذه الأراضي ليد نبوخذناصر ملك بابل عبدي وأعطيته أيضا حيوان الحقل ليخدمه. فتخدمه كل الشعوب وابنه وابن ابنه حتى يأتي وقت أرضه أيضا فتستخدمه شعوب كثيرة وملوك عظام. ويكون أن الأمة أو المملكة التي لا تخدم نبوخذناصر ملك بابل والتي لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل أني أعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع والوبا يقول الرب حتى أفنيها بيده)

** ـ (أنا الربّ وليس آخر. لا إله سواي. نطقتك وأنت لم تعرفني. لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري. أنا الرب وليس آخر).

[1] ـ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص65.

[2] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص60، 68.

الإنساني، يرد فيما يُسمّى "بأدب الأنبياء" حسب غارودي[1]، والذي لا يرجع إلى مرحلة الصعود والازدهار بل إلى مرحلة انحدار الأمة الإسرائيلية. فعاموس (وهو أول الانبياء المُدونين للتوراة حسب غارودي) تنبّأ بالكارثة العسكرية وبالسّبي. أمّا النّبي ملخيا (آخر أنبياء الاشتراع) فقد فضح منذ العودة من السبي، التحريف الذي لحق بالرسالة بسبب التعاليم المضلّلة لأحبار اليهود.

ويلاحظ غارودي من خلال ما كُتب بعد العودة من السّبي البابلي، أن هناك صعود كبير للنزعة التنبؤية في أسفار الأنبياء، والارتقاء الروحي والتنزيه ليهوه. فللاحتفال بالعودة إلى أورشليم وبدء التضحيات، أعلن النّبي هوشع التحول في القيم: (هوشع6/6: إنّ ما يسرّني الحبّ وليست التضحيات، معرفة الله أكثر من التضحيات الكبرى (أي التضحية بحرق الحيوانات تقرباً لله)*. هذا التّحول والانتقال يُشبّهه غارودي بما حدث في الديانة الهندوسية، حيث تم الانتقال من التسابيح الفيدية الأولى إلى الأوبانيشادا[2].

كما يعتبر غارودي أنّ تأثير النزعة التنبؤية لدى زراتوسترا (زرادوشت) واضح على كبار الأنبياء، في إشارة منه إلى تأثر وانفتاح أنبياء اليهود على غيرهم أثناء السبي البابلي، خاصة النّبي عاموس الذي أعطى التحالف (تحالف الله مع شعبه، وهو مبدأ أساسي في اليهودية) معناه الحقيقي، الذي تحوّل من كفاح شعب ضد أعداءه إلى الكفاح ضدّ الشّر، والانتصار النهائي فيها للخير. وأصبحت شعائرية التلقين القبلي اليهودي للختان، دلالة على التحالف. وأصبح النبي إرميا يُذكّر بختان القلب في سفر إرميا4/6 -والأصح هو إرميا 4/4-: (اختتنوا للرب وانزعوا غرل قلوبكم يا رجال يهوذا وسكان أورشليم).

في حين أنّ سفر إسحاق والذي لا نجده بين أسفار العهد القديم، المعتمدة عند أغلب المسيحيين، يجد فيه غارودي شكوى من المكر الديني، لدى أولئك الذين يراعون

[1] ـ المصدر السابق، ص87، 88، 89.

* ـ (إني أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات)

[2] ـ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص160.

الطقوس ولكنهم لا يمارسون العدالة. وفي سفر إسحاق كذلك ظهر الإله على أنه (21/14: إله عادل ومُخَلص). وهكذا أضفى كبار الأنبياء اليهود على التحالف معنى الشمولية[1]. وتبرز هنا النزعة الإنسانية العالمية في قراءة غارودي لهذه الفقرات من الأسفار المقدّسة، مخالفا بذلك القراءة الغربية الصهيونية العنصرية والقومية.

ولإبراز آثار المصادر اليهودية (أسفار العهد القديم) في العالم المسيحي، يرى غارودي أنّ النبوءات التوراتية قد استُغلت استغلالا مجحفاً، في تاريخ اللاهوت المسيحي[2]. من ذلك ما فُبْرِك عن خرافة غزو العرب لقرطبة، في الترجمة الفظيعة لحياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم التي قرأها "سان ألوج"، فقد استند في كتابه على تاريخ الغزو إلى سفر حبقوق (1/6-11: سأُحرض الكلدانيين، ذلك الشعب الفظ والعنيف ... لكي يغتصب بيوت الآخرين... وليأخذوا أسرى بعدد الرمل... إنهم يستخفون بالحصون) *.

ويُشير غارودي إلى أن إلفارو (القرطبي تلميذ ألوج) استعان "برؤى دانيال في الكتاب المقدّس" حول الوحوش الأربعة المرعبة التي أوحي إليه تأويلها (دانيال7/23-25: أمّا الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض مخالفة لسائر الممالك فتأكل الأرض كلّها وتدوسها وتسحقها والقرون العشرة من هذه المملكة هي عشرة ملوك يقومون ويقوم بعدهم أخر وهو مخالف الأولين ويذل ثلاثة ملوك. ويتكلّم بكلام ضد العلّي ويبلي قديسي العلي ويظن أنّه يغيّر الأوقات والسنّة ويسلّمون ليده إلى زمان

[1] ـ المصدر السابق، ص161.

[2] ـ غارودي، الإسلام في الغرب، مصدر سابق، ص31.

* ـ (فهأنذا مقيم الكلدانيين الأمة المرة القاحمة السالكة في رحاب الأرض لتملك مساكن ليست لها. هي هائلة ومخوفة. من قبل نفسها يخرج حكمها وجلالها. وخيلها أسرع من النمور واحد من ذئاب المساء وفرسانها ينتشرون وفرسانها يأتون من بعيد ويطيرون كالنسر المسرع إلى الأكل. يأتون كلهم للظلم. منظر وجوههم إلى قدام ويجمعون سبيا كالرمل. وهي تسخر من الملوك والرؤساء ضحكة لها. وتضحك على كل حصن وتكوم التراب وتأخذه).

وأزمنة ونصف زمان)، وكذلك تمّت الاستعانة بما ورد في سفر حزقيال (الإصحاح 38و39) لنفس الغرض (لاعتبار المسلمين غزاة احتلوا إسبانيا القوطية)[1]. فهذه نماذج عن تمرير القراءة اليهودية لأسفار العهد القديم إلى الفكر الغربي.

ويجد غارودي أنّ اليهود في زمن يسوع المسيح، استغلوا ما يجدونه في هذه الأسفار، ليؤصلوا لرفضهم لنبوة المسيح، لأنّه عندما كان على الصليب، لم يُخلّصه الله كما خلّص النبي دانيال، من مخالب الأسود وهو بداخل الجُبّ (دانيال6/22-23: إلهي أرسل ملاكه وسدّ أفواه الأسود فلم تضرّني لأنّي وجدت بريئا قدّامه وقدّامك أيضا أيّها الملك لم أفعل ذنبا حينئذ فرح الملك به وأمر بأن يصعد دانيال من الجبّ فاصعد دانيال من الجبّ ولم يوجد فيه ضرر لأنّه آمن بإلهه). هذه القراءة الساذجة كما يصفها غارودي جعلت اليهود حينها يرمون المسيح بالألفاظ الساخرة وبالسّب[2].

وانطلاقا ممّا ورد في سفر إشعيا (11/1-4: يخرج فرع من جذع يسي وينمو غصن من أصوله، روح الربّ ينزل عليه، روح الحكمة والفهم والمشورة، روح القوة والمعرفة والتقوى، ويبتهج بمخافة الرب)* اعتبرت الكنيسة ذلك دليلا على أنّها هي البقية المستفيدة من الاختيار الإلهي[3]. أي أنها الامة المختارة.

في المقابل يذهب غارودي إلى أنّ النزعة التنبؤية التي عُرف بها أنبياء بني إسرائيل، تؤسس لطابع النسبية في جميع القيم. فغارودي يرى أنّ أنبياء العهد القديم لم يكونوا أُناسا يتكهّنون بالمستقبل أو يبشّرون به، بل كانوا ينظرون إلى الحاضر بعيدا عن كل

[1] ـ المصدر السابق، ص32.

[2] ـ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص89.

* ـ (ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب. ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه. بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه)

[3] ـ المصدر نفسه، ص93.

قبول لا مشروط، بنظام معطى وبالآراء المسبقة التي تؤيده، وكفاحهم ضد عبادة الأوثان يلغي كل قيمة مطلقة وتأليه وتبجيل للأشياء أو المؤسسات التي بناها وصنعها الإنسان، وهذا ما يسمّى اليوم بمكافحة الاستلاب[1]. وهذا العمل هو من الأدوار التي يوليها غارودي أهمية بالغة، وهو الدور التوعوي، لمن تم استيلاب عقوليهم وفكرهم.

[1] ـ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص140.

الباب الثالث
قراءة غارودي لأسفار العهد الجديد.

تمهيد حول أسفار العهد الجديد

العهد الجديد عند النصارى هو المجموعة المكونة من 27 سفرا، التي تتحدّث عن الفترة التي بدأت بحياة المسيح عليه السلام، في مقابل ما يسمّى بالعهد القديم. وكُتب أو أسفار العهد الجديد التي يعتمدها المسيحيون هي الأناجيل الأربعة (متى، لوقا، مرقص ويوحنا)، وسفر أعمال الرسل ورسائل بولس (وهي أربعة عشر رسالة) والرسائل الكاثوليكية(وهي سبعة رسائل) ورؤيا يوحنا. وتفصيل ما ورد في تلك الأسفار نذكره كالآتي:

أ – الأناجيل

في الأصل أنّ الله بعث مع المسيح إنجيلا واحدا إلا أنّه لم يُحفظ، وتناقله الحواريون والتلاميذ مشافهة وبرواياتهم المختلفة وهي كثيرة. إلا أنّ رجال الدّين المسيحي اعتمدوا منها أربعة وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا. وللأناجيل في النصرانية مكانة كبيرة، فهذه الأناجيل فيها أخبار المسيح، فهو الشخصية المركزية في الديانة المسيحية، وفيها أحداث حياته من وقت الحمل إلى نهاية حياته بين الناس، وهي تشتمل على العقائد المسيحية في نظرهم بعد المسيح. وهذه الأناجيل الأربعة هي التي تعترف بها الكنائس، وتُقرّها الفرق المسيحية وتأخذ بها، وهي كالتالي[1]:

1- إنجيل متى: ينسب هذا الانجيل إلى متى، وهو أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر، كُتب هذا الإنجيل باللغة العبرية أو السريانية، وأقدم نسخة عثر عليها كانت بالغة اليونانية، وهناك خلافًا حول من دوّن الإنجيل ومن ترجمه.

2- إنجيل مرقص: ينسب هذا الانجيل إلى مرقص، الذي كان رجلا نشيطًا في نشر النصرانية في أنطاكية، وشمال إفريقيا ومصر وروما. مات مقتولا حوالي سنة62م.

3- إنجيل لوقا: ينسب إلى لوقا، وهو طبيب من أصل يهودي، كان مُرافقا لبولس الرسول (شاول) في حلّه وترحاله، وهو ليس من تلاميذ المسيح.

[1]- محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص42.

4- إنجيل يوحنا: ينسب هذا الإنجيل إلى أحد الحواريين، وهو يوحنا بن زبدي الصياد، كان المسيح يحبّه. وهناك من يشكّ فيه، ويُقال أنّ كاتبه هو يوحنا آخر، أو هو لشخصية مجهولة ثم نُسِب إلى يوحنا ابن صياد. وقد انفرد بالقول بالتثليث وبألوهية المسيح في ذلك الوقت المبكر من تاريخ النصرانية.

ب- الرسائل

ويسمّونها الأسفار التعليمية، وهي توضح تعاليم وعقائد المسيحية المعاصرة أكثر من الأناجيل، وقد دوّنها رجال مشهورون، وهي تُعْنَى بتفسير مظاهر السلوك وأنواع الطقوس في الحياة النصرانية، وجميع الرسائل مكتوبة في الأصل باليونانية، وهي في مجموعها اثنتان وعشرون رسالة (22)، وعدد الرسائل وكَاتبوها مقسمة كالتالي[1]:

1- الرسالة الأولى: وتسمّى بأعمال الرسل كتبها لوقا صاحب الإنجيل المسمّى باسمه، وهي واحدة فقط.

2- رسائل بولس (14رسالة كتبها بولس) وهي: رسالة إلى أهل رومية، كورنثوس الأولى وكورنثوس الثانية، غلاطية، أفسس، فيلبي، كولوسي، تسالونيكي الأولى وتسالونيكي الثانية، تيموثاوس الأولى وتيموثاوس الثانية، تيطس، فيلمون، العبرانيين.

3- رسائل الرسل (الرسائل الكاثوليكية): وهي سبعة رسائل، رسالة كتبها يعقوب. ورسالتان كتبهما بطرس. وثلاث رسائل كتبها يوحنا صاحب الإنجيل المسمّى باسمه. ورسالة كتبها يهوذا.

ج - رؤيا يوحنا

ويسمّونها "السفر النبوي"، وهذه الرسالة في منحاها ومنهجها تُخالف الرسائل السابقة، فبينما نجد أن الرسائل السابقة وَعْظِيَّةٍ وتعليمية في جملتها، وتتعرض كثيراً لذكر بنوة المسيح، وتخليصه للعالم من خطيئته، نجد رسالة رؤيا يوحنا اللاهوتي، تهتم

[1]- سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ط1، مطبعة الأمانة، القاهرة مصر، 1410هـ/1990م، ص5-6.

ببيان أُلوهية المسيح، وسلطانه في السماء، وعلمه بحال الكنيسة، والقائمين على المسيحية من بعده[1].

ومجموع هذه الكتب يسمى بالعهد الجديد، الذي يرى غارودي أنّه يَعِدُ البشرية كلّها بالخلاص الأبدي، الشيء الذي يجعل من العهد القديم عهدا عفى عليه الزمن، لأنّه يَعِدُ شعبا مخصوصاً (وهم بنو إسرائيل) بأرضٍ مخصوصة[2].

وتُعدّ الأناجيل بين هذه الكتب القطب، كما يقول محمد أبوزهرة فالأناجيل هي: "القطب والعماد، وإذا كانت شخصية المسيح وما أحاطوها به من أفكار هي شعار المسيحية، فإنّ هذه الأناجيل هي المشتملة على أخبار تلك الشخصية، من وقت الحمل إلى وقت صلبه في اعتقادهم، وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال، ثم رفعه بعد أربعين ليلة، وهي بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم، والصلب والفداء، أي أنها تشتمل على لبّ المسيحية بعد المسيح ومعناها"[3].

[1] - محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص70.

[2] - غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص151-152.

[3] - محمد أبوزهرة، مرجع سابق، ص112-113.

1. قراءة غارودي للأناجيل.

إنّ مفهوم الإنجيل في الفكر الغربي عموماً هو البشارة وهو المسيح في حدّ ذاته، وهذا ما يمكن أن نستشفُه من كلام الأب برنار سيسبويه الذي يقول: "الإنجيل هو المسيح، المسيح كلمة الله، وقد صارت جسدا وتجلّت في يسوع الناصري. فالإنجيل هو أولا شخص يسوع، المبشِّر في أقواله وحياته بملكوت الله. والإنجيل هو أخيرا المسيح القائم من الموت"[1].

وفي إطار هذا المفهوم يقول غارودي: "الإنجيل هو (البشارة) بتلك الإمكانات اللانهائية في الإنسان، ويسوع هو رمز تلك الإنسانية المتحررة والمبدعة. فيه يتم الإنسان على صورة الله: لقد حمل النّارَ إلى الأرض"[2]. فغارودي يرى بأنّ الإنجيل هو بشارة، بأنّ المسيح عيسى عليه السلام هو نموذج، لما يمكن أن يُحقّقه كل إنسان، انطلاقا من الإمكانات اللانهائية، التي يمتلكها كل إنسان. فيسوع المسيح حسب غارودي هو رمز لتلك الإنسانية المتحرّرة والمبدعة، لدرجة أنّه يمكن له أن يكون على صورة الله. وهو كلام ينطلق من المفاهيم المسيحية وينمّ على درجة عالية من الروح الثورية، والتّشبع الكبير بالفكر الماركسي.

وبعبارة أبسط يقول غارودي موضحاً: "إذا كانت الأناجيل تُعلّمنا أشياء قليلة عن يسوع التاريخي، فإنّها بالمقابل تُقدّم لنا معلومات كثيرة عن رُدود فعل أولئك الذين صاروا هم المسيحيين الأوائل، وقدّموا بلغة وثقافة عصرهم شهادة عن إيمانه. كما تُنيرنا (أي الأناجيل) عن مواقف أولئك الذين أبصروا فيه رسول آمالهم"[3].

ويوضح غارودي حقيقة الأناجيل التي كُتبت بعد المسيح عليه السلام: "يحسُن ألا ننسى بأنّ الأناجيل التي كُتبت بعد موته (أي المسيح) بزمن طويل، هي إعادة قراءة

[1] ـ الأب برنار سيسبويه، الانجيل الحي في الكنيسة، تر: الاب جرجس المارديني، دار المشرق، بيروت، ط3، 1997، ص9.

[2] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص64.

[3] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص172.

لحياته انطلاقا من قيامته"[1]. هكذا يكون غارودي قد فرّق بين الإنجيل كونه البشارة التي جاء بها المسيح والتي تجسّدت في تعاليمه وحياته، وبين الأناجيل التي كتبها رُسل المسيح بلغتهم وثقافة عصرهم، وتطرّقوا فيها إلى حياته والواقع الذي عاش فيه، وما آلت إليه دعوته.

أمّا عن زمن تدوين هذه الأناجيل وأصحابها، فنجِد في كتاب "المسيح ابن مريم"، أنّ أول نص كامل للإنجيل كتبه القدّيس متى، وهو ذلك العشار (الذي جمع الجباية والضرائب)، الذي دعاه يسوع إليه يوم أن مرّ به، فوجده جالسا إلى مكتب الجباية بالقرب من بُحيرة طبرية، ثم جعله واحدا من الحواريين الاثنا عشر. وقد دوّن متى إنجيله باللهجة العبرية وهي الآرمية. إلّا أنّ هذا النّص الآرمي مفقود، ولا يوجد له أثر إلى الآن، ومن خلال الوثائق التاريخية ومنها ما يرتقي إلى منتصف القرن الثاني، يُظنّ أنّ هذا النص كان موجود قبل سنة 60م، وقد تُرجم إلى اليونانية مع بعض التعديلات حوالي سنة 70 إلى 80م[2].

أما القدّيس مرقس فهو تلميذ للقدّيس بطرس، وقد دوَّن إنجيله من خلال ما سمعه من معلمه. وألّف هذا الإنجيل قبل سنة 70م، ويُرجعه النّقاد إلى حوالي سنة 64م، انطلاقا من طريقة عرضه لحادثة تدمير أورشليم. أمّا القدّيس لوقا فقد كان يوناني الأصل، يمارس مهنة الطب، ويُرجح النّقاد أن انجيل لوقا صدر في الفترة التي ظهر فيها نص متى باليونانية. وقد أطلق المفسرون على الأناجيل الثلاثة (إنجيل متى، مرقس ولوقا) إسم الأناجيل السينُبتية أي الأناجيل ذات المخطط الموحد. أمّا إنجيل يوحنا فهو لا يسير على هذا المخطّط، فقد اهتم بالجانب الروحي العميق من تعاليم يسوع. ويوحنا (الذي ينسب إليه هذا الانجيل) هو أصغر تلاميذ يسوع، أمضى حياته أعزبا، وهو الذي يُكنّى في الإنجيل الذي يُنسب إليه "بالتلميذ الذي كان يسوع يُحبّه". مات

[1] ـ المصدر السابق، ص178.

[2] ـ جاك جوميه ومارتن سبانخ، مرجع سابق، ص254ـ256.

يوحنا على الأرجح سنة98م، وقد صاغ إنجيله في أخريات حياته، وهو في إنجيله لا يجهل أعمال سائر الإنجيليين وما ورد في أناجيلهم، فتجده يتحاشى ما سبقوه إليه[1].

أمّا غارودي فيُبرز من خلال كلامه عن زمن تدوين أسفار العهد الجديد، وفي مرّات عديدة، أثر بولس على القديسين أصحاب الأناجيل، ويأخذ بالرأي القائل أنّ تحرير أقدم الأناجيل، وهو إنجيل مرقس، كان بعد رسائل بولس بخمسة عشر سنة[2]. ويعتبر غارودي أنّ الأناجيل ليست مقدسة، وهذا ما يذهب إليه المفكر والتيولوجي السويسري البروتستنتي كارل بارث كذلك. فكلاهما يرى أنّ الأناجيل لا تمثل وحيا إلهياً مباشرا، بل هي وثائق إنسانية لا تخلو من الخيالات والأهواء الإنسانية[3].

كما يستغرب غارودي أنّه لا توجد معلومات عن حياة يسوع، سوى بعض المعلومات التي نقلتها بعض المصادر المسيحية إضافة الى العهد الجديد، أمّا في المصادر القديمة غير المسيحية، فلا يُذكر عن ذلك شيئاً، سوى ما ذكره "سويتون" وهو أحد أكبر مؤرخي روما، الذي كتب في حوالي عام 100م، عن العذاب الذي تعرّض له (كريستوس) وهو اسم يوناني يطلق على المسيح المخلص[4].

ثم يعود غارودي إلى قضية التسلسل التاريخي لكتابة النصوص المقدّسة، ليجد أنّ الفرضية التي رسختها الكنيسة في الأذهان، هي أنّ الأناجيل الأربعة قد دُوِّنت جميعها في عهد المسيح، وأنّ أعمال الرسل قد دوّنها القديس لوقا، أحد تلاميذ المسيح، وأنّ رسائل بولس كُتِبت بعد الأناجيل، لأنّ بولس قد ظهر بعد المسيح. واستمر التأكيد على تلك الفرضية إلى غاية القرن17م، بعدها وصل المفسّرون المسيحيون إلى ترتيب آخر، فقالوا إنّ رسالة بولس الأولى إلى مؤمني تسالونيكي كتبت عام50م، ثم كتبت رسالة بولس إلى مؤمني رومية، ورسالة كورنتس وتسالونيكي الثانية عام57م، وكانت

[1] ـ المرجع السابق، ص256ـ263.
[2] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص160.
[3] ـ محسن الميلي، مرجع سابق، ص110.
[4] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص73.

رسالة بولس الأخيرة عام63م. ثم توالت بعدها الأناجيل الأربعة بداية بانجيل مرقس عام64م.

ويشير غارودي إلى وجود أناجيل أخرى غير الأربعة المعتمدة من طرف الكنائس المسيحية، ومنها إنجيل توما الذي تمّ اكتشاف نسخة منه في صعيد مصر عام 1954م، وهو يعترض بداية على اعتباره إنجيلاً ويسمّيه: أفكار يسوع، لأنّه ينقل أقوال يسوع فقط لا حياته كاملة، التي يُنتظرُ أن تقدِّم أحاديث إنجيلية بصيغة جديدة، سابقة لكتابة الأناجيل الأربعة[1].

وعند عودة غارودي إلى فكرة الشعب المختار والوعد الإلهي، يجد أنّ رسالة الأناجيل تستنكرها، إذا ما نظرنا إليها نظرة كلية، بعيدا عن أيّ اقتطاع لصيغ حرفية معزولة عن سياقها. فالأناجيل لا تنفك تُبشّر بأنّ الوعد قد تحقّق بمجيء يسوع المسيح، وأنّ هذا الوعد للبشرية جمعاء[2].

ومن ثمَّ يستغرب غارودي من المسيحي، الذي يسمح لنفسه بدعم أطروحة تقوم على أنّ الوعد يتحقق بمنح أرض إلى شعب. ويُذكر برفض المسيح في ثلاث مواقف من الإنجيل، أن يربط رسالته بموضوع امتلاك أرض أو سلطة: (الأول حينما جاءه الشيطان في أعلى الجبل، وعرض عليه جميع ممالك المسكونة فرفض. والموقف الثاني في رفضه لقب المخلص، كما فعل مع تلميذه بطرس، لأنّ هذا اللقب مرتبط عند اليهود بمدلول سياسي. والموقف الثالث حينما سأله القائد الروماني بيلاطس قائلا: "هل أنت ملك اليهود"، فلم ينفِ يسوع ولم يُثبت، وردّ قائلاً: "مملكتي ليست من هذا العالم"). وعليه يؤكد غارودي أنّ العهد الجديد يَحُبّ ويلغي العهد القديم وهو بديل عنه[3]. وقد كانت لغارودي وقفة مع كل واحد من الأناجيل الأربعة، من خلالها تظهر ملامح قراءته لها.

[1] ـ المصدر السابق، ص74ـ 75.

[2] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص150.

[3] ـ المصدر نفسه، ص 151ـ152.

أ- إنجيل متّى:

يرى غارودي أن زمن تدوين إنجيل متّى كان بين عام 80 و90م. ويعتبر أنّ النسخة الأصلية من هذا الإنجيل قد اختفت منذ بداية ظهوره ما بين عام40 و50م. حتى آباء الكنيسة لا يمتلكون أي نسخة أصلية منه، ويغلب على ظن المسيحيين أنّ هذه كتبت باللغة الآرامية. في حين ظهرت النسخة اليونانية عام 80م[1].

وأوّل ملاحظة يقف عندها غارودي حول هذا الإنجيل، هي أنّه مُشبع بروح التعاليم اليهودية. فهو يحصر رسالة يسوع ضمن إطار الآمال الخلاصية الإسرائيلية، وهي أهمّ أساس في فكر بولس صاحب الرسائل المقدّسة. ويجد غارودي أنّ متى يبدأ إنجيله بإرجاع شجرة نسب يسوع إلى داود، صعودا إلى إبراهيم، وهنا يُلحّ متّى على النّسب الملكي[2]. أي إرجاع نسب المسيح إلى مُلوك إسرائيل، وهو ما يتناسب مع الأمال اليهودية، التي كانت تنتظر ملك مخلص مثل داود وسليمان عليهم السلام.

وقد اضطرّ متّى، في محاولة منه لتبرير فكرة بولس، الحريص على إدراج يسوع في التاريخ اليهودي، إلى معالجة غريبة لنسب يسوع، عدَّ فيها 26 جيلا من أسماء اعتباطية، للوصول إلى يوسف النّجار (الذي يقولون أنه كان خطيب مريم أم المسيح)، على اعتبار أنّه الأب بالتبنّي ليسوع، لا بحسب الجسد والولادة بل بحسب العرق[3]. فيوسف النّجار كما ورد في الأناجيل وفي التاريخ المسيحي هو خطيب مريم عليها السلام، وأنّه من قام برعاية عيسى عليه السلام في صغره[4].

ويلاحظ غارودي أنّ إنجيل متى، يميل إلى جعل حياة يسوع تحقيقا لنبوءات العهد القديم، وعلى هذا النحو يأتي التفسير الرمزي للتاريخ اليهودي عند الكنيسة

[1] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص74.
[2] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص110.
[3] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص180ـ181.
[4] ـ ينظر: فتحي فوزي عبد المعطي، العذراء مريم وميلاد المسيح عيسى عليه السلام بين القرآن والانجيل، نهضة مصر، ص53.

المسيحية. ومن ذلك أنّ العودة إلى صهيون فُسّرت لدى الكنيسة على أنّها عودة المسيحيين إلى صفاء إيمانهم. ويستنتج غارودي أنّ هذه القراءة الرمزية هي التي فجّرت الاتجاه المعادي للسامية في الغرب، وتمّ من خلالها التأجيج للحروب الصليبية الغربية، ويذكر أنه انطلاقا من تلك القراءة فإنّ القائد غود فروي دي بويون، لم يكتفي عند استيلاءه على القدس بذبح المسلمين وطردهم، بل حاصر اليهود داخل الكنس (معابد اليهود) وقضى عليهم حرقا[1].

ولمّا ظهرت قراءة أخرى للكتاب المقدّس مع مارتن لوثر (تقرأ العهد الجديد بناء على نبوءات العهد القديم)، وانتشرت في البلدان البروتستانتية، احتلّ دور اليهود مكان الصدارة في تحقيق الوعود التوراتية (وهي: العهد، الوعد بالأرض، الشعب المختار، العودة) ومن ثم بدأ تشويه تاريخ فلسطين العظيم وحصره في مرحلتين مستقلتين تاريخيا (70عاما للمرحلة الأولى في ظل حكم داود وسليمان، تلاها انحطاط دولتي يهوذا والجليل وعودتهما على هيئة دويلات تابعة لغيرها، فقد دامت المرحلة الثانية أقلّ من قرن في ظل المكابيين). ولما حلّت سُلطة التوراة محل سلطة الكنيسة، بعد الإصلاح البروتستنتي وصارت الأناجيل تُقرأ بلغة شعبية ظهر الألفيون* وقد كانوا على خلاف مع لوثر وكالفن (المؤسسين للمذهب البروتستانتي المسيحي).

وقد تمّ بعدها الربط بين الصهيونية ومعاداة السامية، القائمة على طرد اليهود من ألمانيا، وكانت هذه هي الخلفية الفكرية لظهور الصهيونية المسيحية، وقد حقّق وعد بلفور (سنة 1917) الانتصار الأول للصهيونية السياسية. ويُنبّه غارودي إلى أنّ هذه القراءة المتعصّبة للتوراة، هي ضرب من التجديف والخلط لدى المسيحيين واليهود، لأنّها تعني أن تحل دولة إسرائيل محلّ إله إسرائيل، فتُصبح هي أساس الحياة. وما

[1] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص141ـ 143

*ـ (طائفة مسيحية يقولون أنه بعد عودة المسيح ستبدأ الألفية السعيدة)

هذه القراءة إلا وقوع في أحضان أسطورة، تقوم على التمييز العنصري، والتّوسع بلا حدود لتغطية سياسة قومية استعمارية[1].

وانطلاقاً مما يقوله المسيح في متى40/25: (بما أنكّم فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الصغار، فبي فعلتم)* ، يُشير غارودي إلى معاني أخرى انطلاقا من قراءته الخاصة لهذا الإنجيل، فيجده يُصوّر تجربة المحبّة الثلاثية غير القابلة للتقسيم والمتّجهة نحو التعالي والتسامي. لأنّها عند غارودي بذرة كل إيمان وكل فعل خلاّق، ذلك أنّ كل كائن محبوب يصير تجلّيا حيّا لله الذي يحمله في ذاته[2].

وفي انجيل متّى تغيير للعلاقات مع الله ومعّ الإنسان والعالم، على ما هي عليه في العهد القديم، ففيه دعوة لإحلال، بل لصناعة السلام، وهو ما ورد في (متّى9/5: طوبى لصانعي السلام فإنّهم سيُدْعَون أبناء الله)*، هذه البنوّة لكل صانع سلام تجعل غارودي يتساءل: هل هذه البنوّة تماثل بنوّة يسوع؟ فيكون يسوع رسول الله وابنه، أم أنّه الله، أي من جوهر الله وابنه الوحيد؟[3].

وفي وقفة أخرى له مع فقرات من إنجيل متّى(45/5: لكي تكونوا أبناء أبيكم الذّي في السماوات)، ومتى(32/6 - 33: ... لأنّ أباكم السماوي يعلم أنّكم تحتاجون إلى هذه كلّها. لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبرّه ...) هنا يُقحم غارودي أفكاره المسيحية، فيعتبر أنّ يسوع بل حتى موسى ومحمد (عليهم السلام) كان واضحا لديهم أنّ كل ابن الإنسان هو ابن لله، على اعتبار أنّهم جميعاً يؤكدون على الخضوع والارتباط

[1] ـ المصدر السابق، ص144 ـ148.
* ـ (الحق أقول لكم: بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم)
[2] ـ غارودي، كيف نصنع المستقبل، مصدر سابق، ص264.
* ـ (طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون)
[3] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق ص115.

بالله[1]، وهي محاولة منه للتقريب بين الأديان والبحث عن القضايا المشتركة بينها، معتمدا على منهج تلفيقي.

كما يذهب غارودي إلى أنّه ولحسن الحظ أنّ هؤلاء الأنبياء لم يكونوا لا فلاسفة ولا علماء لاهوت ولا فقهاء لغة، بل تكلّموا بلغة بسيطة يفهمها الجميع. وقد كانت العلاقة بين يسوع وتلاميذه علاقة أخوة، وهو ما ورد في: (متّى8/23: وأمّا أنتم فلا تدعو سيدي لأنّ معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعا إخوة). وفي متّى 10/28: (... اذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني) [2].

وبعد أن يقف غارودي مع تأكيد إنجيل متى على عقيدة البنوّة (متى 27/11: كل شيء قد دُفع إليّ من أبي، وليس أحد يعرف الابن إلا الآب. ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له) يؤكد غارودي أنّ يسوع النّاصري كان يرفض التماثل مع صورة المسيح الذي كان اليهود ينتظرونه، والذي سيكون المنقذ لأمتهم فقد ورد في(متى20/16: حينئذ أوصى تلاميذه ألاّ يقولوا لأحد أنّه يسوع المسيح) تجنبّا للالتباس الذي قد ينشأ بين رسالته والرسالة التي كان اليهود ينتظرونها من مسيحهم المخلص[3]. فيسوع لن يتطابق ولن يتماها مع آمال اليهود، ولن يكون مخلصا لهم.

وبعد أن يذكر غارودي كيف أنّ المسيح ألغى التقاليد اليهودية ونقض الناموس (أي أنّه بدّل بعض مما جاء في شريعة موسى عليه السلام)، يُفسّر غارودي ما فعله يسوع بأنّه: "إغراء بمواجهة الإمكانات، إلى اللانهائي، في حرية لا حدود لها، أجل بالتأكيد إذا كان هذا الإنسان هو الله، كل شيء يكون ممكنا فإنّ حياته برهنت على ذلك، إذن في وسعنا القول مع قائد المائة الروماني (وهي رتبة في الجيش الروماني) الشاهد على آخر فعل من حياته (حقا كان هذا ابن الله: متى54/27)".

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص32، 33.
[2] ـ المصدر نفسه، ص174.
[3] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص172.

وعند سؤال رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب عن سلطان يسوع، بيَّن لهم نبوة يوحنا المعمدان، الذي شهد له بالنّبوة كما يعلمون جميعاً، وهو ما ورد في (متى26/21: ... لأن يوحنا عند الجميع مثل نبي)، ولقد رحّب به الجمهور حين دخل أورشليم ونادوه النّبي، فقد جاء في (متى11/21: فقالت الجموع: هذا يسوع النّبي الذي من ناصرة الجليل)، وهو كان يعرف أنه سيُقتل كنبي، كما قتَلت إسرائيل من سبقه من أنبيائها، فقد ورد في(متى37/23: يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها...) [1].

ثم يستغرب غارودي، كيف يمكن أن يكون يسوع المسيح ابن الله؟ لأنّه عندما سأله رئيس الكهنة أمام المحكمة اليهودية (أستحلفك بالله الحيّ أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله، قال له يسوع: "أنت قلت": متى63/26- 64). فغارودي يعتبر أن مسألة البنوة الإلهية قد دخلها كثير من التعقيد، لأنّه تمت صياغتها وخاصة في الكنيسة الغربية، بلغة الفلسفة اليونانية، التي كانت لا تحتمل إلا تصوّرا تجسيميا لله أو تصوّرا مجرّدا محضا. وكان مفهومها للماهية لا علاقة له بما جاء به الرسل[2]. فالترجمة وإنتقال الفكرة من لغة إلى آخرى، قد يؤدي إلى تغير المعنى وتحريفه.

وفي أنجيل متّى أيضا (9/3: لا تظنّوا أنّ إبراهيم أب لكم وحدكم لأنّي أقول لكم إنّ الله قادر أن يصنع من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم)*. وقد دعى يسوع النّاس جميعا ليتهيؤوا وليُعِدّوا أنفسهم لمجيء ملكوت الله، ولا يعتبر غارودي أنّ هذا قَطيعة أو انفصال عن الشعب المختار والعهد والوعد، ولكنّه رَفض لتحديد صفة شعب الله

[1] ـ المصدر السابق، ص 179.

[2] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص180.

* ـ (ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم: لنا ابراهيم أبا. لأني أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم)

على شعب مخصوص، يرث كل ما وعده الله به لنسله، إنّه الانتقال من الإطار القومي إلى العالمية. فهذا حسب غارودي ما بشّرت به رسالة يسوع[1].

والرأي الذي يذهب إليه غارودي في قضية الصلة أو الانفصال بين العهد القديم والعهد الجديد، هو أنّ الانفصال قائم لا شك فيه، ودليله في ذلك الانفتاح والعالمية التي يجدها غارودي في الدّيانة المسيحية، في مقابل العصبية والانغلاق في الديانة اليهودية، ويُذكّر غارودي هنا باتهام مارسيون دي سينوب عام144م في روما، الذي كان يلوم المسيحيين الذين كانوا يهودا، بأنّهم زوروا النّص الأصلي لانجيل متى، جاء فيه (متى17/5: لا تظنّوا أنّي جئت لأنقض النّاموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل) ويرى مارسيون أنّ النص الأصلي كان يقول: (لم آتي لأكمّل العهد بل لأنقضه) [2].

ولإبطال تأليه يسوع يذكر غارودي ما يقوله إنجيل متّى43/27: (... أنا ابن الله) بل إنّ يسوع يتمم مشيئة الربّ إذ يميزها عن مشيئته حتى الموت (متى46/27: إيلي إيلي لما شبقتني؟ أي: إلهي إلهي لما تركتني؟). ويتساءل غارودي: "ففي أيّ مكان يقول يسوع أنا الله؟"، ويؤكد قائلاً: "بل هو رسول الله"[3].

وانطلاقا مما يقوله يسوع في إنجيل متى 53/26: (أتظن أنّي لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من إثني عشر جيشا من الملائكة؟) في هذه الفقرة يجد غارودي الاستسلام الإرادي، الذي يُحافظ به يسوع على صورة رسالته، التي ترفض تشبيه الإله بملك كلي القدرة، كما هو شأن اليهود. ومما جاء في متى20/28: (... وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر) فيفسّرها غارودي بأنّ هذه المعية والحضور الدائم، لن يكون إلا لمن آمن بيسوع[4].

[1] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص110.
[2] ـ المصدر نفسه، ص150ـ151.
[3] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص30ـ31.
[4] ـ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص192.

وبعد أن يُفرّق غارودي بين مفهوم كل من الاعتقاد والإيمان، فيعتبر أن الاعتقاد هو الانتساب أو الانضمام، المشيّد أو المرتبط كثيرا أو قليلا على صورة أو فكرة، أمّا الإيمان فهو قرار يقود كل أسلوب للحياة والوجود. يرى غارودي أنّه إذا أصبح بعث المسيح إيمان فعال وفُهم بمعناه الكامل، فإنّه سيوجّه النّفس إلى أن يسوع النّاصري، لم يَعُد إلى حياة عادية، يكون لها الموت من جديد نهاية. فكون المسيح هو الكلمة بعد قيامته، لا توجّه إلا لأولئك الذين يعتقدون به، وهكذا تكون هذه العودة والحضور الدائم للكلمة لها مفهومها الخاص عند غارودي[1].

وفي أحداث صلب المسيح الواردة في (متّى40/27: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلّص نفسك! إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب!) وما جرى خلالها من استهزاء رؤساء الكهنة والفريسيين لتخلّصهم منه، وخيانة أحد تلاميذه له وهو يهوذا، وانكار بطرس له بين من حضر الحادثة، وفرار باقي التلاميذ، من خلال هذه الاحداث يعتبر غارودي أنّه لا يمكن تصوّر إفلاس أكثر شمولاً لمشروع إنساني مما حدث مع يسوع[2]. وهي إشارة من غارودي إلى أنّ رسالة يسوع المسيح وانطلاقاً مما انتهت إليه وما آلت له مع تلاميذه، لم يُكتب لها النجاح.

ومن خلال انجيل متى يجد غارودي قلب يسوع للموازين المعتادة، ففي متى31/21: (... إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله)، وبهذا أُعيد النّظر في الأخلاق التقليدية، وتمّ قلب القيم، حتى المكان المقدّس، مكان تابوت العهد أو المعبد فقد أُبعد إلى الأبد. وورد أنّ المسيح قال: أستطيع أن أهدم الهيكل وأن أعيد بناءه (متى 40/27: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلّص نفسك...)[3].

كما انتهك يسوع القرار اليهودي بعدم الذهاب إلى السامريين، لأن اليهود يعتبرونهم مهرطقين ضالين، وأنهم أسوء من الوثنيين (متى5/10: إلى طريق الأمم لا تمضوا وإلى

[1] ـ المصدر السابق، ص194.
[2] ـ المصدر نفسه، ص195.
[3] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص107.

مدينة السامريين لا تدخلوا). بل إن يسوع يتحدى بصراحة الأيدولوجيا الأساسية للإمبراطورية الرومانية (حيث يكون الإمبراطور هو الإله) فقد جاء في متى21/22 (ردّوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)، فمعارضة ألوهية قيصر بالله، هي تشكيك بالأساس اللاهوتي لسلطته في الفكر الروماني السائد حينها.

وهذا السلوك وهذه التغييرات الجذرية في رأي غارودي، هي التي قادته إلى الموت المؤكّد حسب ما ورد في (متى 4/26: وتشاوروا لكي يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه)، كيف لا وقد واجه سلطة اليهود الدينية، وسلطة الرومان السياسية، فهو يُهدد الناموس (الشريعة اليهودية) والسلام الروماني[1].

وفي موعظة الجبل الواردة في إنجيل متى، يجد غارودي تشكيكا فيما يُقال في الشريعة اليهودية، لا ليهجم على حرفيتها ويدعو إلى الأخذ بروحها فحسب، بل ليربطها بالوجدان الذاتي الداخلي. فيسوع قابل بين ما جاء به وما ورد في شريعة موسى بقوله: (متى39/5: قيل لكم قديما العين بالعين والسنّ بالسنّ. وأنا أقول لكم: من ضربك على خدّك الأيمن فأعطه الأيسر)*، ومن الصعب حسب غارودي أن ترى في شريعة المحبة هذه إكمالا للعهد اليهودي، بل إنّها تنقُضه وتنفيه. فالإلزامية التي يردّدها يسوع في موعظة الجبل (قيل لكم قديما... وأنا أقول لكم) تُظهر ما في رسالته من نقض لما يقال عن شريعة موسى[2].

فيسوع يُحرّر مفهوم الإرادة الإلهية من تحجّره في ألواح شريعة موسى، ويحرّره من كل شكلانية وحرفية وطقوسية ضيقة. فالمحبّة هي أهمّ وصية في الشريعة، هكذا أجاب يسوع الحبر اليهودي، لما سأله عن أهمّ وصيّة في الشريعة: (أن تحب الربّ إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك)، تلك هي الوصية الأولى والكبرى فقد ورد في (متى37/22: تحبّ الربّ إلهك من كل قلبك ومن كلّ نفسك

[1] ـ المصدر السابق، ص171-177.

* ـ (وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا)

[2] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص111.

ومن كلّ فكرك). أمّا الوصيّة الثانية فمثلها وهي أن تحبّ قريبك مثل ما تحبّ نفسك (متى39/22: تحب قريبك كنفسك). فهاتين الوصيتين عند غارودي هما خُلاصة الناموس وشريعة الأنبياء. وهذا التّصور للحبّ ينقض نقضا جذريا مفهوم الحبّ عند اليونان وكذلك عند اليهود[1].

فانطلاقا من هذه القراءة لموعظة الجبل يعتبر غارودي، أن يسوع ينفصل عن الشريعة اليهودية، ويضع نفسه فوقها، فهي تشكّل أساس التحالف مع الإله (يهوه) عند اليهود وهو ما أبطله ورفضه يسوع[2].

وعندما يقرأ غارودي ما ورد في إنجيل متى (17/11-16: زمّر ولم نرقص) *، فإنّه يعود إلى الكلام عن الفنّ، الذي يعتبره لغة المقدّس. فهو يراه ضروريا للتعبير عن الغيبيات، لأنّه لا يمكن للإنسان أن يدرك مفهوم الله. فالفنّ يُمكن من استقراء المعنى، انطلاقا من الواقعة وأحداثها. ففي الفنون تكون أكثر احتياجا إلى البحث عن المعنى، ومن ثمَّ نذهب للبحث عن المعنى في سياستنا واقتصادنا وإيماننا. فالفنّ يساعد على اكتشاف النّفس، وتجاوز ما في الإنسان من حزمة الوظائف الاجتماعية والألقاب والممتلكات التي تُكوّن الفرد، إلى شرارة نار الحياة الخلاّقة المتّقدة في داخل كل إنسان[3].

ويُظهر الفن حسب غارودي كيف يستطيع الإنسان أن يُصبح إنسانا، كبداية للعمل الإلهي للإنسان، أي العمل الإبداعي الخلاّق. فكل عمل فني يُقرأ مثل وجه، يجعل ما لا يُرى من المعنى مرئيا. فالفنّ أقصر طريق يربط الإنسان بالإنسان. بل يعتبر غارودي انطلاقا من رواسب فكره الماركسي، أنّ التاريخ الحقيقي هو تاريخ الخلق والإبداع على يد الإنسان، الذي يواصله بعده أناس آخرون، فهو عنده تاريخ الإنسانية

[1] ـ المصدر السابق، ص 111.
[2] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص173.
* ـ (... ويقولون: زمرنا لكم فلم ترقصوا...)
[3] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص125ـ 132.

المقدّس، المصنوع من الفنون الكاشفة عن معنى الحياة، وأنّ غايتها الإله، وهو تاريخ يُبشّر بالمستقبل[1].

ويؤكّد غارودي على أنّ الفنّ يساعدنا على اكتشاف الأبعاد الضائعة للإنسان في مناسبات التاريخ الضائعة، وذلك عندما لا يستسلم هذا الفنّ لتقاليد الماضي، ولا أن يعيش الحاضر، ولا يسعى لخلط المستقبل بالجديد مهما كان الثمن، حتى وإن كان منافيا للعقل والقيم. ولذلك ينبّه غارودي أنّه رغم الإغواء العظيم للتجارة والمال وتأثيرهما على أذواق الناس، فالمطلوب في الفنّ ألاّ يتجه لخلط الأصالة بالتّفرد وروح الإبداع والتميز [2]. فغارودي لا يُفوت مثل هذه الفرص، للمرور على موضوع الفن، لتأكيد على ضرورة بث روح الحس الفني، لما لها من أثر في تهذيب الاذواق، والانتقال من الماديات والنزعة المادية إلى الاحاسيس والمعاني والقيم الانسانية.

ب- إنجيل مرقس:

كتب هذا الإنجيل يوحنا مرقس عام64م، ويذهب غارودي أن هذا الأخير لم يكن معاصرا ليسوع، ولكنّه كان مقرّبا من بطرس، وهو أحد تلاميذ يسوع ورسله، فالأحاديث الآبائية الكنسية التي يأخذ بها المسيحيون، تشير إلى أنّ مرقس دَّون التعاليم التي نشرها بطرس في روما. كما أنّ مرقس كان مرافقاً لبولس بعض الوقت[3].

وعند قراءة غارودي لإنجيل مرقس يقف من جديد مع إشكالية الاتصال والانفصال بين العهد القديم والعهد الجديد، فمن خلال هذا الإنجيل لا يجد أن شخصية يسوع في العهد الجديد، هو السّيد الذي يصفه العهد القديم، فيسوع يرفض هذا اللقب. كما أنّه رفض لقب (المسيا) على طريقة داود. بل إنّه يرفض أن يُدعى صالحا كما ورد

[1] ـ المصدر السابق، ص 132ـ 137

[2] ـ المصدر نفسه، ص 137ـ143.

[3] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص73ـ74.

في (مرقس18/10: لماذا تدعونني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد هو الله). بل يُشير إلى رابطة الأخوة ويجعل الجميع معه (أبناء الإنسان وأبناء الله) [1].

ويرى غارودي أنّه مع يسوع، لم تعد الطاعة التي أمر بها العهد القديم هي المقصودة، بل المقصودة هي المحبّة. فقد انتهك يسوع جميع محرّمات النّاموس كحرمة السبت، وهذه وحدها يستحق عليها الموت عند اليهود. واحترام المعبد الذي أكّد يسوع أنّه يستطيع هدمه وبناءه في ثلاثة أيام (مرقس 58/14: إنّي أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي وفي ثلاثة أيام وأبني آخر غير مصنوع بأيادي). كما يرفض أنّه ابن داود (مرقس35/12-37: كيف يقول الكتبة أنّ المسيح هو ابن داود)، ويقول أيضا في مرقس12/9 (إنّ إيليا يأتي أولا ويُردّ كل شيء وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم كثيرا ويرذل) [2].

وبعد ذلك يتساءل غارودي هل يسوع هو موسى الجديد؟ وداود الجديد؟ أم أنّ الناموس قد عُرّي عن كل قيمة؟ وهل ألغى يسوع النّاموس أم أتمّه؟ وهل المحبة ضدّ شريعة المِثل أم إتمام لها؟ وعندما يقول مرقس(21/2 -22: ليس من أحد يخيط رقعة بخيط من نسيج جديد في ثوب عتيق... وما من أحد يجعل خمرا جديدة في زقاق عتيق...). وعليه لا بد من الاختيار حسب غارودي بين العهد القديم والعهد الجديد. ثمّ يتسائل من جديد: لأيّ إله يسوع هو الابن؟ ثم يُجيب: من المؤكّد أنّه ليس ابنا ليهوه ربّ الجيوش والمذابح ومقسّم العالم إلى طاهر ونجس، إلى مختارين ومستبعدين، وذلك لأنّ يسوع يقول في إنجيل مرقس (10/13: ولا بد من قبل أن يُكرَز بالأناجيل في جميع الأمم) فكيف يمكن أن يكون هناك اتصال بين العهدين؟ وأخطر ما يمكن أن يكون في هذا الاتصال حسب غارودي أنّه يؤسس للاهوت السيطرة الذي يدعو للرضوخ والخنوع[3].

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص116.
[2] ـ المصدر نفسه، ص 179.
[3] ـ المصدر نفسه، 180ـ 183.

فيسوع في قراءة غارودي كان ضد السيطرة والاستبداد، والمعروف أنّه لم يعترف بالشمولية الرومانية، الطامعة في السيطرة على الأجسام والقلوب، لذلك يكرر يسوع مقولته حسب ما ورد في: (مرقس17/12: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)[1]. فغارودي لا يقرأ هذه الفقرة على أنّها تدعو للخضوع للقيصر أو السلطات والأنظمة بل تدعو للتقليل من هيمنتهم وسيطرتهم، وأن يكون الاستسلام والتوجه والخضوع لله.

ويُعيد غارودي طرح قضية ألوهية يسوع، عند قراءته لما ورد في إنجيل مرقس (6/12: فإذا كان له أيضا ابن واحد حبيب إليه، أرسله أيضا إليهم أخيرا، قائلا: إنّهم يهابون ابني!)، فهو إذن الابن الخاضع لله المُسلِّم أمره له. ويقول مرقس في (34/15-35: فقال قوم من الحاضرين لما سمعوا: "هو ذا ينادي إيليا") فأين يقول يسوع أنّه هو الله، أو أنّه مساوٍ لله؟ [2]

بل ينبّه غارودي أنّه على عكس ذلك، فقد أجاب يسوع رئيس الكهنة الذي سأله كما جاء في (مرقس14/61-62: ... أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع: أنا هو. وسوف تبصرون ابن الإنسان جالس عن يمين القوة، وآتياً في سحاب السماء)[3].

أمّا عن نقض النّاموس والتقاليد اليهودية، فقد تكرّر في إنجيل مرقس في مواقع كثيرة، يذكر غارودي منها في مرقس(17/2: ... إنّي لم أتِ لأدعو الصدّيقين بل الخطاة)*. فليس هناك عودة إلى مذابح السّكان الخطاة أو الوثنيين أو المشركين التي أوجبها إله اليهود القاسي كما يُصوّره العهد القديم. وعندما يُعلن يسوع أنّ مملكة الله قد حلَّت، فإنّ المقصود منها ليس تلك الآمال المسيانية بإعادة إسرائيل. وهو يأكل مع العشارين والخطاة، وهو ما يثير غيظ الفريسيين من اليهود المحافظين على التقاليد والناموس (مرقس16/2: وأمّا الكتبة والفريسيون فلمّا رأوه يأكل مع العشارين

[1] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص 175.
[2] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص30ـ31.
[3] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص180.
* ـ (... لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة إلى التوبة)

والخطاة قالوا لتلاميذه: «ما باله يأكل ويشرب مع العشارين والخطاة؟)، كما أنّه لا يصوم مثل الفريسيين، فقد جاء في (مرقس18/2: لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيين وأمّا تلاميذك فلا يصومون؟) [1]

فيسوع يُشدّد دائما على أن يُطاع الله، لا أن تُطاع التوراة لذاتها، فقد ورد في (مرقس8/7: ... تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس). ولأجل هذا قُضي عليه بأنّه يستحق الموت (مرقس 64/14: ... فالجميع حكموا عليه أنّه مستوجب الموت)، واتّهموه بالتجديف والابتداع، وتظاهروا بأنّه دجّال حينما زعم أنّه ميسيا، على غير المعنى الذي يفهمونه، فاليهود ينتظرون مسيا مخلصا على صورة الملك الذي يُعيد قوة إسرائيل[2].

لقد كان صراع المسيح مع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب اليهودي متكرراً، فبعد أن تحرّجوا من القبض عليه، (مرقس12/12: فطلبوا أن يمسكوه ولكنّهم خافوا من الجمع لأنّهم عرفوا أنّه قال المثل عليهم. فتركوه ومضوا) ثم تمكّنوا من القبض عليه، بعد أن دبّروا له مكيدة ووجدوا لها المبرّرات مع الشعب، فأمسكوه وسلّموه إلى بيلاطس وهو ما جاء في (لوقا15/1-2: وللوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمّع كلّه فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس. فسأله بيلاطس: «أأنت ملك اليهود؟» فأجاب: «أنت تقول) [3].

وخلُص غارودي بعد قراءته لإنجيل مرقس، أنّ تبشير يسوع كان متميّزَ عن غيره وعما عُرف عن تعليم الأحبار والربّانيين اليهود، فهم لا يُبشّرون إلا في الكنس في حين هو مبشّر جوّال، يتوجّه إلى كل النّاس لا إلى فئة معينة، وهو لا يستخدم الأوامر والزجر في استشهاده بالنصوص المقدّسة أو التعاليم. وفي إنجيل مرقس يجد غارودي أنّ المسيح يُبشر تبشير إنسان، سلطته من نفسه لا كما يفعل الكتبة اليهود. وحينما

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص171.
[2] ـ المصدر نفسه، ص172.
[3] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص184.

يُشير يسوع إلى الشريعة يتحدث حديث إنسان يقطع صلته بالتقاليد المتحجّرة، وإن كان يُصرّح بأنّه لم يأت لينقض العهد، ولكنّه كان يقول لمن كانوا يتهمونه بأنّه ينتهك التقاليد، أنّهم أبطلوا كلمة الله باسم تقاليدهم[1]. فغارودي يؤكد في كل مرة على الاختلاف بين تبشير المسيح ودعوته وبين التقاليد اليهودية وتعاليمهم وآمالهم.

ج- إنجيل لوقا:

كُتب هذا الإنجيل ما بين عام 80م و90م، وقد كتبه لوقا اليوناني الأصل، الذي كان يعمل طبيبا في أنطاكية. ويؤكد غارودي على أنّه كان من تلاميذ بولس، وأنّه أسّس كنيسة في أنطاكية. كما يُشير إلى أنّه تمّت الاستعانة بأعماله لتدوين إنجيل متى[2].

ويذهب غارودي أن إنجيل لوقا هو الآخر مشبَّع بروح التعاليم اليهودية. بداية من إرجاع نسب يسوع إلى داود، ثم يصعد به لوقا في إنجيله إلى آدم عليه السلام. وقد تميّزت هذه السلسة بإلحاحها على النسب النبوي ليسوع، وحتى لا ينقطع يسوع عن نسل داود، جعله لوقا ابنا ليوسف النّجار، الذي كان يُعرف عند اليهود بأنّه خطيب مريم العذراء. وقد تميّز إنجيل لوقا بالدّقة، فمكّن هذا من تحديد بعض التواريخ، منها أنّ يسوع بدأ تبشيره في عامه الثلاثين، وهو من طلب أن يُعمَّد على يد يوحنا المعمدان (وهو يحي عليه السلام)، الشخص الوحيد الذي ارتبط به، وهو الذي يرى في يسوع نبيّا بل أكثر من نبي، وقد ظهر في السنة 15 لحكم القيصر الروماني تبريوس أي عام 28 أو 29م. وظهر يسوع بمعزل عن كل الطوائف المعروفة عند اليهود [3].

وبعد قراءة غارودي لإنجيل لوقا، اعتبر أنّ البشارة بولادة يسوع من امرأة بتول، هي تعبير عن رسالة الحياة، فهذا ما يجده في إنجيل لوقا(1/26-38: ... فقال لها الملاك: «لا تخافي يا مريم لأنّك قد وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى... الروح القدس يحلّ عليك

[1] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص111.
[2] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص74.
[3] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص110.

وقوة العلي تظلّك فلذلك أيضا القدّوس المولود منك يدعى ابن الله...)، ذلك أنّه لا يمكن أن يكون ليسوع أب غير الكلّ حسب غارودي. فهذه الولادة البتولية خارج توالدنا المؤقّت، تجعله خارج حدود الذرية والتقاليد والخصوصية ولو كانت خصوصية جماعية. فولادة يسوع من عذراء نفخ الله فيها من روحه، هو اعتراف له بحضور أقوى من حضور أي واحد منّا، فهو يتجاوز حياتنا الفردية[1].

ويخلص غارودي إلى أنّ هذه الولادة نقض لذلك النسب المستبعد الصاعد إلى داود، فلو صحّ ذلك لما تعدّت مكانة يسوع مكانة بطل أو شهيد أو قدّيس. فقوة يسوع حسب غارودي مصدرها حضور هذا الكلّ في إنسان مفرغ من ذاته، دون أي مُلك أو خصوصية فردية أو قبلية، هذه القوة التي يُسمّيها اللاهوتيون المسيحيون "النعمة"[2].

وفي إنجيل لوقا نفسه يرفض يسوع أن يكون ابن داود (لوقا 20/41-44: وقال لهم: «كيف يقولون أن المسيح ابن داود. وداود نفسه يقول في كتاب المزامير: قال الربّ لربي: إجلس عن يميني)، ولكن ما ذهب إليه لوقا في إنجيله أين عدّ 42 جيلا من داود إلى يسوع كما ورد في (لوقا 3/23-38)، هو محاولة لتبرير فكرة بولس، الحريص على إدراج يسوع في تاريخ اليهود. إلا أنّ يسوع وفي كل مرة كان يخيّب آمال تلامذته، لأنّهم تصوّروه مَلِك يستعيد مُلك إسرائيل، فكان يرفض ذلك، فقال في (لوقا 19/12: فقال: «إنسان شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه مُلكا ويرجع)، ومع هذا يُصرّ لوقا أنّ الربّ الإله سيُعطي يسوع المسيح عرش أبيه داود[3].

حتى أنّه لمّا سأل الفريسيون يسوع: (لوقا 17/20-21: متى يأتي ملكوت الله، أجابهم قائلا: لا يأتي ملكوت الله بمراقبة. ولا يقولون هو ذا هنا أو هو ذا هناك لأنّ ها ملكوت الله داخلكم). فيقول غارودي وبصيغة لا تختلف كثيرا عن التعبير المسيحي: "إن الله في آن واحد داخلنا وأمامنا. إنّه الله الذي يأتي ويدعونا". ومن ثمَّ

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص118.
[2] المصدر نفسه، ص119.
[3] ـ المصدر نفسه، ص180ـ181، 190.

يكون جوهر رسالة يسوع وتعليمه حسب غارودي، هو إحداث هذا التحول الجذري في كل إنسان، باتساعه إلى مجموع التاريخ ووحداته الاجتماعية[1].

ويشير غارودي إلى اليهودية المصححة في هذا الإنجيل، حيث يسعى لوقا إلى تدعيم فكرة أستاذه بولس، لتأسيس عهد جديد منسوخ عن العهد القديم. فلوقا وحده يربط الاحتفال في العشاء الأخير ليسوع مع تلاميذه بتقاليد الوليمة الفصحية لدى اليهود، ويعتبر أنّه تأكيد للعهد الجديد (لوقا 19/22-20: وأخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلا: «هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري. «وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء قائلا: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم)، ويتضح تأويله هذا لربط العهدين حينما يقول لوقا(22/22: كل شيء جرى كما هو محتوم) *. ونجده من جهة يذهب إلى أنّ تعاليم يسوع لا امتياز فيها لأيّ شعب، حتى أنّه لا امتياز للصدّيقين على الخطأة، كما جاء في (لوقا 32/5: لم أت لأدعو أبرارا بل خَطَأَة إلى التوبة)، ثم يعود لوقا إلى أنّه يجب (أن يُكرزّ باسمه "أي باسم يسوع"، بالتوبة ومغفرة الخطايا، في جميع الأمم، ابتداءً من أورشليم: لوقا 47/24)، ويُعقّب غارودي على هذا قائلاً: "كيف لا يفعل لوقا ذلك وهو تلميذ بولس النّجيب وعليه أن يربط هذا الواجب بالكتاب المقدّس" [2]

وسيدخل في هذا العهد الجديد حتّى المجرم المصلوب مع يسوع (لوقا 42/23- 43: ... الحق أقول لك: إنّك اليوم تكون معي في الفردوس)، في حين أنّه يَحطّ من قيمة إسرائيل وأهل الناصرة، فقال في (لوقا 27/4-28: وبرص كثيرون كانوا في اسرائيل في زمان اليشع النبي ولم يطهر واحد منهم إلا نعمان السرياني .«فامتلأ غضبا جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا)، كما جعل المسيح الخاطئة والعاصية مريم المجدلية من بين تابعيه من النّساء (لوقا 37/7- 50: ... من أجل ذلك أقول لك: قد غفرت

[1] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص188.

* ـ (وابن الانسان ماض كما هو محتوم ولكن ويل لذلك الإنسان الذي يسلمه)

[2] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص 161ـ162 (الهامش)، 169.

خطاياها الكثيرة لأنّها أحبت كثيرا. والذي يغفر له قليل يحب قليلا .«ثم قال لها: «مغفورة لك خطاياك. «فابتدا المتكئون معه يقولون في أنفسهم: «من هذا الذي يغفر الخطايا أيضا؟ «فقال للمرأة: «إيمانك قد خلّصك! إذهبي بسلام).

فلغة يسوع تختلف عن لغة كهنة إسرائيل، حتى أنه أصبح يُنادي مدعويه بأصدقائي وأحبابي (لوقا 4/12: ولكن أقول لكم يا أحبائي...). ليصبح الهدف عند يسوع هو مملكة الله لا مُلكَ إسرائيل، وهو ما صرّح به هذا الإنجيل (لوقا 11/9: فالجموع إذ علموا تبعوه فقبلهم وكلّمهم عن ملكوت الله والمحتاجون إلى الشفاء شفاهم)، وقد رفض يسوع لقب مَلك اليهود، ولذلك لم يجد بيلاطس عند يسوع جُرما يستحق عليه الصلب (لوقا 3/23-4: فسأله بيلاطس: «أنت ملك اليهود؟» فأجابه: «أنت تقول. فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع: «إنّي لا أجد علّة في هذا الإنسان»).

ويعود غارودي للعبارة الشهيرة التي قال فيها يسوع عندما سأله الفريسيون: (هل علينا أن ندفع الضريبة لقيصر أم لا؟) فأجابهم يسوع إجابة ذكية (لوقا 25/20: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ليكبح طمعهم، فهم يتعاملون بالقطع النقدية التي عليها صور قيصر، وبها يربحون ويريدون منه عُذرا لعدم دفع الضريبة، ويبغون من وراء كل ذلك إيقاعه في فخ عصيان القيصر، ويتظاهرون بأنّ ذلك يشكّكهم في طاعتهم لربهم، فكانت هذه الإجابة المفحمة لهم ولنواياهم الخبيثة.

ويؤكد غارودي على أن كل هذا لا يُلغِ الفهم الخاطئ الذي أعطاه البعض لهذه العبارة من ضرورة تخلي أتباع يسوع عن السياسة، وإبعاد السياسة عن كل تنبئية دينية، وما انجر عن ذلك من إلغاء للغايات النهائية في الممارسات الدنيوية في الغرب المسيحي، وظهور للنزعة الفردية والوضعية في كل شؤون الحياة، وكان لكل ذلك آثار وخيمة على الإنسانية جمعاء. في حين أنّ في المقولة السابقة ليسوع وكل ما في سيرة حياته وتعاليمه، شهادة على نقده الصارم لكل فوضى قائمة، سواء على صعيد الشريعة

والتقاليد الدينية، أو على صعيد الاقتصاد والعدالة الاجتماعية. فهذا النقد موجّه إلى المالكين وإلى السلطة الرومانية المستبدة، وموجّه كذلك إلى الكهنة[1].

وفي إنجيل لوقا فضح يسوع كبار الكهنة، عند حكمه على أصحاب الكروم الذين قتلوا ابن سيدهم (لوقا 15/20-19: ... فماذا يفعل بهم صاحب الكرم؟ ياتي ويهلك هؤلاء الكرامين ويعطي الكرم لآخرين ... فطلب رؤساء الكهنة والكتبة أن يُلقوا الأيادي عليه في تلك الساعة ولكنهم خافوا الشعب لأنهم عرفوا أنه قال هذا المثل عليهم)، وقد قال أيضا في: (لوقا 44/11-53: لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدّام الناس ... ويل لكم أيّها الجُهّال والعُميان لأنّكم تُشبهون قبورا مبيّصة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظامُ أموات وكل نجاسة. أيّها الحيّات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنّم ... أنتم أولاد أولئك الذين قتلوا الأنبياء)، ولذلك يقول لوقا: (53/11-54: ابتدأ الكتبة والفريسيون يحنقون جدا ويصادرونه على أمور كثيرة. وهم يراقبونه طالبين أن يصطادوا شيئاً من فمه لكي يشتكوا عليه) [2].

وفي المقابل تعامل يسوع بلطف مع الخطأ فقَبِلَ عطر البغَّية، واشترك في مأدبة مع جباة الضرائب الجشعين، وذهب إلى بيت زكا الفاسق كما ورد في (لوقا 19)، فهذا هو الدور الدعوي ليسوع ، فيؤكد غارودي من خلال ذلك وكما ورد انجيل لوقا (لوقا 14/4-29) أن يسوع نبي، فهو مثل الأنبياء أبدى رأيه في كل مؤسسة بإرجاعها إلى غاياتها الأخيرة، كما فعل مع هيكل سليمان الذي لم يُصلِّ ولم يُضحّ فيه، ولكن دخله من أجل التذكير بالخدمة الحقيقية لله، ضد الاكليروس الشكلي والممارسة الطقوسية للعبادات، وضدّ التجار الذين طردهم وقلب مناضدهم رأسا على عقب عند الهيكل.

[1] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص112ـ113.
[2] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص174.

ويسوع كغيره من الأنبياء بلَّغَ بملكوت الله، بل أكثر من ذلك، فمعه بدأ الوعد بالمملكة الإلهية يظهر حسب غارودي. وقد جاء في إنجيل لوقا (22/67-70: إن كنتَ أنت المسيح فقل لنا؟ فقال لهم: إن قلت لكم لا تصدقونني... منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله ... فقال الجميع: أفأنت ابن الله؟ فقال لهم: أنتم تقولون إنّي أنا هو). ويرى غارودي في هذا تصريحا بأنّ المسيح، لا يقول أنّه ابن الله. وأن اللبس في عقيدة البنوة المسيحية، حدث مع التأويلات المعقّدة والتعتيم الذي أضفته مقولات الفلسفة اليونانية[1].

وفي إنجيل لوقا كذلك يتساءل غارودي أين يقول يسوع أنا الله؟ فهو لم يتماها مع الله في أي لحظة، فهو يقول في: (لوقا 18/13: فقال: «ماذا يشبه ملكوت الله وبماذا أشبهه؟)، ويقول في: (لوقا 42/22: يا أبتي إن شئت فجر عني هذه الكأس لكن لا تكن مشيئتي بل مشيئتك) *[2]. فقراءة غارودي تعتبر أنّ يسوع في إنجيل لوقا يؤكد على ضرورة التجرد من كل ما هو خاص بنا ومن مشيئتنا، وبالتخلي عن الملكية، حتى أن يسوع يقول للشاب الثري الذي يحترم القانون كما جاء في(لوقا 22/18) : (ينقصك شيء واحد: بع كل ما عندك، ووزّع على الفقراء، فيكون لك كنز في السماوات، ثم تعالى اتبعني). وكان هذا حال سمعان ويوحنا، فقد تركا كل شيء واتّبعاه حينما قال لهما المسيح (لوقا 33/14: كل واحد منكم لا يهجر كل ما يملكه، لا يمكنه أن يكون تلميذا لي)* [3].

ويعتبر غارودي أن هذا الأمر من يسوع للإيمان به، لا يعني مجرد صبّ اللعنات على الأغنياء وسلوكاتهم، كما لعنهم الأنبياء في أسفار اليهود من قبل، ولكن الأمر

[1] ـ المصدر السابق، ص179ـ180

* ـ (يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك)

[2] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص30ـ31.

* ـ (فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذا)

[3] ـ غارودي، كيف نصنع المستقبل، مصدر سابق، ص256ـ 257.

يتعلق بحكم عام يُدين الثراء والملكية لا في تطرفها أو تجاوزاتها، ولكنّه يدينها في ذاتها وفي مبدئها. فتحقيق التجرد من الأنا الصغيرة هو شرط اليقظة والوعي، فهناك توجد مملكة الرب حسب يسوع. ويؤكد غارودي أننا مسؤلون عن محاربة المملكة المعاصرة (المضادة للملكة الرب) وهي مملكة وحدانية السوق واحتكاره والتعامل مع الحياة على أنّها سوق مفتوحة، فهذه المملكة هي العدو الرئيسي لله وللانسان. ولذلك يتسائل غارودي قائلاً: "أم نريد إلها معلوماتياً يخلق عالماً من بشر آليين مبرمجين لارتقاء مملكة الرب بلا حرية أو مسئولية؟"[1]. فبهذه القراءة ينقض غارودي واقع الليبرالية الغربية والرأسمالية التي تعمل لمصلحة الأغنياء، مع غياب كل المعاني الإنسانية والقيم السامية.

د- **إنجيل يوحنا**

يُرجّح غارودي أنّ هذا الإنجيل قد ظهر في أواخر القرن الأول الميلادي[2]. وحول هذا الإنجيل تطرح إشكالات كثيرة، وقيل حوله الكثير، من ذلك ما يقوله الباحث اللاهوتي (جون مارش): "إنّه من المستحيل الاعتقاد بأنّه خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن الأول الميلادي، قام شخص يدعى(يوحنا) من الممكن أن يكون يوحنا مرقس (خلافا لما هو شائع من أنّه يوحنا بن زبدي الصيّاد، أحد الاثني عشر الحواريين).. قد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع، ومن المحتمل أنّه كان على دراية بواحد أو أكثر من الأناجيل المتشابهة (متى ومرقس ولوقا) فقام عندئذ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع، اختصت بها طائفته، التي كانت تعتبر نفسها عالمية، كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان"[3].

أمّا فريدريك كالفتن جرانت فيقول: "يوحنا كان مسيحيا، وبجانب ذلك كان هلّينيّا، ومن المحتمل أن يكون يهوديا، ولكنّه شرقي أو إغريقي... ومن المحتمل أن

[1] ـ المصدر السابق، ص 257ـ258.

[2] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص73.

[3] ـ جون مارش، القديس يوحنا، نقلا عن الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الانجيل لأبي حامد الغزالي(بتصرف)، تحقيق محمد عبد المجيد الشرقاوي، دار الهداية، ط2، 1982، ص49.

يكون إنجيل يوحنا قد كُتب في أنطاكيا أو أفسس أو الاسكندرية أو حتى روما، فإنّ كل من هذه المدن كانت مركزا عالميا للدعاية العقائدية في القرنين الأول والثاني من الميلاد، كما كانت على اتصال ببعضها... ويُعتبر إنجيل يوحنا تقديما دراميا لحياة يسوع ورسالته وموته وتمجيده، كتب بغرض التعليم والعبادة في الكنائس، وكذلك للتبشير والدعاية خارج الكنيسة، وهو يختص بموضوعات كانت محلّ جدال في العالم المسيحي الأممي (وهم مسيحيون أصولهم غير يهودية) في نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني، عندما انتشرت نظرية (غنوصية) حاولت أن تزيد من تبجيل المسيح، فجعلته شبحا بلا وجود، أو مخلوقا إلهيا تجسّد مؤقتا، ولم يعاني عذابا ولم يذق الموت... ومن المحتمل أنه (أي يوحنا) كان على علم بوجود الأناجيل الثلاثة المتشابهة، وأنّه قد كتب إنجيله ليكملها أو ليصححها"[1].

ويقول موريس بوكاي: "إنّ كل شيء يدفع إلى الاعتقاد بأنّ النص المنشور حاليا (لإنجيل يوحنا) ينتمي إلى أكثر من مؤلف واحد، فيُحتمل أنّ الإنجيل بشكله الذي نملكه اليوم، قد نُشر بواسطة تلامذة المؤلف، وأنّهم قد أضافوه إليه...، والقيمة التاريخية لروايات يوحنا، موضع نزاع كبير، فالأمور التي تتنافر مع الأناجيل الثلاثة الأخرى صارخة"[2].

وعن هذا الإنجيل يقول أبوزهرة: "لهذا الإنجيل خطر وشأن أكثر من غيره في نظر الباحث، لأنّه الإنجيل الذي تضمنت فقراته ذكرا صريحا لألوهية المسيح. فهذه الألوهية يُعتبر هو (أي إنجيل يوحنا) نصّ إثباتها، وركن الاستدلال فيها، لذلك كان لابد من العناية به، إذ كان التثليث هو شعار المسيحية، وهو موضع مخالفتها لديانات التوحيد"[3].

[1] ـ فريدريك كالفتن جرانت، الأناجيل أصلها وتطورها، نقلا عن الرد الجميل (بتصرف)، مصدر سابق، ص 50.

[2] ـ موريس بوكاي، مرجع سابق، ص90ـ92.

[3] ـ محمد أبوزهرة، مرجع سابق، ص122.

أما غارودي فله قراءته الخاصّة لهذا الإنجيل، فهو يعتبر أن يوحنا يخبرنا في إنجيله، أنّ اليهود هم الذين خلقوا هذا الالتباس المتعلق بتأليه يسوع، ليحكموا عليه كمجدّف ويقتلوه. لقد قال يسوع بعد أن نقض السبت (يوحنا 17/5: إن أبي حتى الآن يعمل وأنا أيضا أعمل) *. وهم الذين تظاهروا بالاعتقاد أنّه يتماها مع الله، في حين أنّه بالنسبة لهم ليس هو الله بل رسول الله (يوحنا 18/5: فازداد اليهود لأجل هذا طلبا لقتله ليس لأنّه كان ينقض السبت، بل أيضا لأنّه كان يقول أن الله أبوه مساويا نفسه بالله)**، فيصحّح يسوع مُظهرا أنّه لا يساوي الله لكنّه يُطيعه (يوحنا 19/5-20: فأجاب يسوع وقال لهم: الحقّ الحقّ أقول لكم إنّ الابن لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الأب يعمل، لأنّه مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك ما هو يعمله، لأنّ الأب يحب الابن ويريه جميع ما يعمله هو، وسيريه أعظم من هذه الأعمال لتستجيبوا أنتم) [1].

ويرى غارودي أنه عندما يقول يسوع في إنجيل يوحنا (يوحنا 30/10: أنا والأب واحد) يوضح في الحال أنّه بكلماته وأفعاله يجعل الله غير المنظور منظورا، فرؤية يسوع، هي رؤية الله الذي أرسله، حسب ما ورد في (يوحنا 45/12: من رأني فقد رأى الذي أرسلني)*، ويضيف قائلا في (يوحنا 49/12: لأنّي لم أتكلم من نفسي لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني الوصية بما أقول وأنطق)، وليُميّز يسوع مشيئة الأب عن مشيئته يقول في (يوحنا 30/5: لا أستطيع أنا أن أعمل من نفسي شيئاً، كما أسمع

* - (أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل)
** - (فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه، لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضا إن الله أبوه، معادلا نفسه بالله)
[1] - غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص30.
* - (والذي يراني يرى الذي أرسلني)

أحكم وحكمي عادل لأنّي لست أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني) ويكرّر غارودي تساؤله: أين يقول يسوع أنّه الله وأنّه مساوي له؟ [1].

ويقف غارودي على حقيقة اليهود في تعاملهم مع يسوع من خلال ما جاء في هذا الإنجيل، حينما يجد الكهنة وزعيمهم قيافا، أشدّ صلابة من الحاكم الروماني ضد يسوع، فهم من سيُسلمه لِيُنفذ فيه حكمه، وكانت حجة زعيمهم كما ورد في: (يوحنا 50/11: ... إنّه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها)، فكبار الكهنة ممن ذهب إلى لقاء الحاكم الروماني بيلاطس قالوا له: (يوحنا 7/19: .. لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت...)، فلمّا رأوا تردّدًا من الحاكم بيلاطس مارسوا عليه ابتزازاً حقيقيا قائلين: (يوحنا 12/19: ... إن أطلقت هذا فلست محبّا لقيصر، كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر)، حتى أنّهم لمّا أجابهم بيلاطس، كما ورد في (يوحنا 15/19: أأصلب ملككم؟ أجاب رؤساء الكهنة: ليس لنا ملك إلا قيصر) فكانوا في تعاونهم مع المحتلّ الروماني ضد يسوع. وفي عنادهم تظهر حميّتهم الشديدة للمحتل، ضد يسوع[2].

والسبب الذي يخبر به إنجيل يوحنا لهذا الحكم في نظر غارودي، هي القطيعة التي أقامها يسوع مع العهد القديم والتقاليد اليهودية، فحين يقول يسوع: (يوحنا 15/8: وأنا لا أُدين أحدا) * فهو يخالف الكهنة الذين كانوا يُدينون الناس باسم الناموس على أنه شريعة موسى، بينما لا يفعل يسوع ذلك فيقول: (يوحنا 28/8: وإنّي لا أفعل شيئاً من نفسي)**. وقد انتهك تقاليدهم بذهابه إلى السامرة، حتى اتّهموه أنّ به شيطانا (يوحنا 48/8: إنّك سامري وبك شيطان)، وهو عند الفريسيين ليس من الله مثلهم،

[1]- المصدر السابق، ص31.
[2]- غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص173.
* - (أنتم حسب الجسد تدينون، أما أنا فلست أدين أحدا)
** - (ولست أفعل شيئا من نفسي، بل أتكلم بهذا كما علمني أبي)

لأنه نقض حُرمة السبت (يوحنا 16/9)، بل يتهمونه أنّه ولد بجملته في الخطايا، ولذلك لا يقبلون تعاليمه (يوحنا 34/9) [1].

واعتبروا أنّ في كلامه تجديفا وضلالا، فقالوا أنه يعتبر نفسه أعظم من إبراهيم عليه السلام، فرموه بالحجارة (يوحنا 59/8: فرفعوا حجارة ليرجموه. أمّا يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم ومضى...). وإذا تعلّق الأمر بالإيمان والثقافة اليهوديتين فإنّ في أفعال يسوع وأقواله إدانة لهم، فقد قال: (يوحنا 38/9 -39: لقد أتيت إلى هذا العالم للدينونة)*، فهو يعتبر الفريسيين أحبار النّاموس المتزمتين من اليهود، بأنّهم ظلوا عميانا وأنّهم أعظم خطيئة، لأنّهم يعتبرون أنفسهم يُبصرون، وهو ما جاء في (يوحنا 40/9-41). وليُظهر يسوع سوء نيتهم عندما يتهمونه أنّه يزعم بأنّه الله، لأنّه قال: (يوحنا 30/10: أنا والأب واحد) يلجأ يسوع إلى كُتبِهم التي يعتمدونها ليوضّح معنى كلامه (يوحنا 34/10-35: أوليس مكتوبا في ناموسكم: أنا قلتُ أنكم آلهة؟ فإن كان الناموس يدعو آلهة أولئك الذين صارت إليهم كلمة الله...)** فيبين أنّهم سبقوه إلى إدّعاء ما ينهونه عنه. وكثرة تكرار المسيح لكلمة ناموسكم في إنجيل يوحنا (يوحنا 44/6، 25/15، 17/8...)، وأمثالها من الكلمات التي يُخرج بها يسوع نفسه من أن يكون واحد منهم، جعل غارودي يؤكد أنّ يسوع قطع صلته باليهود[3].

وفي هذا الإنجيل يظهر اختلاف رسالة يسوع، عمّا سبقها من رسالات باقي أنبياء بني إسرائيل، حتى أنّه قال لتلاميذه: (يوحنا 34/13: ... إنّي أُعطيكم وصية جديدة: أن يحب بعضكم بعضا...)، ويؤكد يسوع ذلك حين سأله بيلاطس (يوحنا 33/18-

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص171ـ 172.

* ـ (... للدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم، ...)

** ـ (أجابهم يسوع: «أليس مكتوبا في ناموسكم: أنا قلت أنكم آلهة؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن ينقض المكتوب)

[2] ـ المصدر نفسه، ص172ـ 174.

38: ... أأنت ملك اليهود؟ أجاب يسوع: أمن عندك تقول هذا، أم آخرين قالوه عنّي؟ ويوضّح: إنّ مملكتي ليست من هذا العالم...)، ويرى غارودي أنّ التلاميذ فهموا ذلك، ولم ينتظروا قيامته ليعرفوا من خلاله (ابن الإنسان) و(ابن الله)، والمحرّر الأعظم بالمحبة، والطريق والحقّ والحياة (يوحنا 6/14: أنا هو الطريق والحقّ والحياة. ليس أحد يأتي إلى الأب إلا بي)، وهو النبع الذي يتفجّر حياة أبدية (يوحنا 14/4: ... بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية)، وأنّ عنده كلام الحياة الأبدية (يوحنا 68/6: ... كلام الحياة الأبدية عندك) [1].

ومع يسوع يُصبح القلب هو مذبح الربّ الوحيد، فيه تقدم الأضاحي، وتلغى قداسة الأماكن (لا أورشليم ولا جارزيم بالسامرة) فالجميع سيعبد إلها واحدا هو الأب (يوحنا 20/4-21: آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون أنّ في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه. «قال لها يسوع: «يا امرأة، صدّقيني أنّه تأتي ساعة، لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون للأب)، ولا يمكن أن نكتشف الأب الحقيقي لا مع فلاسفة اليونان ولا مع العهد القديم، ولن يكون ذلك إلا مع يسوع (يوحنا 9/14: من رآني فقد رأى الأب)، (يوحنا 30/10: أنا والأب واحد)، (يوحنا 6/14: لا يأتي أحد إلى الأب إلا بي). ولأنه لا اليهود ولا الرومان ولا اليونان، يؤمنوا بيسوع فإنّهم سيُخرِجون أتباعه من المجامع وسيقتلونهم كما ورد في (يوحنا 2/16-3: سيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله. وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الاب ولا عرفوني)، ومن ثمَّ يعتبر غارودي أن موت يسوع ناتج عن حياته، التي خرق فيها الناموس بالنسبة لليهود، وتعدى على السلام بالنسبة للرومان[2].

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص176.
[2] ـ المصدر نفسه، ص177.

ولا يمرّ غارودي هنا دون أن يلغي فكرة حتمية التاريخ التي رُبطت بالإرادة الإلهية، أي البرمجة المسبقة لكل حدث والقدر المحتوم على الناس، فيقول: "إن موت يسوع ناجم عن حياته ... لا عن قرار مسبق وخارجي قرّره الله وبرمجه مسبقا. فما فائدة الحياة والدروس التي قدّمها؟"، حتى قيامة يسوع عند غارودي هي رؤيا جديدة للحياة، التي لا نهاية لها والتي لا حاجة بها إلى المرور بالقبر والموت، لأنّ حياة يسوع نفسها هي القيامة (يوحنا 25/11: أنا القيامة والحياة من آمن بي وإن مات فسوف يحيا) * سوف يحيا الحياة التامة، الحياة التي تُبرزها حياة يسوع كل يوم وفي كل الأزمنة، والتي لا ينالها الموت[1]. فغارودي يعتبر أنّ موت الفرد لا يُعدّ أمرا مهمّا أمام حياة الإنسانية ككل، ثم إنّ من ترك رسالة أو فكرة صادقة فإنّها تبقى حيّة بين الناس، ويبقى صاحبها حيّا يُذكر.

وحتى يعود غارودي لواقعه ومشروعه الحضاري، ليبيّن أنّ الإنسان قادر بعمله وانجازاته على تحقيق المملكة التي تكلمت عنها الأديان، وأنه ليس عليه أن ينتظر لتحقيق ذلك معجزة إلهية، فالمطلوب عند غارودي هو تغيير الواقع الفاسد. ولذلك يقول: "وحينما يُصرّح يسوع قائلا في إنجيل يوحنا: (يوحنا 36/18: إنّ مملكتي ليست من هذا العالم)، فهذا لا يعني أنّه يستسلم أمام ضلالات الوجود، لكي ينجو بنفسه إلى عالم آخر، وإنّما ليُبشر بعالم آخر ممكن التحقق يختلف عن هذا العالم ولا يخضع لضلالاته وقوانينه الظالمة"[2].

ومن خلال ما قاله قدماء من كتبوا عن هذا الإنجيل يشير غارودي إلى الطبيب الطاهري، الذي اعتنق الإسلام بعدما كان نسطوريا في القرن10م فقد فسّر هذا الأخير ما قاله يوحنا (12/16-13: إنّ لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأمّا متى جاء ذلك روح الحق، فهو يُرشدكم إلى جميع

* ـ (أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا)

[1] ـ المصدر نفسه، ص179ـ182.

[2] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص113.

الحق، لأنّه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية) هذه الفقرة فسّرها على أنّها البشارة برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) خاتم النبيين[1].

ويعقّب غارودي على ذلك بُغية التأكيد على ضرورة الاجتهاد والعمل، معتبراً أنّ الأمر الذي يقوله يوحنا في هذه الفقرة ليس إلا كشف الحقيقة (فالنبي عند غارودي يكشف الحقيقة)، وتبقى مسؤولية التطبيق على عاتق الإنسان في كل بلد وفي كل عصر، بصورة تتفق مع روح وشروط هذا البلد وذلك العصر[2].

وخلاصة القول في رأي غارودي عن الأناجيل، هو تأثرها عموما بأفكار بولس والعقائد التي بثّها في رسائله، وسعيه لجعل رسالة يسوع امتدادا لما سبقها من وعود وتعاليم لبني إسرائيل. ومع ذلك يجد غارودي في ثنايا هذه الأناجيل إشارات إلى رسالة يسوع الحقيقية، التي يؤكد على أنّها مخالفة جداً في طبيعتها لما يقوله بولس. حتى أنّ الترجمة المسكونية للأناجيل يرى غارودي أنّها تُعلّق على أقوال بولس قائلةً: "إنّ الإنجيل لم يُضف شيئاً إلى العهد القديم، بمعنى أنّ كل ما ورد في الإنجيل قد ذُكر سابقاً في العهد القديم. فما يهم هو إثبات أنّ الإيمان المسيحي هو في الأصل ضمن إيمان بني إسرائيل"[3]. وهذا ما يُثير استغراب غارودي.

[1] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص217.
[2] ـ غارودي، وعود الإسلام، الدار العالمية، ص100.
[3] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص75.

2. قراءة غارودي لرسائل بولس

بولس شخصية مهمة في المسيحية، هو صاحب شأن كبير فيها، حتى أنّ المسيحية تُنسب إليه أكثر مما تنسب إلى من غيره، لأنّ رسائله هي التي شرحت المسيحية المعروفة اليوم، وقد كان أشدّ دعاتها، تميّز بنشاطه الجم، وطوافه في الأقاليم شرقا وغربا. فكان القدوة للمسيحيين، وهم يذهبون إلى أنّه يهودي ولد في طرسوس، وتربّى في أوشليم واسمه الأصلي شاؤول. وقد جاءت تفاصيل حياته في سفر أعمال الرسل، التي أخذت شطرا كبيرا منه. فورد فيها أنّه روماني (أعمال الرسل 22/25-29: فلمّا مدّوه للسياط، قال بولس لقائد المئة الواقف: «أيجوز لكم أن تجلدوا إنسانا رومانيا غير مقضي عليه؟ «فإذ سمع قائد المئة ذهب إلى الأمير، وأخبره قائلا: «أنظر ماذا أنت مزمع أن تفعل! لأنّ هذا الرجل روماني. «فجاء الأمير وقال له: «قل لي: أنت روماني؟» فقال: «نعم. «فأجاب الأمير: «أمّا أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية». فقال بولس: «أمّا أنا فقد ولدت فيها. «وللوقت تنحّى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه. واختشى الأمير لمّا علم أنّه روماني، ولأنّه قد قيّده)، والأرجح أنه يهودي وقال هو أنه روماني أمام الأمير الروماني خشية التعذيب[1].

وقد كان بولس في صدر حياته من أشدّ أعداء المسيحية، يكيد لها ويُمعن في أذى معتنقيها. وفجأة ومن دون تمهيدات انتقل إلى المسيحية، وفي أعمال الرسل بيان لقصة تحولّه إلى المسيحية: (أعمال الرسل9/3-9: وفي ذهابه حدث أنّه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له: «شاول، شاول! لماذا تضطهدني؟ «فقال: «من أنت يا سيد؟» فقال الرب: «أنا يسوع الذي أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفس مناخس .«فقال وهو مرتعد ومتحيّر: «يارب، ماذا تريد أن أفعل؟» فقال له الرب: «قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل. «وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين، يسمعون الصوت ولا ينظرون

[1] ـ محمد أبوزهرة، مرجع سابق، ص143ـ144.

أحدا. فنهض شاول عن الأرض، وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحدا. فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق. وكان ثلاثة أيام لا يبصر، فلم يأكل ولم يشرب) تأتي قصة رؤيته ليسوع الذي أنَبه على عداءه وبيّن له ما يفعله بعد دخوله المسيحية. ونظرا للجهد الكبير الذي بذله بولس في رحلاته، شهد له برنابا (وهو أحد رسل يسوع) الذي اصطحبه بولس في رحلاته، إلى أن افترقا بعد خلاف وقع بينهما[1].

ويتعجب محمد أبوزهرة أنّ أعمال الرسل، لم يذكر المصدر الذي تلقّى عنه بولس مبادئ المسيحية، التي أخذ يبشّر بها ودوّنها في رسائله الأربعة عشر (وهي: رسالة أهل رومية، وكورنتس الأولى والثانية، وغلاطية وأفسس، وفليبي وكولوسي، وتسالونيكي الأولى والثانية، وتيموثاوس الأولى والثانية، وتيطس وفيلمون، والعبرانيين)، ويعتقد أبوزهرة أنّهم أغفلوا المصدر الذي أخذ عنه، لاعتقادهم أنّه بتحوّله إلى المسيحية، انتقل من مرتبة الكافر إلى مرتبة الرسول في المسيحية، وصار ملهما ينطق بالوحي، فلم يعد في حاجة إلى الدراسة والتعلم. أخذ بعدها في الطواف بين الأقاليم ينشئ الكنائس، ويقوم بالدّعاية ويلقي الخطب ويرسل الرسائل حتى أصبحت تعتبر الرسائل التعليمية. وقالوا أنّه قُتل في اضطهاد نيرون(الذي أحرق روما) سنة 66 أو67م على خلاف بينهم في ذلك. فبولس وبهذه الصفات التي امتاز بها وقدراته البارعة استطاع أن يصبح محور الدعاة للمسيحية وقطبهم، وتمكّن من فرض ما ارتآه على المسيحيين[2].

أمّا غارودي فيلاحظ تأكيد بولس في رسائله على انتمائه اليهودي، فهو لا يَعتدُّ بغير الناموس اليهودي وكأنّه ليس هناك ناموس أخر (رومية21/3 مثلا: وأمّا الآن فقد ظهر بر الله بدون النّاموس، مشهودا له من النّاموس والأنبياء)، ويُدرج نفسه في

[1] ـ المرجع السابق، ص145ـ147.

[2] ـ المرجع نفسه، ص147ـ148.

الذرية من أسباط بني إسرائيل حين يقول في أحد رسائله: (تيموثاوس2: 3/1: إنّي أشكر الله الذي أعبده من أجدادي بضمير طاهر...). [1]

ويستغرب غارودي أنّ بولس يُسمّي رسائله بقوله: "إنجيلي"، ليقف بعدها مع أهمّ نقطة في تلك الرسائل، وهي أنّ هذه الرسائل وبحسب تفسير معظم الشرّاح المعاصرين الكاثوليك أو البروتستانت، كُتبت قبل الأناجيل الأربعة المتوافقة بخمسة عشر سنة، التي يعتبر أقدمها (إنجيل مرقس). ومن ثمَّ فإنّ بولس لم يكن شارحا للرسل، شهود يسوع وأصحاب الأناجيل، لكنّه كان بسبب عبقريته الصوفية، وصرامة لاهوته المنهجية، وموهبته كمنظّم للجماعات، كان الملهم لتفسيرات أقوال يسوع، وأفعاله وحياته أكثر من تلاميذه الذين قاسموه إياها[2].

ويذهب غارودي إلى أنّه رغم الصورة التي رسمها المفسّرون المسيحيون منذ القرن (17م) ووضحوا فيها ترتيب كتابة الرسائل والأناجيل وما حدث بينها من تأثير وتأثر، فالكنيسة بقيت تُضفي نوعا من الغموض على التساؤلات والمستجدات، عن الترتيب الزمني لكتابة الرسائل والأناجيل، فهي تتجنب القول بأن تدوين رسائل بولس سبق تدوين الأناجيل الأربعة المقدّسة. والتسلسل التاريخي الذي يتفق عليه اليوم المفسرون المسيحيون، هو أنّ رسائل بولس كُتبت أولا (وترتيبها هو: رسائل بولس الأولى إلى تسالونيكي عام50م، رسائل بولس إلى رومية، كورونثوس وتسالونيكي الثانية عام57م، رسائل بولس الأخيرة عام 63م) ويأتي بعدها أول الأناجيل (إنجيل مرقس عام 64م) [3].

ويرى غارودي أنهّ منذ بداية الحديث في الرسائل، ينتحل بولس شخصية يسوع فيقول في رسالته: (كورنتوس2: 3/13: مادمتم تطلبون برهانا على أنّ المسيح يتكلم

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص174.
[2] ـ المصدر نفسه، ص160ـ161.
[3] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص73.

فيَّ)*. وبعد أن رأى السيد المسيح، الذي رُفع إلى السماء، لما كان بولس في طريقه إلى دمشق، أَعلن بعدها نفسه رسولا. إلا أنّ بولس وتلاميذه وصفوا هذه الرؤية بطرق مختلفة، فهي عند لوقا في (سفر أعمال الرسل، رؤيا سماوية (19/26: لم أكن معاندا للرؤيا السماوية)، وكتب عنها بولس أنّها إعلان من يسوع، كما ورد في رسالته (غلاطية1/12-11: وأُعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به، أنه ليس بحسب إنسان. لأنّي لم أقبله من عند إنسان ولا علمته. بل بإعلان يسوع المسيح)، أمّا في رسالته إلى فليبي فيجعل تلك الرؤية كمعرفة (فليبي3/8-11: بل إنّي أحسب كل شيء أيضا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح....)[1]. فكانت هذه وقفة غارودي مع الاختلاف حول هذه المسألة حتى بين رسائل بولس نفسها.

وانطلاقا من قراءة ساذجة كما يسمّيها غارودي لرسائل بولس، ويعتبرها قراءة بعينين جديدتين، لا تستوردان ما سبق من الشرح خلال عشرين قرنا ولا تتأثر به، تلك القراءة جعلت قناعات غارودي تنقلب تجاهها، فراح يتساءل: لماذا لا يستشهد بولس بكلمات يسوع وأفعاله؟ أهي قليلة الأهمية؟ وكأنّ وجود يسوع لم يبدأ إلا بعد موته وقيامته، فجعلها بولس العقيدة الأهم. وفي المقابل يجد غارودي أن في رسائل بولس أكثر من 200 استشهاد من العهد القديم، تُعيد لنا صورة المسيا (المسيح المخلص اليهودي). ويتساءل غارودي: أم أنّ يسوع لم يحمل شيئاً جديدا بالنسبة للعهد القديم؟ وكان يمثل سيناريو مكتوب قبله؟ ثم إذا كان حقا يريد حمل رسالة يسوع، لماذا تأخر بولس ثلاث سنوات ليستعلم عن حياة يسوع من تلاميذه الشهود على ذلك؟[2].

ويجد غارودي أنه على العكس، فإن بولس يفتخر بذلك ويضع نفسه فوقهم، وهو ما ورد في رسالته (غلاطية 1/15-19: ولكن لمّا سر الله الذي أفرزني من بطن أمي،

* ـ (إذ أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلم في الذي ليس ضعيفا لكم بل قوي فيكم)

[1] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص75ـ76.

[2] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص161.

ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه فيّ لأبشر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحما ودما ولا صعدت إلى أورشليم، إلى الرُسل الذين قبلي، بل انطلقت إلى العربية، ثم رجعت أيضا إلى دمشق. ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس، فمكثت عنده خمسة عشر يوما. ولكنني لم أرى غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب)[1].

كما يستغرب غارودي أنّ بولس لا يتحدث عن العمل الرسولي للتلاميذ الشهود، إلا ليستحضر نزاعاته معهم. والأغرب أنّ بولس على يقين بأنّه وحده المؤتمن على الرسالة، حتى أنّه لم يعد إلى القدس إلا بعد 14سنة ليكرز (أي يبشر) بالإنجيل الذي عرضه على الرسل، فوجدهم على غير طريق الحق للإنجيل كما يتصوّره بولس، فانتقد بطرس بحِدّة واعتبره انتهازيا، وانتهى ذلك الخلاف بتسوية بينهما، يؤتمن فيها بطرس على ما يسمّيه إنجيل الختان، ويؤتمن بولس على إنجيل العُزلة[2].

الذي قال عنه بولس في (غلاطية1/1-14: بولس، رسول لا من النّاس ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح والله الأب الذي أقامه من الأموات، وجميع الإخوة الذين معي، إلى كنائس غلاطية نعمة لكم وسلام من الله الأب، ومن ربنا يسوع المسيح، الذي بذل نفسه لأجل خطايانا، لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا، الذي له المجد إلى أبد الآبدين. آمين. إنّي أتعجب أنّكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ! ليس هو آخر، غير أنّه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يُحولوا إنجيل المسيح. ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم، فليكن اناثيما * ! كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضا: إن كان أحد يبشركم بغير ما قَبلتُم، فليكن اناثيما! أفأستعطف الآن النّاس أم الله؟ أم أطلب أن أرضي الناس؟ فلو كنت بعد أرضي الناس، لم أكن عبدا للمسيح. وأعرفكم أيّها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به، أنّه ليس بحسب إنسان. لأنّي لم أقبله من عند إنسان ولا علمته. بل

[1] ـ المصدر السابق، ص162.

[2] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص162.

* ـ إناثيما: أي محروما وملعونا.

بإعلان يسوع المسيح فإنّكم سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية، أنّي كنت اضطهد كنيسة الله بإفراط وأُتلفها وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات أبائي).

ومن خلال هذه القراءة الجديدة لرسائل بولس، وصل غارودي إلى أنّ هناك تصوران عن الله في تاريخ المسيحية، لا تَوافُق بينهما: فإمّا أنّ الله ما كَشفت عنه حياة يسوع وموته. وإمّا أنّنا لا نعرف عن يسوع إلا من خلال ما بشّر به العهد القديم. وإظافة إلى ذلك الغموض في رسائل بولس، يقف غارودي على تناقض واضح عندما يطرد بولس الخطأة في (أفسس5/5: كل زان أو نجس أو طماع ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله) * في حين أنّ يسوع كان قد قرّبهم منه وجعلهم السبّاقين إلى ملكوت الله[1]. أي أن دعوة بولس تخالف ما دعى إليه المسيح عليه السلام.

وعليه يَعتبر غارودي أنّ بولس لا يحمل إنجيل يسوع بل إنجيله. بولس الذي يجده غارودي داعية بعقلية منظّمة، استطاع بواسطتها إنشاء كنائس في كبرى المراكز في الشرق الأوسط مثل أنطاكيا وأفسس. وهو كذلك ذا ثقافة يهودية يونانية واسعة، مكّنته من نشر إنجيله في كل الشتات اليهودي. هذا الإنجيل لم يكن إنجيل يسوع، بل كان إنجيل الربّ، كما كان يسميه بولس. الذي أثبت في خطابه إلى أهل أثينا تمكّنه وفهمه للثقافة اليونانية. وأظهر فيه قوة وبراعة كبيرة في مزج وتطعيم المفاهيم والمعتقدات اليهودية والتاريخية بالثقافة اليونانية. فقد تحدث في هذا الخطاب عن الشريعة اليونانية ولم يتحدث إلا في نهايته على موت يسوع وقيامته، عندما قاطعه جموع مستمعيه مستهزئين به. فبولس يُسمّي تعاليمه (إنجيلي) ولا يسميّه انجيل يسوع وهو ما ورد مثلا في رسالته إلى رومية (16/2: في اليوم الذي فيه يُدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح). وهو يُفضّل أن يقول إنجيل الربّ، ويرى غارودي أنّه

* ـ (... كل زان أو نجس أو طماع، الذي هو عابد للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله)

[1] ـ المصدر السابق، ص 171.

يقصد به الربّ على التّصور الإسرائيلي، ولذلك يجد غارودي أنّ بولس لا يهتم لحياة يسوع ولا لموته، لأنّها لا تتفق مع آمال الشعب اليهودي، الذي ينتظر مخلصا يكون مَلِكا على طريقة داود[1].

وفي هذا الإنجيل الذي حمله بولس ويسميه إنجيل الله، نجد صورة المسيح الداودي، الذي يُترجم إلى اليونانية بكلمة: "كريستوس"، ويُحرّم ويلعن بولس كل من خالف هذا الإنجيل ويعتبره آثما، وهو ما ورد في (غلاطية8/1: ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم، فليكن اناثيما). حتى أنه لا يكرز (أي لا يبشر) بعد رسل آخرين، وهو ما ورد في (رومية20/15: ولكن كنت محترصا أن أبشّر هكذا: ليس حيث سُمي المسيح، لئلا أبني على أساس لآخر). وهو يسمي نفسه السقط وأصغر الرسل وآخر الكل (كورنثوس1: 8/15 - 9: وأخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا. لأني أصغر الرسل) كما أنّه تعب أكثر من جميع الرسل (كورنثوس10/15: بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي). كيف لا وهو الذي عرف يسوع باتصال مباشر (لأنه رأى المسيح في اليقظة بعد رفعه)، ويؤكد بولس أن الله أعلن ابنه فيه، فقال في (غلاطيه1/15-16: ولكن لما سر الله الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه فيّ لأبشّر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحما ودما)، حتى أن ذلك الإعلان والتكليف الإلهي، لم يكن في حياة يسوع التاريخية بل بعد قيامته. ويؤكد كذلك أنه تسلم هذه البشارة بحسب الروح لا بحسب الجسد (كورنتوس2: 16/5: إذاً نحن من الآن لا نعرف أحدا حسب الجسد. وإن كنّا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد)[2].

ويسوع بحسب بولس هو مسيح اليهود، الذي سيُحقّق مواعيد الآباء مثل داود، وهو ما ورد في رسالته إلى رومية (8/15: إنّ يسوع المسيح قد صار خادم الختان،

[1] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص84ـ87.
[2] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص164ـ166.

من أجل صدق الله، حتى يثبت مواعيد الآباء) وهنا يقف غارودي على جوهر الإنجيل الذي يُبشّر به بولس، فيجده مخالفا لما قاله وما فعله يسوع المسيح. فالمسيح عند بولس جاء ليكون هو ابن داود، وسيعود بكل صفات وقدرة رب الجيوش وجميع الآلهة القديمة، جاعلا جميع الممالك تحت قدميه. ويؤكد بولس أنّ هذه ليست استعارة وتخيل، بل سيكون ذلك تطبيقا عمليا، وأن ذلك سيحدث فعلا. كما أنه على عكس دعوة المسيح تؤكد رسائل بولس على شريعة الجزاء بالمثل المعروفة في العهد القديم، فقال بولس في رسالته (تسالونيكي2: 6/1: إذ هو عادل عند الله إنّ الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقا) [1].

حتى القيامة يجدها غارودي بالنسبة لبولس، لا تتجلى إلا لتؤكد أنّ قيامة كل واحد منهم تحتاج إلى المنح والنعمة الإلهية، وأنها معجزة دالة على قُدرة الله. فكما أنّ المسيح حيّ بقُدرة الله، فنحن سنكون أيضا أحياء معه بقُدرة الله. لذلك قال بولس في (كورنثوس2: 4/13: لأنه وإن كان قد صُلب من ضُعف، لكنّه حي بقوة الله. فنحن أيضا ضُعفاء فيه لكننا سنحيا معه بقوة الله ...). فرسائل بولس تجعل يسوع يقول عكس ما كان يقوله ويفعله في حياته. ومع بولس تحوّل يسوع الذي عُرف كنجار في النّاصرة، إلى ملك وإله قادر على إنجاز المعجزات[2].

كما أن بولس يقول أن موت المسيح قد ابتلعه النصر، فموته كان كفارة، فكَسرت شوكتَه الخطيئة، فقد جاء في (كورنتوس1: 55/15: أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتُك يا هاوية؟). كما تحولت قيامة المسيح إلى نصر على ممالك الأرض، التي خضعت جميعها للمسيح وكان مصيرها الدمار، فقد ورد في (كورنتوس1: 24/15-25: وبعد ذلك النهاية، متى سلم الملك لله الأب، متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة. لأنّه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه) ويؤكد بولس ذلك بما

[1] ـ المصدر السابق، ص166ـ167.

[2] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص88.

جاء في (المزمور110: ... الرب عن يمينك يحطّم في يوم رجزه مُلوكا. يُدين بين الأمم. ملأ جثثا أرضا واسعة، سحق رؤوسها ...). ومن أجل أن يجعل بولس من تلك القيامة معجزة، دالة على قدرة الله، أضفى عليها حدث جلل مماثل لرؤية حزقيال الوارد في العهد القديم (حزقيال37: 1-14). إلا أن بولس هنا يتحدث بحذر عن الجسم الروحاني قائلا في *: (كورنتس 1: 4/10: وجميعهم شربوا شرابا واحدا روحيا، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح)[1]. والملاحظ أن منهج بولس هذا سلكه المبشرون المسيحيين وآباء الكنيسة.

ويتعجب غارودي من الفكر الديني المسيحي، الذي يُؤسس لهيمنة الحتمية الغيبية، فيقول: "... ليصبح كل ما يتعلق بالقيامة يأتي من خارج العالم البشري، تطبيقا لمرسوم إلهي أبدي، لا يحدث سوى مرة واحدة بفضل هذه المعجزة! معجزة القُدرة". ويؤكد ذلك عند كلامه عن علاقة فكر بولس بالمؤسسة الدينية الرسمية في الغرب قائلا: "إن الكنيسة اليهودية المسيحية، التي نَسب لها بولس ميراث العهد القديم، ستأخذ إذن على عاتقها مسؤولية جمع الأساطير والعقائد المتناقضة والملفّقة، التي تشكّل ماضيها الوهمي"[2]. فقراءة غارودي تذهب إلى أن كل ما هنالك من جبرية وغياب لحرية الاختيار وإلغاء الإرادة البشرية في المسيحية هي من آثار الفكر والمعتقدات اليهودية.

ومن خلال ما ورد في رسائل بولس يتساءل غارودي، هل حياة يسوع وموته مُبرمجة من الله مع جميع مفردات العهد القديم وروحه؟، فالملاحظ أن بولس يُعيد استخدام تلك المفردات: (الخادم المتألم، الفدية، الخلاص، التكفير، المسّيا). كما أن

* ـ ذكر غارودي في كتابه (المصدر السابق، ص90) (كورنتس1: 44/10: يُدفن جسما بشرياً ويقوم جسما روحانياً. وإذا كان هناك جسم بشري، فهناك أيضاً جسم روحاني) إلا أنه لا وجود لفقرة رقمها 44 في الإصحاح 10، فالأرجح أنّ المقصود هو (رسالة كورنتس 1: 4/10: وجميعهم شربوا شرابا واحدا روحيا، لأنّهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح).

[1] ـ المصدر نفسه، ص 89ـ90.

[2] ـ المصدر نفسه، ص 91.

رسائل بولس تُصور لنا بأن المسيح سُلّم للصلب بسبب خطايا الناس، وقام من بين الأموات لتبريرها ومن أجل تكفيرها وخلاص البشرية، فقد قال بولس في (رومية25/4: الذي سُلّم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا). ويتسائل غارودي: "هل المسيح هو الذي يُكفر عن خطيئة آدم، أم أن هناك إعلان أخر عبر أفعال يسوع وأقواله وحياته تُؤسس لصورة جديدة جذرية للإنسان والجماعة؟" ثم يُجيب غارودي: "إن هذه الترجمة للاهوت اليهودي إلى اللغة اليونانية، التي قام بها بولس لا تحل المشكلة؟". فما فعله بولس في رأي غارودي ليس إلا تجسيد لصلات العهد الجديد بالعهد القديم[1].

حتى أن بولس عند تطرّقه لعقيدة الفداء في (كورنتوس1: 3/15-4: سَلمت إليكم قبل كل شيء ما تلقيته، وهو أنّ المسيح مات من أجل خطايانا كما جاء في الكتب، وأنّه دفن وقام في اليوم الثالث كما جاء في الكتب) *. تكررت في كل آية عبارة "كما جاء في الكتب" التي يقصد بها بولس العهد القديم، الشيء الذي يجعل غارودي يُسجل حرص بولس الشديد على إلحاق إسم يسوع بالشريعة اليهودية. وعليه فهو يرى أنه منذ تلك اللحظة يُصبح ذكر حياة يسوع شيئاً لا جدوى منه[2]. لأن رسالة يسوع المسيح، حرفها بولس لما ربطها بالعهد القديم وألحقها بالشريعة اليهودية ومعتقداتها.

ويعتبر بولس هو من جاء بفكرة العهد القديم، يأتي بعده عهد جديد يلحق به ويليه (كورنتوس2: 14/3: بل أغلظت أذهانهم لأنّه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باق غير منكشف الذي يبطل في المسيح)[3]. وهكذا تجذر مذهب

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص181ـ182.

*ـ (فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضا: إن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب).

[2] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص77ـ78.

[3] ـ محمد بن علي بن محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، مرجع سابق، ص59.

بولس في التقاليد المسيحية، وتطورت فكرة الشعب المختار فأصبحت تضم كل الذين قبلوا أن يكون يسوع هو المسيا سواء كانوا من اليهود الذين تنصروا أو غيرهم.

وفي مذهب بولس هذا يجد غارودي أن الخلاص لا يتعلق بطاعة الشريعة، بل يتعلق بالإيمان بالطابع المسيحي ليسوع الذي سُمي منذ ذلك الحين: يسوع المسيح. وذلك مكنه من إدراج من ليسوا يهودا، مع من يسمّهم بولس البقية الأمينة لله. وبهذا ظهر مذهب التبرير بالإيمان (أي أنّ الإيمان بالمسيحية يكفي وحده للخلاص دون عمل صالح)، ويستندون في ذلك إلى أن إبراهيم عليه السلام كان آراميا، جاء قبل موسى فهو ليس يهوديا، فلم يعرف شريعة موسى ولم يرجع إليها، فالإيمان وحده هو الذي منحه الخلاص. ويُشير غارودي إلى أن الباحث جيرمياس يجد أن فكرة هذا المذهب مذكورة في مزمور موجود في كتاب الانضباط في مخطوط قمران*.[1]

ويرى غارودي أنّ بولس يعتبر رأيه وروايته هي الصحيحة، وبها سيُدين الله سرائر الناس، فهو يقول في (رومية16/2: في اليوم الذي فيه يُدين الله سرائر الناس حسب انجيلي بيسوع المسيح). وفي إشارة منه إلى ما في رسائل بولس من تناقض يجد في (تيموثاوس2: 1/4: أنا أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح، العتيد أن يدين الأحياء والأموات، عند ظهوره وملكوته) ففي هذه الفقرة ما يخالف الفكرة السابقة حيث أن يسوع المسيح هو الذي سيأتي ليُدين الأحياء والأموات. وكل الالتباسات سيتجاوزها بولس، حينما يعتبر أن الناموس لعب دوراً تربويا، حتى مجيء المسيح، ليحل محله التبرير بالإيمان. وهو يعتبر أن غاية الناموس هي التمهيد للمسيح (رومية4/10: لأن غاية الناموس هي: المسيح للبر لكل من يؤمن). وبقي التباس مُهم يَطلب له غارودي مع الباحث بانبرج وغربيين آخرين توضيحا، ذلك أنّ يسوع قد رفضه اليهود باسم الناموس باعتباره مجدفاً، فهل كان يسوع مجدفا أم أن الناموس قد

* ـ اكتشفت هذه المخطوطات في كهوف بجبال قمران في البحر الميت سنة 1947م، وهي تنسب لجماعة الايسينيين، ينظر: غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص176.

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص167، 168.

أُلغي؟ [1]. فغارودي هنا يطالب المسيحيين بالفصل في الأمر: فإما أن المسيح وهو محور المسيحية وعمادها هو مُضل، وإما أن الشريعة اليهودية ألغيت واستبدلت برسالة جديدة بشر بها المسيح عليه السلام.

كما يذكر غارودي كذلك بأن بولس هو أول من أطلق على جماعة المؤمنين بالمسيحية اسم الكنيسة (كورنثوس الأولى12/14: هكذا أنتم أيضا، إذ أنكم غيورون للمواهب الروحية، أطلبوا لأجل بنيان الكنيسة أن تزدادوا)، أصبحت هذه الكنيسة حسب ما تقوله تمثل البقية من المؤمنين الذين نجاهم الرب مع نوح في السفينة. تلك البقية الطاهرة التي خرجت من جذع يسي* مع داود، كما ورد في العهد القديم في سفر اشعيا(11/1-4: ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب. ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه. بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالانصاف لبائسي الأرض ويضرب الأرض بقضيب فمه ويُميت المنافق بنفخة شفتيه) هذه البقية التي يُنجيها الله في كل مرحلة من مراحل تاريخ الخلاص، حتى تستفيد من الاختيار الإلهي بالنعمة (رومية11/5: فكذلك في الزمان الحاضر أيضا قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة)[2].

[1] ـ المصدر السابق، ص171، 175.

*ـ جاء في كتاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس(مصدر سابق) ص1396: ويفرخ برعم من جذع يسى وينبت غصن جذعه، ويستقر عليه روح الرب، روح الحكمة والفطنة، روح المشورة والقوة، روح معرفة الرب ومخافته، وتكون مسرة الرب في تقوى الرب، ولا يقضي بحسب ما تشهد عيناه، ولا يحكم بمقتضى ما تسمع أذناه، إنما يقضي بعدل للمساكين، ويحكم بإنصاف لبائسي الأرض، ويعاقب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافقين بنفخة شفتيه، لأنه سيرتد البر ويتمنطق بالأمانة.

[2] ـ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص83، 93.

وانطلاقا من بولس ومذهبه قام القديس أوغسطين* وأتباعه حسب غارودي، بالدمج بين مدينة الله والكنيسة التي أصبحت تبشر بهذه المدينة، واعتبروا الكنيسة صورة أولية لها، وأن الشعب المختار من آمن بها. وهو ما أدّى إلى ظهور مجموعة مشوهة من أنظمة الحكم الثيوقراطية، التي تدّعي امتداد سلطتها من الله، مهما كان لونها وأصحابها ومذهبهم ومهما كان فعلهم. وأصبحوا يعتبرون أنفسهم ممثلي السلطة الإلهية، ونجمت عن هذا الفكر المذابح والحروب الدينية ومحاكم التفتيش وألوان الاستعمار والتمييز العنصري[1].

ولهذا يَعتبر غارودي الأصولية الأولى هي النزعة الاستعمارية للدول الغربية، التي بررت غزواتها وحروبها، بأنّ لها امتيازها كشعب مختار، وعليه فلها التوسع لدينها الذي كانت تعدّه فوق جميع الأديان. وبعد تراجع كنائسها ظلت تعد نفسها مركزا للعالم والخالقة الوحيدة للقيم، وراحت منذ القرن 19م تفرض على الشعوب ثقافتها التقنية والتجارية التي سمتها الحداثة. أما بقية الأصوليات التي يُحذر منها الغرب أو ما يسمّونه (الثورة الثقافية الصينية والتطرف الإسلامي) يعتبرها غارودي ردود أفعال على تلك الأصولية الاستعمارية الغربية، لحماية النفس من التبعية ولإنقاذ هويتها [2].

وعند استقراء غارودي لمسار تأليه يسوع وجد أن التيار الذي كان يسعى إلى إحلال يسوع مكان الرب الخالق لكل شيء، يجد أن بدأ مع بولس الذي يقول في (كورنتوس1: 6/8: فلنا نحن إله واحد وهو الآب الذي منه كل شيء وإليه نرجع،

* ـ أوغسطين (354م ـ 430م) من سوق أهراس ـ الجزائر، وهو من القديسين الكبار في المسيحية، لدفاعه عن العقائد الكاثوليكية في مؤلفاته المتميزة، منها مدينة الله والاعترافات، ومن خلالها تميزت آراءه وتبلورت مع أتباعه فيما سمي بالمذهب الأوغسطيني. ينظر: بشير بوساحة، التجربة الروحية بين القديس أوغسطين والامام أبي حامد الغزالي ودورها في مواجهة المادية المعاصرة، رسالة دكتوراه بجامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة ـ الجزائر، 2017، ص 253ـ 260.

[1] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص150.

[2] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص37.

ورب واحد وهو يسوع المسيح الذي به كل شيء وبهي نحيا) * فقد بدأ هنا تقسيم المهام. وفي المقابل يجد غارودي أن منطلق فكر الراهب آريوس في بداية القرن 4م، هو الحفاظ على وحدة الذات الإلهية، والذي أخذه مما يقوله بولس على لسان المسيح: (الآب أعظم مني). فقد فتحت رسائل بولس المجال لكل الآراء، بتناقض ما قاله بولس فيها، وبالازدواجية في الآراء التي قال بها[1].

فبولس يقول في (كورنتوس1: 45/15: هكذا مكتوب أيضا: صار آدم، الإنسان الأول، نفسا حية، وآدم الأخير روحا مُحييا) ويقول في (كورنتوس2: 3/11: ولكنّني أخاف أنّه كما خدعت الحيّة حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح) فبولس نفسه يسمّي يسوع آدم الجديد، أي أنه إنسان ولا علاقة له بالالوهية. وفي المقابل نجد بولس يعود إلى تأليه المسيح عندما يقول في (كولسي2/9: إذ في المسيح يحلّ كل ملء اللاهوت جسدياً)**. وهنا نجد أن غارودي يوافق على ما يقوله القديس إيريناوس: "إن الابن يجعل ما لا نستطيع أن نراه من الآب منظوراً"[2]. وهذه الفكرة تندرج ضمن عقيدة البنوة في المسيحية. الا أن منهم من يتكلم على بنوة حقيقية ومنهم من يقول بأن المقصود هي بنوة مجازية، شبية بكون إبراهيم عليه السلام خليل الله.

وانطلاقا من قراءته التأويلية نجد أنّ غارودي يؤول ما يقوله بولس في (كورنتوس2: 19/5: إن الله كان في المسيح) فيعتبر أنّ الله كان في المسيح مصالحا العالم مع نفسه، غير حاسب لهم خطاياهم وواضعا فينا كلمة المصالحة. وهذه الفكرة يفسّر بها غارودي التجربة الثالوثية ويربطها بمشروعه البديل قائلا: "ففي البعث تجلّى الله الآب تماما من خلال تضحية الإبن، وأنّ الروح التي فيهما راحت تَحي بقوة

* ـ (لكن لنا إله واحد: الآب الذي منه جميع الأشياء، ونحن له. ورب واحد: يسوع المسيح، الذي به جميع الأشياء، ونحن به)

[1] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص94.

[2] غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص30ـ32

مزلزلة، إلى حد أنّ شجاعة التضحية قد شاعت، وانتقلت إلى آلاف الشهود والشهداء، فكون الله في المسيح كحب يمنح نفسه، كأمل ينتشر مع اليقين بأنّ كل شيء يكون ممكنا، كإيمان يقتضي بأن نضع حياتنا بأكملها كمجازفة في هذا الرهان الحيوي. وهذا الرّهان الذي نقوم به عند الإيمان بالبعث، يُعبر عن اليقين الجامح بأنّ ما من فشل يتعذر إصلاحه ويكون نهائيا. لم يعد في وسعي أبدا أن أقول: كل شيء انتهى!". كما يؤول غارودي ما ورد في (العبرانيين1/1-2: الله بعدما كلّم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثا لكل شيء، الذي به أيضا عمل العالمين)* فيذهب غارودي إلى القول بأن يسوع نبي[1]. فقراءة غارودي تجعله يعتبر أنه إذا كان هناك كلام عن البنوة فهي بنوة مجازية.

كما سّجل غارودي استحضار بولس في رسائله، للرؤية التقليدية اليهودية لله القوي، القادر، الصانع، وصاحب التوجيهات الفوقية لحياة البشر والمجتمعات. ولا يعتمد في ذلك على القانون اليهودي ولكن هذه المرة على فكرة الغفران المسيحي، فيعتبر غارودي المتمسك بالفكر الماركسي في قراءته للكتاب المقدس، أنه بهذه الإرادة الخارجية عن إرادة الإنسان، تم إلغاء مسؤولية الإنسان وأصبح لا جدوى من عمله. وهو ما يجد غارودي أن بولس يقوله في رسالته إلى أفسس (8/2: لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله) *. ثم يقول غارودي معلّقاً على هذه الفقرة من رسالة أفسس: "ليعود جدار القدر الذي يحدّ تحرك الإنسان"[2]. وهو لا يمر هنا دون أن يُشير إلى أثر فكرة تدخل الإرادة الخارجية، في استمرار الخضوع للأنظمة المسيطرة، واعتبارها قدرا إلهيا، وأن ذلك يؤدي إلى العُزوف عن مساعي التغيير والإصلاح.

* ـ (الله، بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديما، بأنواع وطرق كثيرة، [2] كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثا لكل شيء، الذي به أيضا عمل العالمين)

[1] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص195، 196، 289.

* ـ (لأنكم بالنعمة مخلصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله)

[2] ـ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص51.

ولذلك يذهب غارودي إلى أنّ صفات القُدرة هذه أُلحقت بيسوع، فأظهره بولس كإله لا كإنسان. وهو ما قاله في (رومية 16/2: في اليوم الذي فيه يُدين الله سرائر الناس حسب انجيلي بيسوع المسيح). وفي موضع آخر يؤول غارودي الفقرة المذكوره سابقاً (أفسس8/2: لأنكم بالنعمة مخلصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله) بقوله: "إن هذه المجانية من الله (فيما يتعلق بالخلاص) لا تستبعد بتاتا الجهد الإنساني، دون أن نقع من أجل ذلك في مبالغات بيلاجيوس* حول الاعتداد بالاكتفاء الإنساني الذي يستبعد كل تعالي إلهي"[1].

ويعتبر غارودي أن هذا المبدأ (ألا وهو العفو الإلهي والنعمة الالهية) سيضل دائما هو السلطة التعسفية المطلقة التي تسيطر على الإنسان، ولن يستطيع هذا الأخير التملص من مسؤوليته، حتى وإن لم يكن هناك ناموس إلهي (أي شريعة إلهية)، يسيطر عليه ويهدده بخطاياه ونواهيه. وقد ورد هذا المفهوم في كتاب التعاليم المسيحي لعام 1992م للبابا يوحنا بولس الثاني، بالنص الذي ذُكر في مجمع تورنتو (1563-1545م) والذي يستند إلى رسالة بولس لأهل فيليبي13/2- 14 (لأن الله يعمل فيكم ليجعلكم راغبين وقادرين على إرضائه. افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة). وهو ما يجده كذلك في رسالة بولس لأهل رومية6/11 (فإذا كان الاختيار بالنعمة، فما هو إذن بالأعمال، وإلا لما بقيت النعمة)*. فهذا العفو هو نعمة ممنوحة من الرب ليخلص مؤمنيه كما يقول بولس في أفسس8/2 المذكورة سابقا[2].

* ـ بيلاجيوس، وهو صاحب مذهب جبري في المسيحية يرى بأن الانسان مسيّر لا خيار له. ينظر: بشير بوساحة، التجربة الروحية بين القديس أوغسطين والامام أبي حامد الغزالي ودورها في مواجهة المادية المعاصرة، مرجع سابق، ص345.

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص183.

* (فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال، وإلا فليست النعمة بعد نعمة. وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة، وإلا فالعمل لا يكون بعد عملا)

[2] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص92.

ويذهب غارودي إلى أن تلك المماثلة، بين يسوع المسيح ومسيا إسرائيل (أي المسيح المخلص في الفكر اليهود) تؤدي بالضرورة إلى لغة مزدوجة عند بولس ثم الكنيسة. فعندما يعلن بولس في رسالته (رومية12/10: فليس بعدُ يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر ولا أنثى)* فإنّ تعليمه العملي والازدواجية التي مارسها مع المؤمنين بفكره، تنفي هذه العبارة الرفيعة، وفي (رومية3/9-5: فإنّي كنت أود لو أكون أنا نفسي محروما من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد، الذين هم اسرائيليون، ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد) نجد التأكيد الأكثر جذرية لأفضلية اليهودي على غيره. ثم في (رومية16/1: الذين بينهم أنتم أيضا مدعوو يسوع المسيح) يعود بولس إلى يهوه إله القوة، الذي يستقبل اليهودي أولا، ثم اليوناني بعد ذلك، إذا قبل بالتّصور اليهودي لله، ووافق على إصلاح بولس وفكرته التي تجعل يسوع خاتمة التاريخ، ليُكَون ويبني إسرائيل الحقيقية كما ورد في (رومية5/11: فكذلك في الزمان الحاضر أيضا قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة) [1].

ثم يتسائل غارودي كيف يمكن التوفيق بين المسيح الداودي الجديد الذي يتكلم عنه بولس وبين المسيح في نشيد المحبة البديع (كورنثوس1: 13/1-3: إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبة، فقد صرت نُحاسا يطنّ أو صنجا يرنّ. وإن كانت لي نبوة، وأعلم جميع الأسرار وكل علم، وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكن ليس لي محبة، فلست شيئا. وإن أطعمت كل أموالي، وإن سلمت جسدي حتى احترق، ولكن ليس لي محبة، فلا أنتفع شيئا) فهذه المعاني مخالفة لصفات المسيح الأول الداودي، الذي يكون على صورة داود وبالشراسة التي تصفه بها كُتب العهد القديم، والذي يضع جميع أعداءه بين قدميه، كما ورد في (كورنثوس 1: 25/15: لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه)[2].

* ـ (لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني، لأن ربا واحدا للجميع، غنيا لجميع الذين يدعون به)

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص191.

[2] ـ المصدر نفسه، ص 192.

وعلى غرار شريعة المثل اليهودية التي تبرّر المذابح والثأر في العهد القديم، يجعل بولس المسيح كذلك ينتقم كما جاء في (تسالونيكي2: 1/2-8: ثم نسألكم أيّها الإخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه، أن لا تتزعزعوا سريعا عن ذهنكم، ولا ترتاعوا، لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منّا: أي أنّ يوم المسيح قد حضر. لا يخدعنّكم أحد على طريقة ما، لأنه لا يأتي إن لم يأتي الارتداد أولا، ويستعلن إنسان الخطية، إبن الهلاك، المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلها أو معبودا، حتى أنّه يجلس في هيكل الله كإله، مظهرا نفسه أنّه إله. أمَا تذكرون أني وأنا بعد عندكم، كنت أقول لكم هذا؟ والآن تعلمون ما يحجز حتى يستعلن في وقته. لأنّ سر الإثم الآن يعمل فقط، إلى أن يرفع من الوسط الذي يحجز الآن، وحينئذ سيستعلن الأثيم، الذي الربّ يُبيده بنفخة فمه، ويبطله بظهور مجيئه) فلا يجد غارودي فيما يقوله بولس عن هذا الإله، ما يقوله المسيح في عظات الجبل الواردة في إنجيل متى، إلا على اعتبار المحبة إتماما لشريعة المثل، ويسوع وارثا لداود سيد الحرب، كما جاء في العهد القديم[1].

للإزدواجية عند بولس يجده غارودي، رغم أنه قَبِلَ وصية الرسل (الحواريين) بعد المواجهة التي دارت بينهم في القدس، والتي ذكرها في (غلاطية10/2: أن نذكر الفقراء. وهذا عينُه كنت اعتنيت أن أفعله)* فإنّ لاهوته المنهجي لا يحتوي كما تظهر ملامحه في (رسالته إلى أهل رومية) على كلمة فقير، في حين أن تعاملاته بارزة مع الأغنياء، فهو يطلب منهم التبرعات، ويُشهد لهم بالعطاء، ويخشى عليهم الضيق: كورنتوس2: 1/9)** وقال عنهم في كورنثوس 2: 3/8 (لأنّهم أعطوا حسب الطاقة، أنا أشهد وفوق الطاقة من تلقاء أنفسهم). بل لا يطلب إلا فُضالتهم وأن يدّخروا الباقي لمستقبلهم، فقال عنهم في تيموثاوس1 (19/6: مدّخرين لأنفسهم أساسا حسنا

[1] ـ المصدر السابق، ص193.

* ـ (غير أن نذكر الفقراء. وهذا عينه كنت اعتنيت أن أفعله.)

** ـ (ربما يقصد غارودي كورنثوس(2: 11/9: مستغنين في كل شيء لكل سخاء ينشئ بنا شكرا لله). لأن كورنتوس2: 1/9 تتكلم عن خدمة القديسين، ولا علاقة لها بموضوع الفقراء والاغنياء.

للمستقبل، لكي يُمسكوا بالحياة الأبدية). أمّا عن فقر يسوع الذي يذكره بولس في كورنثيين2 (9/8: فإنّكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنّه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره) فيرى فيه غارودي الفقر الإرادي، الذي أراد به بولس استغناء الفقراء بيسوع المسيح عن غيره[1]. فما يرفضه غارودي هنا هو مدح بولس للأغنياء من ناحية وطلبه من الفقراء أن يبقوا على فقرهم ويرضوا بوضعهم، وأن يكون عزاءهم في ذلك هو المسيح عليه السلام.

وبنفس المنهجية يجد غارودي أن بولس يعلن وبطريقة بارعة، أنّه على العبيد البقاء في عبوديتهم، لأنّهم أحرار للربّ والأحرار عبيد للمسيح (كورنتوس1: 7/21-22: دعيت وأنت عبد فلا يهمك. بل وإن استطعت أن تصير حرّا فاستعملها بالحري. لأن من دعي في الربّ وهو عبد، فهو عتيق الربّ. كذلك أيضا الحرّ المدعو هو عبد للمسيح). ويجد غارودي أن بولس يؤكد على النساء الخضوع لأزواجهم لأن الرجل عنده هو رأس المرأة، كما أنّ المسيح رأس الكنيسة، وهو ما ورد في (أفسس5/22: أيها النساء إخضعن لرجالكن كما للرب) وفي (كولوسي3/18: أيتها النّساء، اِخضعن لرجالكنّ كما يليق في الربّ)، وليس للمرأة أن تتعلم ولا أن تتسلط على الرجل. فالمرأة حسب بولس، وكل امرأة من خلال المرأة الأولى حواء، سبب الخطيئة الأولى، لأنها انخدعت بمكر الشيطان، فأوقعت حتى آدم في المعصية، وهو ما جاء في (تيموثاوس1: 2/12-14: ولكن ليس إذن للمرأة أن تتعلم ولا تتسلط على الرجل، بل تكون في سكوت، لأن آدم جُبل أولا ثم حواء، وآدم لم يغوَ، لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي). وعليها كذلك أن تغطي رأسها، فقد جاء في (كورنتوس1: 6/11: إذ المرأة، إن كانت لا تتغطى، فليُقصّ شعرها. وإن كان قبيحا بالمرأة أن تقص أو تحلق، فلتتغط) وسبب ذلك وهو ما يستغربه غارودي، هو أن عار ذلك

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص166.

الخطأ الذي ارتكبته حواء، يستمر مع كل امرأة إلى الأبد[1]. فأي علاقة منطقية بين الستر المطلوب من المرأة، وبين الخطيئة الأولى التي قد تجد أن بعض النساء لا فكرة لها عنها، ولم تسمع بها أصلا.

وفي وقفة أخرى لغارودي مع موضوع الخضوع والعبودية، رؤية بولس تقوم على أنّ في طاعة العبيد لسادتهم طاعة للمسيح، ويجب عليهم أن تكون تلك الطاعة بخوف وارتعاد وبقلب صادق، فقال في(أفسس5/6: أيها العبيد، أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة، في بساطة قلوبكم كما للمسيح). وقال في (تيطس9/2: والعبيد أن يخضعوا لسادتهم، ويرضوهم في كل شيء، غير مناقضين) فعلى العبيد إذن إرضاء سادتهم في كل شيء وألاّ يكونوا معاندين. كما يجعل بولس تغطية المرأة لرأسها، علامة لخضوعها للرجل، ذلك أن الرجل صورة الله ومجده في رأي بولس. أمّا المرأة فهي مجد الرجل، لأنّ الرجل لم يؤخذ من المرأة بل المرأة أُخذت من الرجل. والرجل لم يوجد لأجل المرأة، بل المرأة وجدت لأجل الرجل، وهو ما قاله بولس في كونثوس1 (10-7/11: فإنّ الرجل لا ينبغي أن يغطّي رأسه لكونه صورة الله ومجده. وأمّا المرأة فهي مجد الرجل. لأنّ الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل. ولأنّ الرجل لم يخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل. لهذا ينبغي للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها، من أجل الملائكة). حتى أنه إذا كانت المرأة لا تغطي رأسها فليُقص شعرها (كورنثوس1: 6/11: إذ المراة، إن كانت لا تتغطى، فليقص شعرها. وإن كان قبيحا بالمراة أن تقص أو تحلق، فلتتغط) [2].

وعلى غرار رؤية بولس للمرأة جاءت مواقف الكنيسة (بالأخص الكنيسة الكاثوليكية الغربية) فأخذت بتلك الروية، التي لا تمت إلى الإنجيل بصلة، بل يربطها غارودي كلّيا بالأحكام المسبقة لمجتمع ذكوري. الذكور فيه هم أصحاب كل قرار،

[1] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص86.
[2] ـ غارودي، كيف نصنع المستقبل، مصدر سابق، ص243ـ244.

يُستبعد فيه كل رأي ومطلب للمرأة، كما لو كانت هذه المرأة تُثقلها دونية ماورائية حقيقية، خلقت بها. أما مقولة بولس في (غلاطية3/27-28: لم يعد يهودي ولا يوناني ولا عبد ولا رجل حر ولا رجل ولا امرأة، فكلكم لا تؤلفون إلا واحد مع يسوع)*. هذه العبارة تُناقضها كل كتابات بولس الأخرى ممّا سبق ذكره. وباسم هذه السفسطائية كما يسمّيها غارودي، وبسبب تلك الدونية عند المرأة أبقى بولس على تبتّل الكهنة، التي كان أصلها هو الحرص الخسيس على ألا تنتقل أراضي الكنيسة وأملاكها إلى غيرها نتيجة التِركات والوراثات العائلية[1]. وهو ما يردده غارودي كلما طُرح موضوع المرأة وتبتل الكهنة وإلزامهم بعدم الزواج.

ويشير غارودي إلى أنّ الكنيسة تذرعت باحترام نواميس الطبيعة وإرادة الله، عندما طُرِحَت في الغرب مسألة الاعتراف للنساء بحقّ تحديد النسل. وهذا المنع سيُترَك للذكور حسب هواهم بلا قيد ولا شرط، فيفرض الزوج على زوجته عدد الأولاد وتوقيت الأمومة. ونتج عن ذلك في الواقع الغربي إشكالية الإجهاض التي أودت بحياة آلاف من الأجساد النسائية، وكذلك بالنسبة للطلاق الذي عادة ما تكون آثاره السلبية على المرأة أكثر، لأنّ الرجال توجّهوا حسب غارودي إلى تنظيم حياتهم بشكل آخر، فقد انتشر في إيطاليا مثلاً وأكثر من غيرها نظام المربّيات في منازل الرجال العُزاب، وليس للمرأة أي مُساعدة قانونية للاستفادة حتى من نفقة تربية الأولاد في حالة تخلي الأزواج عنهن. كما أنّ الكنيسة هُزِمت في مواجهة الاستفتاء الشعبي في إيطاليا لتسوية هذا الأمر، وراحت تواصل كفاحها ضد هذا

* ـ (ورد في غارودي، في سبيل إرتقاء المرأة، مصدر سابق، ص17ـ 19. غلاطية 3/ 27 ـ 28 الأصح حسب الكتاب المقدس أنها غلاطية 28/3: ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع).

[1] ـ غارودي، في سبيل إرتقاء المرأة، مصدر سابق، ص17ـ 19.

الاختيار الشعبي، فأيّ وزن سيبقى لهذه الكنيسة وقد تصادمت مع أهلها؟ وفي إشكالات أخرى كثيرة تصادمت فيها المجتمعات المسيحية مع أعراف الكنيسة[1].

ومن خلال كل هذه المبادئ والأفكار الاستبدادية التي جاء بها بولس ونشرها في الوسط المسيحي، أطلق غارودي على بولس لقب "مؤسس لاهوت السيطرة"، ذلك أنّه أول من حمل الرؤية الخطية للتاريخ. ففي لاهوت بولس نجد أن الله خلق العالم في مرة واحدة، رُسِمت فيها كل مراحله وتفاصيل الأحداث. وكل محاولة تغيير لهذا النّظام في المسيحية تُعتبرها الكنيسة انتهاكا للحرمات، فبولس يقول في (فليبي2/13: لأنّ الله هو الذي يُنشئ فيكم الإرادة والعمل لأجل مرضاته)*[2].

وعندما يقول بولس في رسالته كورنتوس1 (3/11: رأس كل رجل هو المسيح ورأس المرأة هو الرجل، ورأس المسيح هو الله) * يعتبر غارودي أن هذه العبارة بَررت للتراتب الهرمي والطاعة والرأس والزعامة في أنظمة الحكم[3]. ولأجل كل ذلك يتأسف غارودي، خاصة أن كتاب التعليم الديني المسيحي لسنة 1992م ردّد عبارات بولس ومضمون رسائله الاستبدادي، فقد جاء فيه: (الخاضعون للسلطة ينظرون إلى رؤسائهم باعتبارهم ممثلي الله) وهي التي برّرت للسياسات الدكتاتورية للدول الغربية وخططها الاستعمارية وكل جرائمها في حقّ البشرية. حتى المجمع الفتكاني الثاني لسنة 1965م والذي كان فيه الأمل عند بعض أحرار الغرب لإنهاء لاهوت السيطرة، إلا أنّ هذا اللاهوت عاد، وخاصة بما مارسته الكنيسة من أعمال التفتيش الجديد

[1] ـ غارودي، في سبيل إرتقاء المرأة، مصدر سابق، ص19ـ20.

* ـ (لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرّة).

[2] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص33.

* ـ (ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح، وأما رأس المرأة فهو الرجل، ورأس المسيح هو الله).

** ـ (فإنه فيه يحلّ كل ملء اللاهوت جسديا).

[3] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص30ـ31.

ضد لاهوتيي التحرر[1]. رغم حُضور مبدأ الحرية في العهد الجديد، بعد أن كان غائب في العهد القديم[2]، والغريب أن الحرية ذكرة في رسائل بولس، ومن ذلك ما جاء في (كورنتوس2: 17/3: وأمّا الربّ فهو الروح وحيث روح الربّ هناك حرية).

[1] ـ المصدر السابق، ص193، 196.

[2] ـ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص 192، 197.

3 - قراءة غارودي لرسائل الرسل والرسائل الكاثوليكية

إنّ الرسالة التي نالت القسط الأوفر من اهتمام غارودي هي سفر أعمال الرسل، التي حدّد غارودي تاريخ كتابتها على أنّه كان بعد عام 64م. وقد كتبها لوقا صاحب الإنجيل المعروف باسمه[1]. وأكثر وقفات غارودي واستدلالاته بسفر أعمال الرسل، جاءت لبيان أعمال بولس ودوره في المسيحية، ليُثبت من خلالها ما توصّل إليه عن بولس، وليؤكد ما وجده في رسائله. فيُشير غارودي إلى أنّ فيها تذكير بولس بأنّ استئصال الكنعانيين كما ورد في أسفار العهد القديم، كسابقة وحدث يُبشّر بانتصارات أخرى لاحقة، فقد ورد في أعمال الرسل (13/16-19: فقام بولس وأشار بيده وقال: «أيّها الرجال الاسرائيليون والذين يتّقون الله، اسمعوا! إله شعب إسرائيل هذا اختار آباءنا، ورفع الشعب في الغربة في أرض مصر، وبذراع مرتفعة أخرجهم منها. ونحو مدة أربعين سنة احتمل عوائدهم في البرية. ثم أهلك سبع أمم في أرض كنعان وقسم لهم أرضهم بالقرعة)[2].

وفي الوقت الذي يسلك فيه بطرس نهج يسوع في عدم طرد الخطأة والمذنبين، وأن الخيرية الإلهية كما يقول غارودي: "اتصاف بالتقوى والبر في العمل، وذلك في كل أمة"، وهو ما قاله بطرس كما ورد في (أعمال الرسل10/28: فقال لهم: «أنتم تعلمون كيف هو محرّم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي إليه. وأمّا أنا فقد أراني الله ألا أقول عن إنسان ما أنّه دنس أو نجس). وفي (أعمال الرسل 10/34-35: ففتح بطرس فاه وقال: «بالحق أنا أجد أنّ الله لا يقبل الوجوه بل في كل أمة، الذي يتّقيه ويصنع البر مقبول عنده). أي أنّه لا امتياز لشعب مختار، يعطيه الله النصر على كل شعب لا يتبعه ثم يأمره بإدانته ومحاربته.

[1] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص74.
[2] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص171، 179.

في المقابل يعود بولس ليشارك تلاميذ المسيح إحساسهم وهم يعبّرون باستمرار عن خيبة أملهم، وانتظارهم للمُلك، حيث أنّهم سألوا المسيح قائلين كما ورد في (أعمال الرسل6/1: متى تردّ المُلك إلى إسرائيل؟)* فيقول بولس في (أعمال الرسل 32/13-33: ونحن نبشركم بالموعد الذي صار لآبائنا، أنّ الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم، إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضا في المزمور الثاني: أنت ابني أنا اليوم ولدتك) فبولس يبشّر هنا بأنّ يسوع قد حقّق وعد الآباء، وعلى ما هو مكتوب في المزمور الثاني، ويذكر بولس أنّ إله إسرائيل قد اختار الآباء فأقام لهم داود ملكا الذي يعمل حسب المشيئة الإلهية (أعمال الرسل17/13-32) *[1].

وجاء في أعمال الرسل أيضا (34/13: أنّه أقامه من الأموات، غير عتيد أن يعود أيضا إلى فساد، فهكذا قال: أنّي سأعطيكم مراحم داود الصادقة). ومن أجل ربط يسوع بوعد الله للآباء يستند بولس لنبوءات العهد القديم (نبوءة أشعيا3/55: أميلوا

* ـ (أمّا هم المجتمعون فسألوه قائلين: «يا رب، هل في هذا الوقت تردّ الملك إلى إسرائيل؟).

* ـ (إله شعب إسرائيل هذا اختار آباءنا، ورفع الشعب في الغربة في أرض مصر، وبذراع مرتفعة أخرجهم منها [18] ونحو مدة أربعين سنة، احتمل عوائدهم في البرية [19] ثم أهلك سبع أمم في أرض كنعان وقسم لهم أرضهم بالقرعة [20] وبعد ذلك في نحو أربعمئة وخمسين سنة أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبي [21] ومن ثم طلبوا ملكا، فأعطاهم الله شاول بن قيس، رجلا من سبط بنيامين، أربعين سنة [22] ثم عزله وأقام لهم داود ملكا، الذي شهد له أيضا، إذ قال: وجدت داود بن يسى رجلا حسب قلبي، الذي سيصنع كل مشيئتي [23] من نسل هذا، حسب الوعد، أقام الله لإسرائيل مخلصا، يسوع [24] إذ سبق يوحنا فكرز قبل مجيئه بمعمودية التوبة لجميع شعب اسرائيل. [25] ولما صار يوحنا يكمل سعيه جعل يقول: من تظنون أني أنا؟ لست أنا إياه، لكن هوذا يأتي بعدي الذي لست مستحقا أن أحل حذاء قدميه. » [26] أيها الرجال الإخوة بني جنس إبراهيم، والذين بينكم يتقون الله، إليكم أرسلت كلمة هذا الخلاص. [27] لأن الساكنين في أورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا. وأقوال الأنبياء التي تقرا كل سبت تموها، إذ حكموا عليه. [28] ومع أنهم لم يجدوا علة واحدة للموت طلبوا من بيلاطس أن يقتل. [29] ولما تمّموا كل ما كتب عنه، أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر [30] ولكن الله أقامه من الأموات [31] وظهر أياما كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم، الذين هم شهوده عند الشعب [32] ونحن نبشركم بالموعد الذي صار لآبائنا).

[1] ـ المصدر السابق، ص 181.

آذانكم وهلمّوا إليّ. اسمعوا فتحيا أنفسكم وأقطع لكم عهدا أبديا، مراحم داود الصادقة)[1].

ويجد غارودي أنّ كُتب التعاليم المسيحي لعام 1992م أوردت في الصفحة 154 نص أعمال الرسل (22/13: .. ثم عزله وأقام لهم داود ملكا، الذي شهد له أيضا، إذ قال: وجدت داود بن يسى رجلا حسب قلبي، الذي سيصنع كل مشيئتي) فهنا يجعل بولس داود ملكا إلهيا بإرادة الربّ. هذه الفكرة التي بُنيت عليها عقيدة بولس، والتي أدخلت إله الجيوش اليهودي، إله المذابح، أدخلته للمسيحية، رغم أنه يختلف عن إله المحبة، الذي يسمّيه يسوع في الأناجيل أبي. ولهذا أيّد غارودي ما ذهب إليه ديستويفسكي - الباحث في الأديان - عندما اعتبر أنّ هذا الإله الذي يتكلم عنه بولس، هو استمرارية لإله الإمبراطورية الرومانية في الغرب. وعليه يقول غارودي: "وبذلك يكون بولس قد طمس نافذة الأمل التي فتحها يسوع في تاريخ البشرية من أجل إدخال مبدأ التعالي والتنزيل، ليس لقدرة ملك حاكم على وجه الأرض، ولكن على العكس لأكثر الرجال فقراً وتواضعاً. التعالي ليس لذوي المقامات الرفيعة ولكن لمن هو مع الفقراء في قاع المجتمع"[2]. فالمسيح الذي عاش بين الفقراء والبسطاء في المجتمع واهتم بهم، وسعى للإرتقاء بمعنوياتهم وأخلاقهم، جاءت تعاليم بولس وأهملت كل ذلك، وهي التعاليم التي تلقن للمسيحيين في زماننا.

ويشير غارودي إلى أنّه بعدما أكدّ بولس على أنّ الله أخرج يسوع من نسل داود مخَلصا لشعب إسرائيل حسب الوعد، وهو ما ورد في (أعمال الرسل23/13: من نسل هذا (أي داوود)، حسب الوعد، أقام الله لإسرائيل مخلصا، يسوع)، ذهب إلى أن رؤساء أورشليم وأهلها تمّموا أقوال الأنبياء من حيث لا يشعرون، وهو ما جاء في (أعمال الرسل 28/13-30: ومع أنّهم لم يجدوا علّة واحدة للموت طلبوا من بيلاطس

[1] ـ المصدر السابق، ص 190.

[2] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص78.

أن يقتل. ولما تمّموا كل ما كتب عنه، أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر. ولكن الله أقامه من الأموات) فلا أهل أورشليم ورؤساؤهم عرفوا المسيح، ولا هم فهموا ما يُتلى من أقوال الأنبياء في كل سبت، فتمّموها بالحكم عليه، وبعدما تمّموا كل ما كتبه الأنبياء في شأنه، أنزلوه عن الصليب ووضعوه في القبر، ولكنّ الله أقامه من بين الأموات. ليبرهن من جديد على قدرته وعنايته بشعب إسرائيل[1].

وكانت وسيلة بولس لنشر عقيدته في نظر غارودي هي أنّه جعل من قيامة يسوع معجزة، تدلّ على قدرة الرب ليُقنع اليهود بأنهّا ليست سوى تحقيق لوعد الله لهم (أعمال الرسل 13/32-33: ونحن نبشركم بأنّ ما وعد الله به آبائنا تمّ لنا، نحن أبنائهم، حين قام يسوع من بين الأموات، وفقا لما كُتب في المزمور الثاني: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك)*. وبهذه الحيلة استطاع بولس إقناع اليهود وغيرهم، خاصة اليونانيين، الذين يتطابق عندهم تصورهم لله مع تصورهم للقدرة. وهذا التناقض في قراءة بولس لقيامة يسوع وبعثه، مع الحياة التي عاشها يسوع وما دعا إليه، يجده غارودي في قلق الأب سيجوندو عندما اعترف قائلا: "في هذا البعث نجد صعوبة في التعرف على يسوع التاريخي"[2]. فرسائل بولس أثارت غموضا لأنها تخالف دعوة المسيح وروح رسالته.

وعندما يقول بولس في (أعمال الرسل 26/22: لكنيّ حصلت على عون من الله فبقيت إلى هذا اليوم شاهداً للصغير والكبير. لا أقول شيئاً غير ما قال الأنبياء وموسى أنّه سيكون)**. فإنّ في ذلك تأكيد لما يقوله غارودي حول بولس، والذي يجده يقول كذلك في (أعمال الرسل 17/2-3: وفاوضهم (أي بولس) من الكتب ثلاث سُبُوت

[1] ـ المصدر السابق، ص 77.

* ـ (ونحن نبشركم بالموعد الذي صار لآبائنا، إنّ الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم، إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضا في المزمور الثاني: أنت ابني أنا اليوم ولدتك).

** ـ (فإذ حصلت على معونة من الله، بقيت إلى هذا اليوم، شاهدا للصغير والكبير. وأنا لا أقول شيئا غير ما تكلّم الأنبياء وموسى أنّه عتيد أن يكون)

[2] ـ المصدر نفسه، ص82، 81.

شارحا ومبيّنا أنّ المسيح كان ينبغي أن يتألم ويقوم من بين الأموات وأنّ يسوع هذا الذي أبشركم به هو المسيح)*. فهذه العبارات تمحو حسب غارودي ما هو متفرد وجديد في رسالة يسوع، هذه الرسالة التي كشفت عن إله يختلف كليا عن آلهة اليهود واليونان والرومان[1].

وعليه فإنّه مع بدأ بولس في الدعو للمسيحية، والتي بدأت بالرؤية السماوية كما في رواية أعمال الرسل (19/26: ... لم أكن معاندا للرؤيا السماوية) كان أسلوبه في الدعوة اعتماد تقاليد وفكر من يدعُوهم. فبالنسبة لليهود سعى لربط العهد القديم بالعهد الجديد. وتكلّم استنادا لشريعة موسى والأنبياء (أعمال الرسل 23/28: فعيّنوا له يوما، فجاء إليه كثيرون إلى المنزل، فطفق يشرح لهم شاهدا بملكوت الله، ومقنعا إيّاهم من ناموس موسى والأنبياء بأمر يسوع، من الصباح إلى المساء)، حتى أنّ رؤساء المجمع أقرّوه في ذلك ودعوه ومن رافقه لوعظ الشعب (أعمال الرسل 13/13-16: ثم أقلع من بافوس بولس ومن معه وأتوا إلى برجة بمفيلية. وأمّا يوحنا ففارقهم ورجع إلى أورشليم. وأما هم فجازوا من برجة وأتوا إلى أنطاكية بيسيدية، ودخلوا المجمع يوم السبت وجلسوا. وبعد قراءة الناموس والانبياء، أرسل اليهم رؤساء المجمع قائلين: «أيها الرجال الاخوة، إن كانت عندكم كلمة وعظ للشعب فقولوا. فقام بولس وأشار بيده وقال: «أيّها الرجال الاسرائيليون والذين يتقون الله، اسمعوا!...)[2].

لأجل استمالة اليهود يعود بولس إلى تأكيد اختيار الآباء وشعب إسرائيل، وهو ما ورد في (أعمال الرسل17/13: إله شعب إسرائيل هذا اختار آباءنا، ورفع الشعب في الغربة في أرض مصر، وبذراع مرتفعة أخرجهم منها). وهو يؤكد لهم على الوعد

* - (فدخل بولس إليهم حسب عادته، وكان يحاجّهم ثلاثة سبوت من الكتب، موضحا ومبيّنا أنه كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات، وإنّ هذا هو المسيح يسوع الذي أنا أنادي لكم به).

[1] غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص32.

[2] - غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص76.

بأرض الكنعانيين (أعمال الرسل 19/13: ثم أُهلك سبع أمم في أرض كنعان وقسّم لهم أرضهم بالقرعة) ويؤكد لهم بأن المخلص الذي ينتظرونه هو يسوع المسيح وأنه من نسل داود، فقد جاء في (أعمال الرسل 22/13: من نسل هذا(أي داود)، حسب الوعد، أقام الله لإسرائيل مُخَلصا، يسوع) [1].

ومن أجل استمالة اليونانيين أكدّ لهم بولس في خطابه على تديّنهم، بكل وجه، وفي كل الحالات، وهم ما ورد في (أعمال الرسل 22/17: ... أيّها الرجال الأثينيون! أراكم من كل وجه كأنّكم متديّنون كثيرا). ثم جعل بولس من الآلهة المجهولة التي يضمّها اليونان لآلهتهم، الإله الذي يدعوهم إليه (أعمال الرسل23/17-24: لأنّني بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم، وجدت أيضا مذبحا مكتوبا عليه: «لإله مجهول». فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه، هذا أنا أنادي لكم به الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه، هذا إذ هو ربّ السماء والأرض، لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي)، وراح بولس يمزج بينه وبين ما يقوله كبار الفلاسفة والمعلمين اليونان والرومان عن الإله وحقيقة الخلق والإنسان والعالم (أعمال الرسل 25/17: ولا يخدم بأيادي النّاس كأنه محتاج إلى شيء، إذ هو يُعطي الجميع حياة ونفسا وكل شيء). وليحرّم صناعة الأصنام استدلّ بالفيلسوف الروماني سيناك، وذكر كذلك ثُلاثية أفلاطون (الحياة، الحركة والوجود) وما قاله الشاعر إبيمنيد (epimenid)في القرن (6ق م) وهو ما ورد في (أعمال الرسل 28/17: لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد، أو كما قال بعض شعرائكم: نحن أيضاً ذريته) *[2]. فكانت هذه بعض أساليب بولس في دعوته لكسب ود اليونانيين، ونفس المنهج اعتمده مع غيرهم من الشعوب.

[1] ـ المصدر السابق، ص84.

* ـ (لأنّنا به نحيا ونتحرك ونوجد. كما قال بعض شعرائكم أيضا: لأنّا أيضا ذريته).

[2] ـ غارودي، الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ج1، ص85.

ويتساءل بعدها غارودي: هل من الأمانة اعتماد كلمة "المسيحية" التي لم تظهر إلا عند مرور بولس بأنطاكيا عام 43م، عندما أطلق بولس على تلاميذه المسيحيين ولأول مرة هذا اللفظ حسب ما ورد في (أعمال الرسل 26/11: فحدث أنّهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلّما جمعا غفيرا. ودُعي التلاميذ «مسيحيين» في أنطاكية أولا) فكلمة المسيح كما يقول غارودي: "تعني (المنقذ) أي منقذ مملكة داود، في حين أنّ تلاميذ يسوع يُطلق عليهم حتى الآن (القديسين) "[1]. فالحواريون وتلاميذ المسيح كانوا يعرفون بلقب القديسين، أم تسمية المسيحيين فقد ظهرت مع بولس، وذلك بعد رفع المسيح عليه السلام.

كما يقف غارودي مع ما ورد في رسالة يعقوب[2]، وهي أحد رسائل القديسين، فيجد أنها تردّ وتنقض عقيدة بولس، في أنّ الخلاص بالنعمة وليس للإنسان يد ولا مسؤولية له في ذلك، فقد ورد في رسالة يعقوب (2/14-26: كذلك الإيمان إن خلا من الإعمال فهو ميت في ذاته) *. فهنا تأكيد على أن النجاة والخلاص مرتبط بالايمان والعمل الصالح، فلا يكفي الايمان وحده، كما قال بولس.

---

[1] ـ المصدر السابق، ص 87.

[2] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص168.

* ـ (ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحد أنّ له إيمانا ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلصه؟ [15] إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومي، [16] فقال لهما أحدكم: «إمضيا بسلام، إستدفئا واشبعا» ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد، فما المنفعة؟ [17] هكذا الإيمان أيضا، إن لم يكن له أعمال، ميّت في ذاته [18] لكن يقول قائل: «أنت لك إيمان، وأنا لي أعمال» أرني إيمانك بدون أعمالك، وأنا أريك بأعمالي إيماني[19] أنت تؤمن أن الله واحد. حسنا تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون! [20] ولكن هل تريد أن تعلم أيّها الانسان الباطل أنّ الايمان بدون أعمال ميّت؟ [21] ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال، إذ قدم إسحاق ابنه على المذبح؟ [22] فترى أنّ الإيمان عمل مع أعماله، وبالأعمال أكمل الايمان، [23] وتمّ الكتاب القائل: «فآمن ابراهيم بالله فحسب له برا» ودعي خليل الله. [24] ترون إذا أنّه بالأعمال يتبرر الانسان، لا بالإيمان وحده [25] كذلك راحاب الزانية أيضا، إما تبررت بالأعمال، إذ قبلت الرسل وأخرجتهم في طريق آخر؟ 26 لأنّه كما أن الجسد بدون روح ميّت، هكذا الإيمان أيضا بدون أعمال ميّت).

وانطلاقا مما ورد في رسالة يوحنا الأولى (8/4: ومن لا يحب لا يعرف الله)* في هذه الفقرة يقف غارودي مع ما فيها من معاني روحية، فيعتبر أنّ الموت لن يأخذ شيئاً ممن أعطى كل شيء، ويعتبر أنّ هذا ما أظهره يسوع: "الانتصار على الموت والانتقال من الموت إلى الحياة. وأنّ القيامة وهي الانتقال من موت الفرد إلى الشعور بالمحبة الحقيقية، التي بفضلها لا يكون مركز الإنسان في ذاته بل في الآخر، في هذا (الأنت) الذي به أنا (أنا)" حسب غارودي[1]. أي أن قمة تحقيق الانسان لذاته هو أن يتحرر هذا الانسان من أنانيته، وأن يتعدى عطائه للآخرين. فغارودي في قراءة للمقولة المسيحية "موت المسيح وقيامته" يرى أنها موت شخص من أجل الآخرين، مع كل ما تحمله هذه التضحية من معاني المحبة للآخرين والتحرر من الخوف المتعلق بالموت. فتلك المعاني هي السبيل للمحبة الحقيقية ومعرفة الله.

ومن خلال ما ورد في تلك الفقرة من (رسالة يوحنا الأولى 8/4: ومن لا يحب لا يعرف الله) يقف غارودي مع التعالي والتسامي الذي هو مضاد للاكتفاء، فالإنسان كبير لدرجة أنّه لا يكفي نفسه بنفسه. وهو ما يجده غارودي في كلام الأب بنهوفر الذي يقول: "إنّ الخُروج من الذات وملاقاة الآخرين هو التجربة الأولى للتعالي، وهذا هو ما يُدعى بالحب". ويذهب غارودي إلى أنّ نفس التجربة جعلت الصوفي الفارسي الشيرازي يقول: "أننّا نتعلم في كتاب الحبّ الإنساني كيف نفسر الحبّ الإلهي". ويعتبر غارودي أنّ الوعي المعاش والمجرّب للتعالي يُجنّبنا وهم تصور الكون على أنّه مغلق، وللواقع على أنّه مختزل فيما وجد من قبل، وللمستقبل على أنّه لا ينطوي إلا على إمكانية الحاضر[2]. فالترفع عن الدنايا والتسامي بالمعاني الراقية والقيم السامية، يفتح أفق الحياة من ضيق الحياة الدنيا إلى سعت الحياة الموصولة بالله.

* ـ ومن لا يحب لم يعرف الله، لأن الله محبة

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص116.

[2] ـ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص262ـ263.

وهكذا يكون غارودي قد تعرّض في هذه الرسائل وكل ما يحتويه العهد الجديد لما يراه تحريفا وقع لرسالة يسوع المسيح وتأويلات يعتبرها خاطئة، ومن ناحية أخرى يقف عند ما يجده فيها من معاني يعتبرها مخالفة للحقيقة الدينية، التي قال بها العهد الجديد، واحتفظ بها رُسل المسيح عليه السلام، والذي يستشف ممّا قاله وفعله في حياته وما دعا إليه. كما أنّ غارودي ركّز هنا على المعاني الروحية والقيم الانسانية، لأنّ هذه المعاني والقيم هي الأساس، الذي يُعوّل عليه كأرضية لمشروعه الحضاري، المبني على حوار بين الحضارات.

فقد وجد غارودي عند دراسته لهذه الحضارات، أنّ هذه المعاني والقيم هي السمة المشتركة بينها جميعاً. خاصة الحضارات القديمة التي تُمثّل الموروث الذي يتمسك به الكثيرون من سكان العالم. وفي المقابل يحتاج العالم الغربي الذي غلبت عليه النزعة المادية لهذه المعاني الروحية، التي يُرجع غارودي سبب غيابها في الحضارة الغربية دون غيرها إلى التحريف الذي وقع لرسالة يسوع المسيح. وهو يعتبر أنّ بولس هو رأس التحريف وزعيمه، والمتسبّب الأول فيه، وأن السلطة الدينية المهيمنة والكنيسة تبعت منهجه. ومع ذلك يجد غارودي في رسائل بولس وبقية الرسائل شيء من الحقائق الدينية.

الخاتمة

لقد جاءت قراءة غارودي للكتاب المقدس متميزة بنزعة نقدية، ومتأثرة بمنحى الدراسات النقدية للكتاب المقدس، التي عرفها العالم الغربي بقوة في القرن العشرين. ولا بد أن لتلك النزعة النقدية علاقة بالثورية التي تميّزت بها حياة غارودي، فقد عاش تقلبات فكرية متكرّرة، مع الحضور الدائم لقلق المواجهة بين الذاتية وأنانيتها في مقابل التعالي والقيم السامية والروح الإنسانية، التي عاشها وذاق شيء من معانيها. يظاف إلى كل ذلك نزعة الشكّ التي جعلته يُراجع وينتقد كل ما يقع عليه فكره، ومن ذلك أنّه انتقد الفكر الغربي وقيمه وكل ما اشتملت عليه المدنية الغربية. وفي إطار كل ذلك انتقد ما ورد في أسفار الكتاب المقدّس، واشتغل على مشروع مبني على الحوار بين الحضارات. وقد أوصله ذلك المسار في نهاية المطاف إلى الدخول في الإسلام دون أن يتخلّى عمّا يراه قيمًا إنسانية كان يؤمن بها. ونجمل النتائج التي وصلت إليها هذه الدراسة في النقاط الآتية:

1- درس غارودي الديانة المسيحية وكذلك الأديان والتجارب الروحية الأخرى، لأنّه يعتبرها المنطلق للحوار بين الحضارات، وجاء ذلك في إطار بحثه كمفكر وفيلسوف ومناضل سياسي، مهتم بقضايا وإشكالات الإنسان المعاصر. وهي إشكالات عالمية ولا يمكن إيجاد الحلول لها إلا بحوار عالمي، بين جميع الشعوب والحضارات في العالم.

2 - وقد جاءت دراسة غارودي للمسيحية والكتاب المقدّس، متميزة عن غيرها من الدراسات، غربية كانت أو إسلامية أو غيرها، وذلك لارتباط هذه الدراسة بمشروع غارودي الذي ينفتح على كل الحضارات، فقد وجّه كل أعماله ودراساته نحو الأهداف التي يصبو إليها في مشروعه. وقد كانت له في ذلك إشارات دقيقة ونتائج لم يُسبق إليها.

3 - يَعتبر غارودي أنّ أول من أسّس للمسيحية المعروفة اليوم هو بولس، الذي كان من أشدّ اليهود اضطهاداً للمسيحيين، ثم تحوّل فجأة إلى أهمّ رسلها المبشّرين بها. فقد كانت رسائله أول ما كُتِب في المسيحية، رغم أنّه لم يرَ المسيح ولم يحتك به، ولم يسمع من رسل المسيح (الحواريين) الذين شهدوا حياة المسيح ورأوا أعماله وسمعوا أقواله. بل يفتخر بولس بذلك ويعتبر أنه أخذ مباشرة عن المسيح، وليس من رسله عندما رآه بعد قيامته في السماء.

4 - يؤكد غارودي على أنّ بولس هو أول من قال بأنّ المسيحية تمثل عهدا جديدا، بدأ مع المسيح بعد انتهاء العهد القديم، الذي كان مع بني إسرائيل في شريعة موسى اليهودية. ومن هنا بدأت الصلة التي بين اليهودية والمسيحية، حتى أنّ أسفار العهد القديم كمصدر للمسيحية، يمثّل مجموعة المصادر اليهودية والأسفار التي ينسبونها لأنبيائهم، التي كان بولس على دراية معمّقة بها، فأثرُها يَظهر جلياً في رسائله، وهو يستشهد فيها بنصوصها حرفياً.

5 - في الوقت الذي يتلمّس غارودي الحقيقة الدينية في المسيحية، هنا وهناك في الأناجيل والرسائل، فإنّه يجد أنّ بولس يعتبرها امتدادا وتصديقا لنبوءات اليهودية، التي بيَّن المسيح أنّها كديانة حُرّفت عن حقيقتها. وأصبحت شريعتها مجرّد طقوس وشكليات فاقدة للروح والمعاني الإلهية التوحيدية. ولذلك يُسمّي غارودي الديانة المسيحية التي تبلورت بعد المسيح عليه السلام: بمسيحية بولس.

6 - نبّه غارودي عند تطرّقه لأسفار الكتاب المقدّس والحقائق الموجودة فيها، إلى أنّه لا يوجد في المصادر غير المسيحية واليهودية، ما يؤكد بعض القضايا الهامة والقصص الواردة في أسفار الكتاب المقدّس، بل يجد أنّ الحفريات وآثار التاريخ تُفنّد بعض ما جاء في هذه الأسفار. وقد ذكر من الأمثلة والأدلة على التناقضات الواردة في أسفار الكتاب المقدّس، والشواهد على الأخطاء خاصة التاريخية منها، ما تُكذبه الكُشوفات وعلم الآثار، ليؤكدّ على التحريف والتبديل وتدخّل الأيادي المشبوهة في كتابة أسفار

الكتاب المقدّس. لذلك يُطالب غارودي بمقارنة ما جاء في الكتاب المقدّس بما كشفت عنه الآثار والحفريات والكشوف والتراث والوثائق التاريخية لمختلف الحضارات.

7 - من خلال قراءة غارودي لرسائل بولس بيّنَ معالم مسيحية بولس التي جنَا بها على المسيحيين والإنسانية كذلك، لما فيها من نفحات لاهوت السيطرة الذي طغى على الفكر الديني الغربي، وكل ذلك بتأثير مباشر من الروح السائدة في أسفار العهد القديم ونفحاته اليهودية، التي لا همَّ لها إلا الجيوش وقادتها من الملوك، وحروب اليهود، أبناء يهوه وشعب الله المختار، مع غيرهم من الشعوب التي يتهمونها بالبربرية، وينظرون إليها نظرة دونية. وعلى أساس هذه الحروب، يُحدّد اليهود مرضاة يهوه أو غضبه عليهم وعلى قادتهم وأنبيائهم. هذا اللاهوت ولّد في العالم الغربي نزعة السيطرة والاستبداد والاستعمار والسطو على ثروات ومقدّرات غيرهم.

8 - على أساس الأنبياء والملوك من بني إسرائيل في اليهودية، وتصوّرهم للمسيح المخلِّص قائد الجيوش، الذي ينتصر لأتباعه من أعدائهم، ووفقاً للثقافة الهيلينية، لفّق بولس تصوّره ليسوع المسيح، فهو الكريستوس المعروف في الثقافة الهيلينية، مع بعض ممّا يَعرفه عنه من عايشوه. وهكذا تحوّل المسيح ابن مريم عليهما السلام إلى ابن للإله، وتحوّلت حادثة الصلب من مكيدة دبّرها اليهود للتخلّص من المسيح، الذي رفض وعارض كل ما يفعله اليهود ورجال دينهم، فأصبح الصلب فداءً للبشرية عن الخطيئة الأولى التي ارتكبها أبو البشر آدم عليه السلام.

9 - يلاحظ غارودي أنّ بولس يبدأ تصوره للمسيحية من الصلب والقيامة، فبعد تأويله لهما بما يمكن أن يحقّق هدفه لتعميم هذه الديانة لغير اليهود، ذهب بولس لوضع ما سبق من أحداث في حياة المسيح ضمن هذا السياق، ليكتمل بها تصوّر المسيحية التي أسّسها بولس. فكثر أتباع المسيحية حتى ممّن كانوا وثنيين، للبراعة التي تميّزت بها دعوة بولس وتبشيره، ودهائه في استقطاب الجماهير، ولغزارة ثقافته اليهودية واليونانية وفلسفته الهيلينية الواسعة، إضافة إلى أنّه كان يلغي عن كل قوم ما يَثقل عليهم تطبيقه

من أمور الدين، حتى أنّه تخلّى عن الختان وهو سنّة إبراهيم عليه السلام، وتخلّى عن تحريم الخنزير وغيرها من أحكام شريعة موسى التي كانت مطبّقة بين أتباع المسيح عليه السلام، كل ذلك لأجل الوثنيين لأنّها لم تكن من أعرافهم. وطلب الخضوع التام للإمبراطور والقادة الرومان، طلبا لرضاهم وهكذا فعل مع غيرهم من الشعوب.

10 - ولما كانت الجماهير اليونانية لا تعرف عن المسيح شيئاً، وكثر اللغط حوله جاء إنجيل مرقس، وكان أول ما كُتب من الأناجيل. ولأنّ مرقس رافق بولس بعض الوقت في رحلاته الدعوية، فقد أخذ عنه مسيحيته وتأثر برسائله وأفكاره. ففي إنجيل مرقس توفيق بين مسيحية بولس وما وجده مرقس عن المسيح عند بطرس وهو أحد الحواريين، الذين تتلمذ على يدهم.

11 - في حين ذهب لوقا في رسالته " أعمال الرسل" وفي إنجيله كذلك، إلى إدراج واضح لروح التعاليم اليهودية. حتى أنّه جعل من يسوع ابناً ليوسف النجار، الذي عُرف عند اليهود بأنّه خطيب مريم عليها السلام، وأنّه تكفّل برعايتها وابنها بعد ولادته من غير أب. كل ذلك ليتمكّن لوقا من ربط سلسلة نسب المسيح بداود والأنبياء وصولاً إلى آدم عليهم السلام.

12 - وكتب متى إنجيله ضمن ذلك السياق، مع إضافة شهاداته لما عايشه مع يسوع المسيح. ولمّا تمايزت الكنيسة كجماعة ومؤسسة جاء إنجيل يوحنا، في أواخر القرن الأول الميلادي، لإتمام ما تحتاجه هذه الديانة في الجانب اللاهوتي وما يلزمها من معتقدات. ويكتفي غارودي هنا بإبراز الأدلّة التي تفنّد دعوى تأليه يسوع، بما قاله ونقله عنه يوحنا، وأنّ المسيح بَشَّر بالحقّ والنّبي الذي سيأتي بعده ليُتمّ بيان ما لم يِحن أوانُ بيانه. كما أنّ غارودي يجد في إنجيل يوحنا النفحات الروحية والأساس للحقيقة التي راح غارودي يتتبّعها في كل ديانة. وتجدر الإشارة إلى أنّ تلك الأناجيل الأربعة (إنجيل متى، مرقس، لوقا ويوحنا) قد تمّ الاعتراف بها واعتمادها في مجمع نيقية سنة

225م، دون غيرها من بقية الأناجيل الكثيرة، التي كانت منتشرة بين المسيحيين حينها، دون تقديس لبعضها دون الأخرى.

13- وبعد ذلك الربط لرسائل بولس بالأناجيل وتأكيدها على الاتصال الوثيق بين العهدين القديم والجديد، وجعلهما في سياق واحد وعلى نسق ثابت ومتصل. وبعد تأسيس الكنيسة كمؤسسة وجماعة واعتبارها وارثة الاختيار الإلهي، والتي قدّمت الوعظ الديني بهذه القراءة وانطلاقا من هذا المنطق وهذا الفكر، بدأ بعدها يظهر أثر ما كُتب في أسفار العهد القديم والعهد الجديد على المسيحيين. وتوسّع ذلك التأثير بعد تعميم الإصلاح الكنسي البروتستانتي، وأصبح من حق كل مسيحي قراءة وتفسير الكتاب المقدّس، بعد أن كان محصوراً عند رجال الدين فقط، وغلبت تلك الآثار على الفكر الغربي. فانطلاقا من فكرة الشعب المختار الراسخة في أسفار العهد القديم، ظهرت نزعة التفوق في العالم الغربي ومركزيته على بقية الشعوب والأمم، وانتشرت فيه النزعة العرقية، التي ظهرت عبر مراحل تاريخه المتتالية في الحروب والاضطهادات والاستعمارات، وفي علاقة الكنيسة الغربية مع غيرها من الكنائس الأخرى، والتأييد الغربي للسياسات والممارسات الإرهابية للصهيونية الإسرائيلية في فلسطين.

14 - وقف غارودي كثيرا مع موضوع الصهيونية الإسرائيلية، عند قراءته لما ورد في أسفار العهد القديم، وكيف أنّها تبرّر بما ورد في أسفاره لسياستها وأفعالها الإرهابية في فلسطين. فما ورد في أسفار العهد القديم هو من أهمّ الأسباب التي مكّنت الصهيونية من إقناع العالم الغربي، خاصة منهم المسيحيين البروتستانت، بمشروعها العنصري وسياستها وأفعالها، وذلك لأنّهم يؤكدون على الربط الوثيق بين العهد القديم والعهد الجديد، ويتمسّكون بنبوءات العهد القديم، ولهم قراءتهم للكتاب المقدّس التي تتوافق مع القراءة الصهيونية، لتلك النبوءات وأحداث العهد القديم.

15 - من القضايا التي سلّط غارودي عليها الضوء كثيرا، وكرّر ذكرها في مؤلفاته التي تطرّقت للفكر الغربي والصهيونية الإسرائيلية، قضية العنصرية والتفوق العرقي

والامتياز العبري وأسطورة أرض الميعاد، والوعود الإلهية لبني إسرائيل، والتطهير العرقي والقضاء على بقية الشعوب من أجل اليهود. إضافة إلى القراءة المتحيّزة والعنصرية للأسفار المقدّسة عند اليهود والتي انتقلت إلى الغربيين، فشكّلت نزعة حاضرة بوضوح في معاملة الغرب وعلاقاته مع باقي الشعوب والدول.

ومع كل ذلك ركز غارودي في دراسته للكتاب المقدّس كما فعل مع غيره من الكتب المقدّسة لمختلف الأديان، على إبراز الدور الثوري والتحرري الذي تدفع نحوه تلك الكتب المقدّسة، ليؤكد على دور الأديان في التأسيس للمشروع الإنساني البديل الذي يتبنّاه، انطلاقا من الحوار بين الحضارات والانفتاح على مختلف الأمم، رافضا بذلك الواقع العالمي الذي يقوده الغرب، مأججا لنزعة الاستبداد والهيمنة والصراع والصدام والعداء.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

ـ القرآن الكريم.
ـ الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، مصر، ط1، 2003م.
ـ ماستر ميديا، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، القاهرة، 1997م.
ـ كتب روجيه غارودي:

1. نداء إلى الأحياء، تر: ذوقان قرقوط، دار دمشق، سوريا، 1981م.
2. محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2002.
3. في سبيل ارتقاء المرأة، تر، جلال مطرجي، دار الآداب، بيروت، ط1، 1982م.
4. ملف إسرائيل - دراسة للصهيونية السياسية، تر: مصطفى كامل فوده، دار الشروق، بيروت، ط3، 1985م.
5. انحرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية تر: م ع الكيلاني، دار الكتاب، دمشق، ط1، 1996م.
6. في سبيل ارتقاء المرأة، تر، جلال مطرجي، دار الآداب، بيروت، ط1، 1982م.
7. محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2002.
8. محاكمة الحرية، تر: محمد لعقاب، دار هومة، الجزائر.
9. حفارو القبور، تر: عزة صبحي، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002م.
10. الإرهاب الغربي ج1، تر: داليا المنطوخي وناهد عبد الحميد وسامي مندور، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2004.
11. الإرهاب الغربي ج2، تر: عبد المسيح فلى، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2004م.

12. النظرية المادية في المعرفة، تعريب، إبرهيم قرنيط، دار دمشق.
13. الإسلام الحي، تر: دلال بواب ضاهر ومحمد كامل ضاهر، دار البيروني، بيروت، ط1، 1995م.
14. الإسلام في الغرب، تر: محمد مهدي الصدر، دار الهادي، ط2، 2001م.
15. البديل، تر: جورج طرابيشي، دار الأدب، بيروت، ط2 1988م.
16. هذه وصيتي للقرن21، إعداد، شاكر نوري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2007.
17. الإسلام، تر: وجيه أسعد، دار عطية، ط1، 1996م.
18. كيف نصنع المستقبل؟، تر: منى طلبة وأنور مغيث، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002م.
19. نظرات حول الإنسان، ترجمة، يحي هويدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1983م.
20. فلسطين أرض الرسالات السماوية، تر: قصي أتاسين وميشيل واكيم، دار طلاس، دمشق، 1991م.
21. الأصوليات المعاصرة، أسبابها ومظاهرها، تر: خليل أحمد خليل، دار عام ألفين، باريس، ط1، 1992م.
22. نحو حرب دينية؟ جدل العصر، تر: صياح الجهيّم، دار الفارابي، بيروت، ط3، 2001م.
23. ماركسية القرن 20، تر: نزيه الحكيم، دار الآداب، بيروت، ط5 1983م.

المراجع:

1. ا. ج. جرانت وهارولد تمبولي، أوربا في القرن 19 والقرن 20، تر: محمد علي أبو درة ولويس إسكندر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ط6، 1978م، ج2.
2. الأب برنار سيسبويه، الإنجيل الحي في الكنيسة، تر: الاب جرجس المارديني، دار المشرق، بيروت، ط3، 1997
3. الأب فاضل سيداروس، سر الله الثالوث - الأحد، دار المشرق، بيروت، ط3 2000.
4. الأب كليمان اليسوعي، إيماننا بين العقيدة والعمل، ت، الأب صبحي حموي اليسوعي، دار الشروق، بيروت، ط1، 2005م.
5. أبو عيسى محمد بن حسين المصري، الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ط1، دار بن الجوزي، القاهرة - مصر، 1432ه-/2011م، ج2.
6. ألبير سوبل، تاريخ الثور الفرنسية، تر: جورج كوسي، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط3، 1982م.
7. أمينه الصاوي وعبد العزيز شرف، جارودي والحضارة الإسلامية، دار القبلة، جدة، ط2، 1985م،
8. بدوي، الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ج2.
9. بيير رونوفن، تاريخ القرن العشرين، تر: نور الدين حاطوم، دار الفكر، دمشق، ط1، 1980.
10. جاك جوميه ومارتن سبانخ، المسيح ابن مريم، دار الشروق، بيروت، ط2 1999.

11.حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي (أطواره ومذاهبه)، دار القلم، دمشق، ط4 1999م.
12.رامي كلاوي، روجيه غارودي من الإلحاد الى الإيمان، دار قتيبة، دمشق، ط 3، 1994.
13.سعد عبد المقصود ظلام، لا لجارودي ووثيقة أشبيلية،
14.سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ط1، مطبعة الأمانة، القاهرة مصر، 1410ه-/1990م،
15.سيرج بيروتينو، غارودي، المؤسس العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981م.
16.شوقي عطا الله الجمل وعبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1993م.
17.عادل التل، فكر غارودي بين المادية والإسلام، دار البينة، بيروت، ط2، 1997م،
18.عبد الحميد زوزو، تاريخ أوربا والولايات المتحدة الأمريكية. (1914-1945م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
19.عبد القادر شيبة الحمد، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، الالوكة، الرياض، ط4، 1433هـ.
20.فتحي فوزي عبد المعطي، العذراء مريم وميلاد المسيح عيسى عليه السلام بين القرآن والإنجيل، نهضة مصر.
21.فتحي محمد الزغبي، تأثر اليهوديه بالأديان الوثنية، دار البشير، مصر، ط1، 1994م.
22.فرنسوا جورج ديفوس وآخرون، موسوعة تاريخ أوربا العام ج3، منشورات عويدات، بيروت - باريس.

23.فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية، دار الكاتب العربي، القاهرة.
24.القس صموئيل حبيب، المسيحية والإنسان، دار الثقافة، القاهرة، ط1.
25.لويس غراديه وجورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ج1، تر: صبحي الصالح والأب فريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979.
26.محسن الميلي، روجيه غارودي والمشكلة الدينية، دار قتيبة، بيروت، ط1، 1993م.
27.محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، 1966م.
28.محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط4، 1404هـ.
29.محمد بن علي بن محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، مطبوعات مجلة البيان، 2003، ط1، 2003.
30.محمد سعيد رمضان البوطي، شخصيات استوقفتني، دار الفكر، 2001.
31.محمد عثمان الخشت، روجيه جارودي، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، مكتبة القرآن، القاهرة.
32.محمد كامل عبد الصمد، الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، ج1، 1995.
33.مصطفى حلمي، إسلام جارودي بين الحقيقة والافتراء، دار الدعوة، القاهرة، ط1، 1996م،
34.موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، تر، حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1990م.

35.موريس دو فرجيه، في الدكتاتوريات، تر: هاشم متولي، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط2، 1977م.
36.ول ديورنت، قصة الحضارة، مكتبة الروايات، ج2.

رسائل جامعية:

1. بشير بوساحة، التجربة الروحية بين القديس أوغسطين والامام أبي حامد الغزالي ودورها في مواجهة المادية المعاصرة. رسالة دكتوراه بجامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة - الجزائر، 2017.
2. طه أنيس مالك، اتجاهات التعددية الدينية وموقف الإسلام منها، أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام أباد، كلية أصول الدين، ماليزيا.

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
المقدمة	**03**
الباب الأول: ترجمة لعصر غارودي وحياته	**07**
1 - الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي نشأ فيها روجيه غارودي	**08**
أ- الحياة السياسية في فرنسا	**08**
ب - الحياة الاجتماعية والاقتصادية	**10**
2 - ترجمة لحياة روجيه غارودي	**13**
أ - الاسم والمولد	**13**
ب – دراسته	**14**
ج - نضالاته ومساره السياسي	**15**
3 - حياته الدينية	**17**
أ - غارودي مسيحيا.	**18**
ب - غارودي والإسلام	**22**
ج - اتّهام غارودي بالردّة	**26**
د - العقيدة الإبراهيمية ووحدة الأديان.	**32**
4 - الحياة الفكرية	**46**
أ - تيارات الفكر الأوربي المعاصر	**46**
ب - مصادر فكر غارودي	**50**
ج - إنتاجه العلمي	**55**
د ـ مشروعه الفكري	**57**
الباب الثاني:قراءة روجيه غارودي للعهد القديم	**61**
تمهيد حول مفهوم الوحي في الفكر المسيحي	**62**

مفهوم العهد في الفكر اليهودي والفكر المسيحي	**65**
أسفار العهد القديم	**67**
أ – قراءة غارودي للأسفار الخمسة (أسفار موسى: التوراة)	**71**
- سفر التكوين	**79**
- سفر الخروج	**86**
- سفر اللاويين	**92**
- سفر الأعداد	**95**
- سفر التثنية	**97**
ب – قراءة غارودي للأسفار التاريخية.	**105**
ج - قراءة غارودي للأسفار الشعرية والأسفار التعليمية.	**115**
د - قراءة غارودي للأسفار النبوية	**120**
الباب الثالث: قراءة غارودي لأسفار العهد الجديد.	**130**
تمهيد حول أسفار العهد الجديد	**131**
1- قراءة غارودي للأناجيل.	**134**
- إنجيل متّى	**138**
- إنجيل مرقس	**147**
- إنجيل لوقا	**151**
- إنجيل يوحنا	**157**
2- قراءة غارودي لرسائل بولس	**165**
3- قراءة غارودي للرسائل الرسل والرسائل الكاثوليكية	**188**
الخاتمة	**197**
قائمة المصادر والمراجع	**203**
فهرس المحتويات	**209**

سـيرة ذاتيـــة:

الدكتور بشير بن أحمد بوساحة.

من مواليد 1981/11/16م بالوادي ـ الجزائر.

متحصل على دكتوراه في مقارنة الأديان سنة 2017

أستاذ محاضر بجامعة الوادي منذ 2012.

رئيس الجمعية الدينية لمسجد عبد الرحمان بن عوف بورماس ـ الوادي

له مجموعة من المقالات المنشور في مجالات علمية وشارك في العديد من الملتقيات الدولية والوطنية ومنها:

ـ الملتقى العالمي للآئمة والخطباء بمعهد كفتارو بدمشق ـ سوريا سنة 2007.

ـ الملتقى الدولي للإصلاح التربوي بجامعة بسكر ـ الجزائر سنة 2011.

ـ الملتقى الوطني حول الخطاب الديني في المنظومة التربوية بجامعة الوادي سنة 2012.

ـ الملتقى الدولي " الدين والعلم" بجامعة الأمير عبد القادر ـ قسنطينة ـ الجزائر سنة 2013.

ـ ندوة حول رسائل النور بمعهد النور ـ أرزروم ـ تركيا سنة 2015.

ـ المؤتمر الدولي لحوار الحضارات بجامعة الطفيلة ـ الأردن سنة 2016.

ـ الملتقى الدولي حول القرآن والتحديات المعاصرة بجامعة الكوفة ـ العراق سنة 2021.

ـ الملتقى الدولي حول التصوف في الدراسات الاستشراقية بجامعة الوادي سنة 2021.

ـ شارك في ورشة تحقيق المخطوطات بجامعة المدينة المنورة ـ السعودية سنة 2022.

ـ الملتقى الوطني حول القيم الإسلامية ودورها في بناء المجتمع بجامعة الأغواط ـ الجزائر سنة 2022.

الدكتور بشير بن أحمد بوساحة

من مواليد 1981/11/16م بالوادي ـ الجزائر.
متحصل على دكتوراه في مقارنة الأديان سنة 2017
أستاذ محاضر بجامعة الوادي منذ 2012.
رئيس الجمعية الدينية لمسجد عبد الرحمان بن عوف بورماس ـ الوادي
له مجموعة من المقالات المنشور في مجلات علمية وشارك في العديد من الملتقيات الدولية والوطنية ومنها:

- الملتقى العالمي الأئمة والخطباء بمعهد كفتارو بدمشق ـ سوريا سنة 2007.
- الملتقى الدولي للإصلاح التربوي بجامعة بسكرة ـ الجزائر سنة 2011.
- الملتقى الوطني حول الخطاب الديني في المنظومة التربوية بجامعة الوادي سنة 2012.
- الملتقى الدولي " الدين والعلم" بجامعة الأمير عبد القادر ـ قسنطينة ـ الجزائر سنة 2013.
- ندوة حول رسائل النور بمعهد النور ـ أرزروم ـ تركيا سنة 2015.
- المؤتمر الدولي لحوار الحضارات بجامعة الطفيلة ـ الأردن سنة 2016.
- الملتقى الدولي حول القرآن والتحديات المعاصرة بجامعة الكوفة ـ العراق سنة 2021.
- الملتقى الدولي حول التصوف في الدراسات الاستشراقية بجامعة الوادي سنة 2021.
- شارك في ورشة تحقيق المخطوطات بجامعة المدينة المنورة ـ السعودية سنة 2022.
- الملتقى الوطني حول القيم الإسلامية ودورها في بناء المجتمع بجامعة الأغواط ـ الجزائر سنة 2022.

ISBN: 978-9931-273-75-2
9 789931 273752
سامي للطباعة والنشر والتوزيع
صمم الغلاف